حكم وأمثال شعبية

في ميزان الشريعة الإسلامية

Hekam-AMTHAL

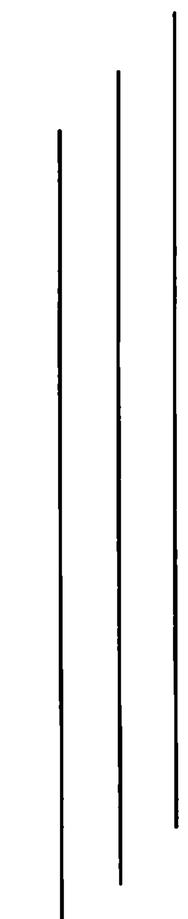
:: بقلم ::

نبيل أبو الحسن القيسي

(أبو عبد الرحمن)

Nabil Abo Alhasan Alqisy





حكم وأمثال يومية
في
ميزان الشريعة الإسلامية



الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ ، ٢٠١٠م

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/٢٢٧٥٤م

الترقيم الدولي: I.S.B.N 978-977-6326-57-6



الدار العالمية للنشر والتوزيع

ص.ب: ٦١٠ ر.ب: ٢١١١١-٣١ ش الصالحي- محطة مصر - الإسكندرية

محمول: ٠١٠٦٥٥٢١١٨ ٢+/ ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٢٠٣+/ تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٢٠٣+

E-mail: alamia_misr@hotmail.com

حكم وأمثال يومية

في

ميزان الشريعة الإسلامية

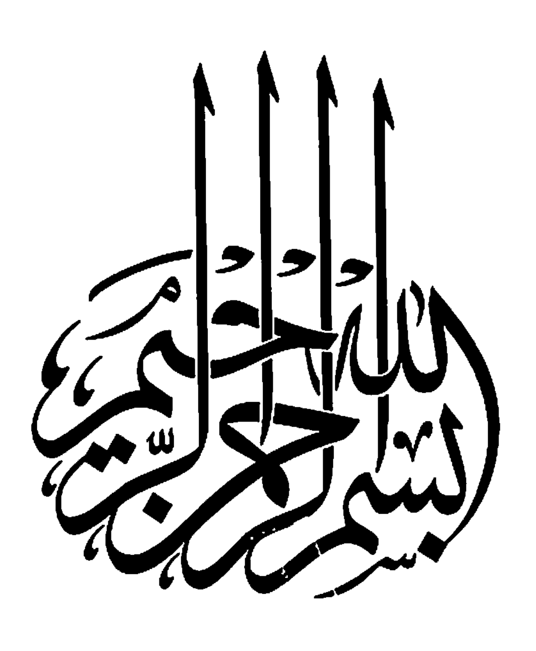
جمع وترتيب

أبو عبد الرحمن

نبيل بن أبي الحسن القيسي



الدار العالمية للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله تعالي من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهد الله تعالى، فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء : ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا (٧٠) يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد،

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد.

فهذا بابٌ من التأليف جامع لجملة كبيرة من الألفاظ، والمقولات، والأمثال والحكم الدائرة على الألسن قديمًا، وحديثًا، المنهي عن التلفظ بها ؛ لذاتها، أو لمتعلقاتها، أو لمعنى من ورائها، كالتقيد بزمان، أو مكان، وما جرى مجرى ذلك من مدلولاتها، وجملة التراجم الجامعة لمنثورها على ما يأتي: ألفاظ منهي عنها في جانب توحيد الله،

وأسمائه، وصفاته سبحانه وتعالى، ألفاظ منهي عنها في حق النبي ﷺ، في جانب الوحيين الشريفين: الكتاب والسنة، في حق الصحابة رضي الله عنهم ومن قفى أثرهم، واتبعهم بإحسان رحمهم الله تعالى، في أبواب الفقه كافة، من الطهارة وأركان الإسلام إلى الآخر .. في البيوع، والأنكحة، والحدود، والجنايات، والأيمان، والنذور، والأقضية، والشهادات، والإقرار، في الأدعية والأذكار، في الرِّقاق والآداب، والمتفرقات، في السلام والتهاني، والأزمنة، والأمكنة، في الأسماء والكنى والألقاب، في اللغات الدخيلة، واللهجات والأساليب المولدة المعاصرة، في السلوك، والبدع، وذلك صيانة للتوحيد، وحمايةً له، وحمايةً لحماه، حفظًا للدِّين، والعِرض، والشرف، وعمارة للتعايش بين العباد، وشد آصرة التآخي بينهم، سواء أكان النهي في ذلك للتحريم، أم للتنزه والورع، عدولًا إلى الأدب الحسن: إمَّا في تحسين اللازم للمباني من المعاني التي تفسدها، وتؤثر على سلامة قصد اللافظ بها، كلفظ «راعنا»، إذ نهى الله عنه؛ لما فيه من قصد الرعونة عند اليهود، فأبدله الله سبحانه بلفظ «انظرنا».

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ﴾ [البَقَرَة: ١٠٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النِّسَاء: ٤٦].

وإمَّا إرشادًا إلى الأدب الحسن في المباني، ورشاقتها، وخفتها على اللسان، وحلاوة النطق بها، وهكذا مما يسمى بالتحسين الثانوي، وسواء أظهرت علة النهي وبان وجهها، أم كان غير ذلك: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النِّسَاء: ٦٥]، وسواء أكان بدلالة النص: من الكتاب، أو سنة، أو قول صحابي فمن بَعْدُ من سلف الأُمة، أو كانت

الدلالة عليه بمقتضى النظر الصحيح، وأُثر النهي عنه عن عالم بارع ؛ طردًا لقاعدة الباب في الألفاظ المنهي عن التلفظ بها، وهي: «رعاية الشرع لسلامة المباني والمعاني، أو لسلامة أحدهما على ذلك الوجه » دائرة في ميزان الصدق والعدل.

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ﴾ [التوبة: ١١٩]

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ ﴾ [الأنعام :١٥٢]، وإلا فإن الألفاظ ليس لها حد محدود تنتهي إليه، وأهمية هذا الكتاب من أهمية هذه الأداة «اللسان» لدى الإنسان، إذ على النطق بالشهادتين ينبني الدخول في الإسلام، وفي النطق بِناقِضٍ لهما يكون الخروج منه، ولعظيم أمره جاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه : «**وهل يكُبُّ الناس في النار على وجوههم – أو قال: على مناخرهم – إلا حصائد ألسنتهم**»[1] ، ولذا قال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه : «والله الذي لا إله غيره ما على وجه الأرض شيء أحق بطول السجن من اللسان»[2]، وانظر إلى الرِّقابةِ المتنوعة على اللسان في نصوص القرآن الكريم.

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ١٧-١٨]، بل الله سبحانه وتعالى مع كل نجوى بعلمه، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة :٧]، فسبحان من أحاط بكل شيء علمًا، وانظر إلى كشف المخافتة في القول: ﴿ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴾ [القلم :٢٣- ٢٤]، وقال شيخ الإسلام: «والكلمة أصل العقيدة . فإن الاعتقاد هو الكلمة

---

(١) «الداء والدواء» [٢١٦-٢١٨] ط. ابن رجب والحديث صحيح أخرجه الترمذي برقم [٢٦١٦] وابن ماجه برقم [٣٩٧٣]، وأحمد برقم [٢٢٠٣١].وصححه الألباني عند ابن ماجه.

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب» [٤٦٤٩] وابن المبارك في «الزهد» [٣٨٤].

التـي يعتقدهـا المرء، وأطيب الـكلام والعقائد كلمـة التوحيد واعتقـاد أن لا إله إلا الله، وأخبث الكلام والعقائد كلمة الشرك: وهو اتخاذ إله مع الله، فإن ذلك باطل لا حقيقة له، ولهذا قال سـبحانه: ﴿ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾[1]، وقال يحيى بن معاذ: القلوب كالقدور تغلي بما فيها، وألسـنتها مغارفها، فانظر إلى الرجل حين يتكلم؛ فإن لسـانه يغترف لك مما في قلبه، حلـو وحامـض، وعذب وأُجاج، وغير ذلك، وَيَبَيِّنُ لَكَ طعم قلبه اغتراف لسـانه، أي كما تطعـم بلسـانك طعم ما في القدور مـن الطعام فتدرك العلم بحقيقتـه، كذلك تطعم ما في قلب الرجل من لسانه، فتذوق ما في قلبه من لسانه كما تذوق ما في القدور بلسانك.

ومـن العجب أن الإنسـان يهون عليـه التحفظ والاحتراز مـن أكل الحرام والظلم والزنـا والسرقة وشرب الخمر،ومن النظر المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يُشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمات من سـخط الله لا يلقي لها بالًا ينزل بالكلمـة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب؛ وكـم تـرى من رجلٍ متورع عـن الفواحش والظلم، ولسـانه يفري في أعـراض الأحياء والأموات، ولا يبالي ما يقول، وقد كان السلف يُحاسِبُ أحدهم نفسه في قوله: يوم حار، ويـوم بـارد، ولقد رؤي بعض الأكابر من أهل العلم في النوم فسُـئِل عن حاله، فقال: أنا موقوف على كلمة قلتها، قلت: ما أحوج الناس إلي غيث، فقيل لي: وما يدريك؟ أنا أعلم بمصلحة عبادي.

وقال بعض الصحابة لجاريته يومًا: هاتي السفرة نعبث بها، ثم قال: أستغفر الله، ما أتكلـم بكلمة إلا وأنا أخطمها وأزمها إلا هذه الكلمة خرجت مني بغير خطام ولا زمام أو كما قال وأضرُّ حركات الجوارح: حركة اللسان، وهي أضرها على العبد، وفي اللسان آفتان عظيمتان إن خلص من إحداهما لم يَخْلُص من الأخرى: آفة الكلام، وآفة السكوت، وقد يكون كل منهما أعظم إثمًا من الأُخرى في وقتها؛ فالساكت عن الحق شيطان أخرس،

---

(١) «الداء والدواء» [٢١٦-٢١٨] ط. ابن رجب.

عاص لله، مراء مداهن إذا لم يخف على نفسه. والمتكلم بالباطل شيطان ناطق، عاص لله، وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته؛ فهم بين هذين النوعين، وأهل الوسط – وهم أهل الصراط المستقيم – كفوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة؛ فلا ترى أحدهم يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة؛ فضلًا أن تضره في آخرته، وإن العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها، ويأتي بسيئات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله وما اتصل به.

وما ذاك مني بل من الله وحده	بفتح وإمداد وفضل وانعم
فإن اك فيها مخطئًا او مغالطًا	فمن ذات نفسي كل خطئي وغلطتي
اتوب الى الرحمن من كل خطئة	واستغفر الرحمن لي ولأخوتي
واساله جل اسمه بصفاته	وأسمائه الحسنى قبول كتابي

وإني لأسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقني وجميع المسلمين لحفظ ألسنتهم وأن يجعلها سببًا في سعادتنا في الدنيا والآخرة إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

كتبه

أبو عبد الرحمن

نبيل بن أبي الحسن القيسي

عامله الله تعالى بفضله

الباب الأول

الفصل الأول

حفظ اللسان وخطورة الكلمة في الإسلام

اعلـم - أخـي الكريم -أن اللسـان شـأنه عظيم وخطره جسـيم، فهو سـلاح ذو حدين، فقد يستخدمه العبد في الطعن وانتهاك الحرمات والخوض في الأعراض فيكون سببًا لهلاكه وتعاسـته، وقد يسـتخدمه العبد في قراءة القرآن وذكر الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيكون سببًا لنجاته وسعادته.

واللسـان من نعم الله العظيمـة ولطائف صنعه الغريبة، فإنـه صغير جرمه، عظيم طاعتـه وجرمـه، إذا لا يسـتبين الكفـر والإيمان إلا بشـهادة اللسـان وهما غايـة الطاعة والعصيان، ثم إنه ما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم إلا واللسـان يتناوله ويتعرض له بإثبات أو نفي، فإن كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان إما بحق أو باطل، ولا شيء إلا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في سـائر الأعضاء، واللسـان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد، له في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب.

فمـن أطلـق عذبة اللسـان وأهمله مرخى العنان سـلك به الشـيطان في كل ميدان وسـاقه إلى شـفا جـرف هـار إلى أن يضطـره إلى البـوار، ولا يكـب النـاس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم، ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشـى غائلته في عاجله وآجله، وعلم ما يحمد فيه إطلاق اللسـان أو يذم غامض عزيز، والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسـير، وأعصى الأعضاء على الإنسـان اللسان فإنه لا تعب في إطلاقه ولا مؤنة في

تحريكه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله، وإنه أعظم آلة الشيطان في استغواء الإنسان.

واعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلامًا تظهر المصلحة فيه، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه؛ لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، بل هذا كثير أو غالب في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء.

واعلم أن للكلام شروطًا لا يسلم المتكلم من الزلل إلا بها، ولا يعرى من النقص إلا بعد أن يستوفيها وهي أربعة:

فالشرط الأول- ان يكون الكلام لداع يدعو إليه إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر.

والشرط الثاني- أن يأتي به في موضعه، ويتوخى به إصابة فرصته.

والشرط الثالث- أن يقتصر منه على قدر حاجته.

والشرط الرابع- أن يتخير اللفظ الذي يتكلم به.

فهذه أربعة شروط متى أخل المتكلم بشرط منها فقد أوهن فضيلة باقيها.

وهذه بعض أحاديث النبي ﷺ وبعض أقوال السلف رضوان الله عليهم التي جاءت في التحذير من خطر اللسان وفضل جماح غوائله فقد جاء في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»**[١].

قلت: فهذا الحديث المتفق على صحته نص صريح في أنه لا ينبغي أن يتكلم إلا إذا كان الكلام خيرًا، وهو الذي ظهرت له مصلحته، ومتى شك في ظهور المصلحة فلا يتكلم، وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله: «إذا أراد الكلام فعليه أن يفكر قبل كلامه، فإن ظهرت المصلحة تكلم، وإن شك لم يتكلم حتى تظهر».

---

(١) «الداء والدواء» [٢١٦-٢١٨] ط. ابن رجب، الحديث متفق عليه. أخرجه البخاري برقم [٦٠١٨]، ومسلم برقم [٤٧].

وجاء أيضًا في صحيحيهما عن أبي موسى الأشعري قال: قلت يا رسول الله، أي المسلمين أفضل؟ قال: «**من سلم المسلمون من لسانه ويده**»(١).

وجاء في صحيح البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه، أضمن له الجنة**»(٢).

قال ابن بطال: «دل الحديث على أن أعظم البلايا على المرء في الدنيا لسانه وفرجه فمن وقي شرهما وقي أعظم الشر».

وجاء في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « **إن العبد يتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب** »، وفي رواية البخاري: «أبعد مما بين المشرق»(٣) من غير ذكر المغرب، ومعنى يتبين: يتفكر في أنها خير أم لا.

وجاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقي لها بالًا يرفع الله تعالى بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالًا يهوي بها في جهنم**»(٤).

وعَنْ مُعاذٍ رضي الله عنه قال: قُلتُ: يا رَسولَ الله أَخبِرني بِعَمَلٍ يُدخِلُني الجَنَّةَ ويُباعِدُني مِنَ النَّارِ، قال: «**لقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظيمٍ وإنَّهُ لَيَسيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله عليه: تَعْبُدُ الله لا تُشْرِكُ بِهِ شيئًا، وتُقيمُ الصَّلاةَ، وتُؤتِي الزَّكاةَ، وتَصُومُ رَمضَانَ، وتَحُجُّ البَيتَ**»، ثمَّ قالَ: «**ألا أَدُلُّكَ على أبوابِ الخيرِ؟ الصَّومُ جُنَّةٌ، والصَّدقةُ تُطفِئُ الخَطيئَةَ كما يُطفئُ الماءُ النارَ، وصَلاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوفِ اللَّيلِ**، ثمَّ تلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ حتَّى

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٢) [١١]، ومسلم [٤٢].

(٢) أخرجه البخاري[٦٤٧٤]، وأحمد(٥/ ٣٣٣)، والترمذي [٢٤٠٨].

(٣) أخرجه البخاري [٦٤٧٧]، ومسلم [٢٩٨٨]، وأحمد (٢/ ٢٣٦) [٧٢١٤]والتِّرمذي [٢٣١٤].

(٤) أخرجه البخاري [٦٤٧٨]، والبغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٣١٣).

بَلَغَ: ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾، ثُمَّ قَالَ: «أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ وعَمودِه وذِرْوَة سنامِهِ؟»، قُلتُ: بَلَى يا رَسولَ الله، قال: «رَأسُ الأمرِ الإسلامُ، وعَمُودُه الصَّلاةُ، وذِرْوَةُ سَنامِهِ الجهادُ»، ثم قال: «ألا أُخبِرُكَ بمَلاكِ ذلك كُلِّه؟»، قلتُ: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه، قال: «كُفَّ عَلَيكَ هذا»، قلتُ: يا نَبيَّ الله، وإنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِما نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فقالَ: «ثَكِلتْكَ أُمُّكَ، وهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وُجوهِهِمْ، او على مَنَاخِرِهم إلاَّ حَصائِدُ ألسِنَتِهِم»(١).

قال الحافظ ابن رجب: قوله: «ألا أُخبرك بملاك ذلك كُلِّه»، قلتُ: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه فقال: «كُفَّ عليك هذا»، إلى آخر الحديث. هذا يدلُّ على أنَّ كفَّ اللسان وضبطه وحبسه هو أصلُ الخير كُلِّه، وأنَّ من ملك لسانه، فقد ملك أمره وأحكمه وضبطه.

وثبت أن قس بن ساعدة وأكثم بن صيفي اجتمعا، فقال أحدهما لصاحبه: كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟ فقال: هي أكثر من أن تحصى، والذي أحصيته ثمانية آلاف عيب، ووجدت خصلة إن استعملتها سترت العيوب كلها، قال: ما هي: قال: حفظ اللسان(٢).

وقال أبي علي الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ من عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه، وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ لصاحبه الربيع: يا ربيع، لا تتكلم فيما لا يعنيك، فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها.

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما من شئ أحق بطول السجن من اللسان. وقال غيره: مثل اللسان مثل السبع إن لم توثقه عدًا عليك.

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي [٢٦١٦]، وابن ماجه [٣٩٧٣]، وأحمد (٥/ ٢٣١) والنسائي في «الكبرى» [١١٣٩٤] والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٥).

(٢) «الأذكار» للنووي [ص ٣٣٥].

وثبت عن الأستاذ أبي القاسم القشيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته المشهورة قال: «الصمت سلامة، وهو الأصل، والسكوت في وقته صفة الرجال، كما أن النطق في موضعه أشرف الخصال»، قال: سمعت أبا علي الدقاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس».

ومما أنشدوه في هذا الباب:

احفظ لسانك أيها الإنسان	**لا يلدغنك إنه ثعبان**
كم في المقابر من قتيل لسانه	**قد كان هاب لقاءه الشجعان**

وقال زيد بن أسلم، عن أبيه: دخل عمرَ على أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وهو يجبذ لسانه، فقال عمر: مه، غفر الله لك! فقال أبو بكرٍ: هذا أوردني الموارد.

وقال ابنُ بريدة: رأيتُ ابنَ عبَّاسٍ آخذًا بلسانه وهو يقول: ويحك، قُلْ خيرًا تغنم، أو اسكت عن سُوءٍ تسلم، وإلا فاعلم أنَّك ستندم، قال: فقيل له: يا ابن عبَّاس، لم تقولُ هذا؟ قال: إنّه بلغني أنَّ الإنسان -أراه قال- ليس على شيءٍ من جسده أشدُّ حنقًا أو غيظًا يَوْمَ القيامةِ منه على لسانه إلا من قال به خيرًا، أو أملى به خيرًا.

وقال الحسن: اللسان أميرُ البدن، فإذا جنى على الأعضاء شيئًا جنت، وإذا عفَّ عفت.

وقال يونس بنُ عبيد: ما رأيتُ أحدًا لسانه منه على بالٍ إلا رأيتُ ذلك صلاحًا في سائر عمله.

وقال يحيى بن أبي كثير: ما صلح منطقُ رجل إلاَّ عرفت ذلك في سائر عمله، ولا فسد منطقُ رجل قطُّ إلاَّ عرفت ذلك في سائر عمله.

وقال المبارك بن فضالة، عن يونس بن عبيد: لا تجدُ شيئًا مِنَ البرِّ واحدًا يتَّبعه البِرُّ كلّه غيرَ اللسان، فإنَّك تَجِدُ الرجل يصومُ النهار، ويُفطر على حرام، ويقومُ الليل ويشهد

بالزور بالنهار - وذكرَ أشياءَ نحو هذا - ولكن لا تجده لا يتكلّم إلا بحقٍّ فيُخالف ذلك عمله أبدًا.

وقال عطاءٍ كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدّون فضول الكلام ما عدا كتاب الله أن نقرأه أو أمرًا بمعروفٍ، أو نهيًا عن منكرٍ أو أن تنطق في معيشتك بما لا بدّ لك منه.

وقال عبد الله بن المبارك «عجبت من اتّفاق الملوك الأربعة كلّهم على كلمةٍ قال كسرى: إذا قلت ندمت وإذا لم أقل لم أندم وقال قيصر: أنا على ردّ ما لم أقل أقدر منّي على ردّ ما قلت وقال ملك الهند: عجبت لمن تكلّم بكلمةٍ إن هي رفعت تلك الكلمة ضرّته، وإن هي لم ترفع لم تنفعه، وقال ملك الصّين: إن تكلّمت بكلمةٍ ملكتني وإن لم أتكلّم بها ملكتها.

وعن يحيى بن سعيدٍ قال: إنّ عيسى ابن مريم عليه السلام لقي خنزيرًا على الطّريق فقال له: انفذ بسلامٍ، فقيل له أتقول هذا للخنزير؟ فقال عيسى: «إنّي أكره وأخاف أن أعوّد لساني النّطق بالسّوء».

وقال بعض قضاة عمر بن عبد العزيز وقد عزله: لم عزلتني؟ فقال: بلغني أنّ كلامك مع الخصمين أكثر من كلام الخصمين.

وتكلّم ربيعة يومًا فأكثر الكلام وأعجبته نفسه وإلى جنبه أعرابيٌّ فقال له: يا أعرابيّ ما تعدّون البلاغة؟ قال: قلّة الكلام، قال: فما تعدّون السّعي فيكم؟ قال: ما كنت فيه منذ اليوم.

وقال خالد بن صفوان: لرجلٍ كثيرٌ كلامه: إنّ البلاغة ليست بكثرة الكلام، ولا بخفّة اللّسان، ولا بكثرة الهذيان، ولكنّه إصابة المعنى والقصد إلى الحجّة.

وقال بعض الحكماء: «الخير كلّه في ثلاثٍ: السّكوت، والكلام، والنّظر، فطوبى لمن كان سكوته فكرةً، وكلامه حكمةً، ونظره عبرةً».

وقال إسـحاق بن عبد الله بن أبي طلحة: كان يقال من لم يبال ما قال ولا ما قيل له فهو ولد شيطانٍ، وعن محمّد بن الحجّاج المصفّر مثله إلّا أنّه قال: فهو لغير رشدةٍ.

وقال الخلّال: سـألت ثعلبًا النّحويّ عن السّـفلة فقال: الّذي لا يبالي ما قال ولا ما قيل له.

وقال بعض الأدباء: سعد من لسانه صموتٌ، وكلامه قوتٌ.

وقال بعض البلغاء: الزم الصّمت فإنّه يكسـبك صفو المحبّة، ويؤمنك سوء المغبّة، ويلبسك ثوب الوقار، ويكفيك مئونة الاعتذار.

وقـال بعض الفصحاء: اعقل لسـانك إلّا عن حقٍّ توضّحـه، أو باطلٍ تدحضه، أو حكمـةٍ تنشرها، أو نعمـةٍ تذكرها، وأخيرًا اعلم أنّ الكلام ترجمانٌ يعبّر عن مسـتودعات الضّمائر، ويخبر بمكنونات السّرائر، لا يمكن استرجاع بوادره، ولا يقدر على ردّ شوارده، فحقٌّ على العاقل أن يحترز من الله بالإمساك عنه أو بالإقلال منه [١].

لذلك جدير بكل مسـلم وحري بكل مسـلم أن يمسـك لسـانه؛ فإن كثرة الكلام تجلب سخط الرب عليه، إذا كان فيه تعلق بالأعراض وانتهاك للحرمات.



---

(١) «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣١٢)، «وأدب الدنيا والدين» للماوردي(١/ ٣٤٠).

الفَصْلُ الثَّانِي

المعنى اللغوي والاصطلاحي للأمثال والحكم

اعلم -علمني الله وإياك- أن الأمثال لغة: جمع مثل والمثل، هو الشيء الذى يضرب لشيء مثلًا، فيجعل مثله، والأصل فيه التشبيه، كما فى اللسان.

واصطلاحًا: حكمة العرب فى الجاهلية والإسلام، وبها كانت تبلغ ما حاولت من حاجاتها فى المنطق، وقد ضربها النبى ﷺ وتمثل بها هو ومن بعده من السلف.

وقال أبو عُبَيد: الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعاوض كلامها فتبلغ بها ما حاوَلَتْ من حاجاتها في المنطق بكنايةٍ غير تصريح، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجازُ اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وقد ضربها النبي ﷺ، وتمثَّل بها هو ومن بعده من السلف.

وقال الفارابيّ في ديوان الأدب: المثَلُ ما تراضاه العامة والخاصّة في لفظِه ومعناه حتى ابتذَلوه فيما بينهم، وفَاهُوا به في السرّاء والضرّاء، واستدرّوا به الممتنع من الدرّ، ووصلوا به إلى المطالب القصيّة، وتفرَّجوا به عن الكرب والمكربة، وهو من أَبْلغ الحِكمة؛ لأنَّ الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصِّر في الجودة، أو غير مبالغ في بلوغ المَدَى في النَّفَاسة، قال: والنادرة حكمةٌ صحيحة تؤدِّي ما يؤدَّى عنه المثل، إلا أنها لم تشع في الجمهور، ولم تَجْرِ إلا بين الخواص، وليس بينها وبين المثل إلا الشيوع وحدَه)[1].

وقال الجوهري: «المَثَلُ: ما يُضرب به من الأمثال»[2].

وقال الشيخ الشعراوي: «المثل قول من حكيم شاع على الألسنة، وتناقله الناس كلما جاءت مناسبته، ومثال ذلك الملك الذي أرسل امرأة تخطب له أم إياس بنت عوف

(١) «المزهر» (١/ ١٥٣) عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي.
(٢) «الصحاح في اللغة» (٢/ ١٥٩).

ابن محلم الشيباني، وكان اسمها (عصام)، فلما عادت من المهمة بادرها بقوله: ما وراءكِ يا عصام؟ فصارت مثلًا يُقال في مثل هذه المناسبة مع أنه قيل في حادثة مخصوصة، والمثل يقال كما هو، لا نغير فيه شيئًا، فنقول: ما وراءك يا عصام للمذكر وللمؤنث، وللمفرد وللمثنى وللجمع، ومن ذلك نُشبِّه الكريم بحاتم، والشجاع بعنترة.. الخ؛ لأن حاتمًا الطائي صار مضربَ المثل في الكرم، وعنترة في الشجاعة، وفي المثال نقول لمن يواجه بمَنْ هو أقوى منه: إنْ كنت ريحًا فقد لاقيتَ إعصارًا، ونقول لمن لم يُعِدّ للأمر عُدَّته: قبل الرماء تُملأ الكنائن. إذن: المثل قول شبه مضربه الآن بمورده، سابقًا لأن المورد كان قويًا وموجزًا لذلك حُفِظ وتناقلته الألسنة، والقرآن يسير على أسلوب العرب وطريقتهم في التعبير وتوضيح المعنى بالأمثال حتى يضرب المثل بالبعوضة، والبعض يأنف أنْ يضرب القرآن بجلاله وعظمته مثلًا بالبعوضة، وهو لا يعلم أن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البَقَرَة:٢٦][1].

ويجتمع فى المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام، فهو نهاية البلاغة:

١- إيجاز اللفظ. ٢- إصابة المعنى. ٣- حسن التشبيه. ٤ - جودة الكناية.

ولذلك كان أكثر أدب القدماء وما دونوه من علوم مشفوعًا بالأمثال والقصص عن الأمم، ونطقت ببعضه على ألسن الطير والوحش حتى يكون الخير، مقرونًا بذكر عواقبه، والمقدمة موحية بنتائجها؛ لأن الكلام إذا جعل مثلًا كان أوضح للمنطق، وأوسع لشعوب الحديث، والأمثال لا تغير، بل تجرى فى القول كما جاءت، فإذا ورد المثل بالتأنيث، بقى على تأنيث فى كل الأحوال، فقولك: الصيف ضيعت اللبن، هو فى الأصل خطاب لامرأة ضيعت الأمر، ثم أرادت استدراكه فمنعت عنه، فإذا ضربته الآن لمفرد مذكر أو مثنى أو جمع، بقى على حاله بكسر التاء، ولا يغير عن صيغته التى ضرب

---

(١) «تفسير الشعراوي» صفحة [٣٣٩٢].

بهـا، والمثل السـائر فى كلام العرب كثير، نظمًا ونثرًا، وأفضله أوجـزه، وأحكمه أصدقه ، وقد وردت الأمثال فى القرآن الكريم ،والسنة النبوية، وخرجت مخرج المثل السائر.

وقـال العلامة المباركفوري: «الأمثال جمع المثل بفتحتين وهو تشـبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسـوس أو أحد المحسوسـين مـن الآخر واعتبار أحدهما بالآخـر»، قالـه ابن القيـم في الإعلام، وقال البيضاوي في تفسـيره: أكثر الله تعالى في كتبه الأمثـال، وفشـت في كلام الأنبياء والحكـماء، والمثل في الأصل بمعنـى النظير، يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب إلا مـا فيه غرابة، ولذلك حوفظ عليه من التغير، ثم اسـتعير لـكل حال أو قصة أو صفة لها شـأن وفيها غرابة كقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[١].

تعريـف الحكمـة: الحكمة مأخوذ من الحكمـة - بفتح الـكاف والميم - وهو ما يوضـع للدابـة كي يذللهـا راكبها فيمنع جماحها، ومنه اشـتقت الحكمة قالـوا: لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأراذل[٢].

والحكمـة فـي حقيقتها: وضع الأشـياء في مواضعهـا، وقال ابن زيـد: «كل كلمة وعظتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة».

وأدق مـن هذا قول أبي جعفر محمد بن يعقـوب: «كل صواب من القول وُرِّثَ فعلًا صحيحًا فهو حكمة»، وفي تعريفات الجرجاني: «كل كلام وافق الحق فهو حكمة»[٣].

يتبـين من مجمـوع ما سـبق أن الحكمة كلمة عامة تشـمل الأقوال التـي فيها إيقاظ للنفس ووصاية بالخير، وإخبار بتجارب السـعادة والشـقاوة، وكليـات جامعة لأصول

---

(١) «تحفة الأحوذي» (٧/ ١٧٨).

(٢) «المصباح المنير» [٥٦].

(٣) «التعريفات» (١/ ٣٠).

الآداب، فهي معرفة خالصة من شوائب الأخطاء وبقايا الجهل في تعليم الناس وتهذيبهم وتوجيههم، إنها اسم جامع لكل كلام أو علم يراعى فيه إصلاح حال الناس واعتقادهم إصلاحًا مستمرًا لا يتغير.

وقال ابن فارس: الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو: المنع، وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة؛ لأنها تمنعها.

والحكمة هذا قياسها؛ لأنها تمنع من الجهل، والمحكم: المجرب المنسوب إلى الحكمة.

قال طرفة: ليت المحكم والموعوظ صوتكما ... تحت التراب إذا ما الباطل انكشفا

أراد بالمحكم الشيخ المنسوب إلى الحكمة [(١)].

وللأمثال من الكلام موقعٌ في الأسماع وتأثيرٌ في القلوب لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها، ولا يؤثّر تأثيرها ؛ لأنّ المعاني بها لائحةٌ، والشّواهد بها واضحةٌ، والنّفوس بها وامقةٌ، والقلوب بها واثقةٌ، والعقول لها موافقةٌ . فلذلك ضرب الله الأمثال في كتابه العزيز وجعلها من دلائل رسله وأوضح بها الحجّة على خلقه ؛ لأنّها في العقول معقولةٌ، وفي القلوب مقبولةٌ .

ولها أربعة شروط:

احدها- صحّة التّشبيه .

والثّاني- أن يكون العلم بها سابقًا والكلّ عليها موافقًا .

والثّالث- أن يسرع وصولها للفهم، ويعجّل تصوّرها في الوهم، من غير ارتياءٍ في استخراجها ولا كدٍّ في استنباطها .

والرّابع- أن تناسب حال السّامع لتكون أبلغ تأثيرًا وأحسن موقعًا .

---

(١) «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس مادة (حكم) جـ(٢ / ٩١).

فإذا اجتمعت في الأمثال المضروبة هذه الشّروط الأربعة كانت زينةً للكلام وجلاءً للمعاني وتدبّرًا للأفهام (١).

وكثيرة هي الأمثال التي ضربها الله ورسوله في الكتاب والسنة، مما يوحي بأهمية تلك الأمثال في بيان ما يلتبس على الأذهان وإقامة الحجج والبراهين. وجل تلك الأمثال إنما تناقش أصول العقيدة وتجليها فينتفع بها المؤمنون، ويعقلها العالمون، وأما غلاظ القلوب وأغبياء العقول فيزدادون جهلًا.

الحكمة من ضرب الأمثال:

المثل إذا ضُرِبَ فالمقصود به: تبين فكرةٍ مجملة قد تلتبس على الأذهان. إذًا: المثل من باب المبيّنَ، فالذي يعجز عن فهم المثل ينبغي أن يبكي على نفسه؛ لأن المبيّنَ إذا لم يُفهم فلن يُتعقل شيء: فليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل، إنما يتلبس على المرء ما أُجمِل، فإقامة الصلاة المأمور بها في قوله تعالى: ﴿ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ ﴾ [الأنعام: ٧٢] كلام مجمل، فلو سألت: كيف أقيم الصلاة؟ فأنا لا أدري كيفية إقامتها، كان معك الحق في هذا السؤال. لكن لو قلت لامرئ: الصبح ركعتان، والظهر والعصر أربع ركعات، والمغرب ثلاث ركعات، والعشاء أربع ركعات، فإذا لم يفهم عدد الركعات؛ فإنه ينبغي له أن يبكي على نفسه -إذا سأل: كيف ذلك؟- بعد هذا البيان. وقوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٦]، مجمل، فإذا سأل امرؤ: كيف نحج؟ قلتُ له: افعل كذا وكذا، وقف هنا، وادع هنا ولا تقف هنا؛ فإذا سأل: كيف ذلك؟ فينبغي له أن يبكي على نفسه.

فالأمثال إنما تُضرب لتقريب الفكرة، والله تبارك وتعالى قال: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١]، ونقل ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره عن بعض السلف أنه قال: إذا لم أفهم المثل في كتاب الله بكيت على نفسي. أما غلاظ الأكباد

(١) «أدب الدنيا والدين» للماوردي (١/ ٣٤٠).

والعقول، فلا يفهمون المثل وإن كان واضحًا جليًا، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [البقرة:٢٦] يقولون: ماذا أراد بضرب هـذا المثل؟ فالذين كفروا هـم الذين لا يفهمون الأمثال وإن كانـت واضحةً جلية، وقد أكثـر الله عـز وجل في كتابـه من ضرب المثل، والسـبب في ذلـك، أن الأمثـال التي يضر بها الله في القرآن، إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة، فأهل العلم يعرفـون أنها أهـم من غيرها، لاعتناء الله بها، وحثه عباده عـلى تعقلها وتدبرها، فيبذلون جهدهـم في معرفتها. وأما من لم يعقلها، مع أهميتها، فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم، لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة، فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأحرى.

ولهـذا، أكثـر ما يـضرب الله الأمثال في أصـول الدين ونحوهـا، والأمثلـة وضَرْبُها أسـلوب تربويٌ بليغ التأثير، جاء في كتاب الله وفي سـنة رسـول الله ﷺ، وذلك ضمن الأساليب المؤثِّرة التي تقرب المعاني، وتوضح الأمور، وقد عُنِي بها القرآن، وعُنِيت بها السنة المطهرة، وجاءت الأمثال كثيرة في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، حتى عـدَّ بعـض العلماء الأمثال التـي وردت في القرآن فقط بثلاثة وأربعين مثـلًا، كلها لتقريب المعنى؛ لأن المثال وسـيلة إيضاح، والمُعَلم الناجح هو الذي يسـتطيع أن يسـتخدم وسـائل الإيضاح لإيصال المعاني والمعلومات إلى أذهان الطلاب والتلاميذ، والأمثلة أفضل وسيلة توضح المراد والمعنى؛ لأنها نموذج تقرب المعنى إلى الذي يسمع، فيفهم بضرب المثال أكثر مما يفهم بسرد الكلام، ولو اشـتمل السرد على أبلغ المعاني، وعلى أعظم الأسـاليب، إلا أن المثال يفهم سريعًا، ولذا كثرت الأمثال في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ﷺ.

❁ ❁ ❁

الفصل الثالث

أمثال قرآنية من كلام رب البرية

إن ضرب الأمثال أسلوب تربوي بليغ التأثير عظيم النفع، ولأهمية هذه الأمثال في إيصال المراد فقد عُني بها القرآن وعنيت بها السنة. وقد حث الله سبحانه وتعالى على النظر والتأمل في الأمثال التي ضربها، والتي لا يعقلها إلا العالمون. والأمثلة وضَرْبُها أسلوب تربويٌّ بليغ التأثير، جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، وذلك ضمن الأساليب المؤثِّرة التي تقرب المعاني، وتوضح الأمور، وقد عُنِي بها القرآن، وعُنِيت بها السنة المطهرة.

وجاءت الأمثال كثيرة في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، حتى عدَّ بعض العلماء الأمثال التي وردت في القرآن فقط بثلاثة وأربعين مثلًا، كلها لتقريب المعنى؛ لأن المثال وسيلة إيضاح، والمعلم الناجح هو الذي يستطيع أن يستخدم وسائل الإيضاح لإيصال المعاني والمعلومات إلى أذهان الطلاب والتلاميذ، والأمثلة أفضل وسيلة توضح المراد والمعنى؛ لأنها نموذج تقرب المعنى إلى الذي يسمع، فيفهم بضرب المثال أكثر مما يفهم بسرد الكلام، ولو اشتمل السرد على أبلغ المعاني، وعلى أعظم الأساليب، إلا أن المثال يفهم سريعًا، ولذا كثرت الأمثال في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ﷺ، وسوف نقف مع بعض الأمثال في القرآن الكريم.

١- ضرب المثل بالرجل الذي فيه شركاء متشاكسون:

قال تعالى في سورة الزمر: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ هذا الطرف الأول للمثل، الطرف الثاني: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٢٩].

قوله تعالى: ﴿ رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ ﴾ أشقى رجل على وجه الأرض هو هذا الإنسان، عبدٌ فيه شركاء متشاكسون، أي أن كل واحد منهم يعاند الآخر، ينتظر أن يأمر الآخر بأمرٍ حتى يأمر بضده، وهؤلاء المتشاكسون لهم عبدٌ واحد، إذا صادف العبد رجلًا منهم جره واستخدمه. فلنفترض مثلًا عشرة من المتشاكسين يكره بعضهم بعضًا، وكلما أمرَ أحدهم بأمر، أمر الآخر بضده، كنوع من العناد والمشاكسة، عناد، فقال الأول ـ مثلًا ـ لهذا العبد: اذهب إلى الجهة الفلانية وائتني بكذا، واعلم أنك إذا لم تطع أمري عاقبتك. فبينما هذا العبد الشقي ذاهبٌ إلى الجهة التي أمره أن يذهب إليها السيد الأول إذ قابله في الطريق المالك الثاني: - إلى أين يا غلام؟

أمرني فلانٌ أن أذهب إلى جهة المشرق لآتي بكذا. - لا، اذهب إلى المغرب وائتني بكذا. ذهب إلى المغرب . طبعًا لم يقض حاجة الأول. - يا غلام! لم لم تطع أمري؟! - والله لقد أمرني فلان. -أنا ما لي وماله! تعال هنا. ويوقع به العقوبة، فبينما هو متوجه إلى المغرب قابله المالك الثالث: - إلى أين؟ - إلى كذا. - لا، تعال اذهب إلى الجهة الفلانية. - فيسأله الثاني: لم لم تفعل؟ - جرني الثالث. - وأنا ما لي! تعال ! فيعاقبه، فلا هو محمودٌ عندهم جميعًا ولا يقضي لهم شيئًا جميعًا، وإذا استجار بواحدٍ منهم قال له: وهل فعلت لي شيئًا حتى تستجير بي؟!

أمرتك فلم تمتثل، فمهما يقدم من عذرٍ لا يقبل منه! تعلمون على وجه الأرض أشقى من هذا العبد! فالذين يعبدون آلهةً متكاثرة أمثال هذا الإنسان: ﴿ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾ [الزمر :٢٩] ليس له إلا مالك واحدٌ وآمر واحد، إذا أمره ابتدر أمره، ونفّذ ما يريد، فيعرف له ذلك ويكافئه، وإذا اعتذر عذره، فمن المستريح؟ أنه هذا الرجل السالم. حسنًا: يا جماعة! يا معاشر العقلاء! هذان الاثنان هل يستويان مثلًا؟ فلما كان المثل واضحًا غاية الوضوح ومع ذلك ضل عنه الذين كفروا؛ قال الله عز وجل: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر :٢٩].

٢ ـ ضرب المثل ببيت العنكبوت:

قال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١-٤٣].

المثل هنا: مضروب ببيت العنكبوت، وأوهن البيوت هو بيت العنكبوت، وآية ذلك لو أن ابنك الرضيع الذي يحبو على الأرض صادف بيت عنكبوت، وجمعه بيده لكان قادرًا على ذلك! طفل رضيع يجمع بيوت العناكب في يده، فالذي يحتمي بإلهٍ دون الله كالذي يحتمي ببيت العنكبوت. قال ابن نوح عليه السلام له لما قال له: ﴿ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾ [هود: ٤٢-٤٣] جبل عالٍ سامق شامخ، أين الموج الذي يصل إلى الجبل؟! ﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [هود: ٤٣] الجبل مخلوق وانظر! ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ [القمر: ١٢].

انظر إلى الإحاطة والقدرة: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾، ولم يقل: (وفجرنا عيون الأرض) إنما قال: ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ ﴾ صارت كلها عيونًا؛ لأن جملة (وفجرنا عيون الأرض) فيها إشعار أن هناك بعض مناطق الأرض لم يخرج منها ماء، إنما ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ ﴾ أي: صارت الأرض كلها عيونًا تخرج الماء. ماءٌ من فوق، وماء من تحت، ﴿ فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [القمر: ١٢]، ﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [هود: ٤٣]، فهذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله إذا جاء ضرٌّ لا يدفعون عنكم شيئًا، فلماذا عبدتموهم مع وهاء بنيانهم؟! وقال بعض علماء العصر: إن بيت العنكبوت بيتٌ واه ضعيف؛ لأن أنثى العنكبوت تقتل الذكر بعد التلقيح، قالوا: فكأن البيت الذي لا يحكمه رجلٌ وتحكمه امرأة من أوهى البيوت هذه محنة جسيمة عظيمة كبيرة! أوهى البيوت بيتٌ تحكمه



امرأة، ويمشي بتدبير امرأة ! ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت :٤١]، ثم قال عز وجل: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت ٤٣].

وقال العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي: (هذا مثل ضرب الله لمن عبد معه غيره، يقصد به التعزز والتَّقَوِّي والنفع، وأن الأمر بخلاف مقصوده، فإن مثله كمثل العنكبوت، اتخذت بيتًا يقيها من الحر والبرد والآفات، ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ ﴾ أضعفها وأوهاها ﴿ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ﴾، فالعنكبوت من الحيوانات الضعيفة، وبيتها من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفًا، كذلك هؤلاء الذين يتخذون من دونه أولياء، فقراء عاجزون من جميع الوجوه، وحين اتخذوا الأولياء من دونه يتعززون بهم ويستنصرونهم، ازدادوا ضعفًا إلى ضعفهم، ووهنا إلى وهنهم، فإنهم اتكلوا عليهم في كثير من مصالحهم، وألقوها عليهم، وتخلوا هم عنها، على أن أولئك سيقومون بها، فخذلوهم، فلم يحصلوا منهم على طائل، ولا أنالوهم من معونتهم أقل نائل.

فلو كانوا يعلمون حقيقة العلم، حالهم وحال من اتخذوهم، لم يتخذوهم؛ ولتبرأوا منهم، ولتولوا الرب القادر الرحيم، الذي إذا تَوَلَّاه عبده وتوكل عليه، كفاه مئونة دينه ودنياه، وازداد قوة إلى قوته، في قلبه وفي بدنه وحاله وأعماله، ولما بين نهاية ضعف آلهة المشركين، ارتقى من هذا إلى ما هو أبلغ منه، وأنها ليست بشيء، بل هي مجرد أسماء سَمَّوها، وظنون اعتقدوها، وعند التحقيق، يتبين للعاقل بطلانها وعدمها، ولهذا قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ﴾ أي: إنه تعالى يعلم -وهو عالم الغيب والشهادة- أنهم ما يدعون من دون الله شيئًا موجودًا، ولا إلهًا له حقيقة، كقوله تعالى: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾.

وقوله: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ الذي له القوة جميعًا، التي قهر بها جميع المخلوقات، ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها، الذي

أحسن كل شيء خلقه، وأتقن ما أمره ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ﴾ أي: لأجلهم ولانتفاعهم وتعليمهم، لكونها من الطرق الموضحة للعلوم، ولأنها تقرب الأمور المعقولة بالأمور المحسوسة، فيتضح المعنى المطلوب بسببها، فهي مصلحة لعموم الناس. ولكن ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ ﴾ بفهمها وتدبرها، وتطبيقها على ما ضربت له، وعقلها في القلب ﴿إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ أي: أهل العلم الحقيقي، الذين وصل العلم إلى قلوبهم.

وهذا مدح للأمثال التي يضربها، وحثٌّ على تدبرها وتعقلها، ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين. والسبب في ذلك، أن الأمثال التي يضربها الله في القرآن، إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة، فأهل العلم يعرفون أنها أهم من غيرها، لاعتناء الله بها، وحثه عباده على تعقلها وتدبرها، فيبذلون جهدهم في معرفتها. وأما من لم يعقلها، مع أهميتها، فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم، لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة، فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأحرى، ولهذا، أكثر ما يضرب الله الأمثال في أصول الدين ونحوها)[1].

٣ ـ ضرب المثل بخلق الذباب:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج:٧٣-٧٤]، فانظر إلى هذا التعقيب! (قويٌّ عزيز) بعد إثبات عجزهم أن يخلقوا أخس حشرة موجودة، سمي الذباب ذبابًا؛ لأنه كلما ذبَّ آب، كلما دفعته رجع إليك، فضرب الله عز وجل المثل بهذا الذباب الخسيس. ولذلك استنكف المشركون من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت، فقالوا: أما يستحيي رب محمدٍ أن يضرب لنا المثل بالذباب والعنكبوت؟! فأنزل الله عز وجل قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (١/ ٦٣١).

مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [البقرة:٢٦] ﴿ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ كالذباب والعنكبوت فهذا مثل يفهمه العقلاء. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: وأداة النداء من معانيها أو من فوائدها: التنبيه والإيقاظ، (يا) فأنت تعطي أذنك كل النداء، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ لما سمعوا النداء أصاخوا بآذانهم، ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ [الحج:٧٣] ودائمًا تضرب الأمثال في التوحيد، وليس في الأحكام الشرعية. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ [الحج:٧٣].

وأصل الخلق الإيجاد من العدم؛ لكن إذا بنيت على موجود لا يقال: خلقت؛ لأن هناك مغالطة حصلت في هذا العصر في مسألة الاستنساخ. أول ما استنسخوا النعجة (دوللي) قالوا: لقد استطاعوا أن يخلقوا نعجة! وكذبوا؛ لأنهم أتوا بخلية من كائنٍ حي، والخلية هي من خلق الله عز وجل، فبنوا عليها فأين الخلق؟ لكنهم لبسوا على ضعاف العقول، وما أكثرهم! حتى قال قائلهم -وكفر بهذه المقالة-: إن ميلاد النعجة (دوللي) أعظم من ميلاد المسيح! فزعموا أن العباد فعلوا ما لم يفعله ربهم! ومع ذلك أفتى علماؤهم وأذكياؤهم: أن الاستنساخ تدمير للبشرية؛ لأن المستنسخ له نفس مواصفات الخلية، فلو أخذوا -مثلًا- خليةً من إنسان عمره -مثلًا- أربعون سنة، عنده مرض السكر والضغط والسل -أو أي مرض من هذه الأمراض- واستطاعوا أن ينموا إنسانًا من هذه الخلية، فسوف يكون عمر هذا الولد الرضيع أربعين سنة، وسوف يكون وهو رضيع مريض بالسل والضغط وبكل الأمراض التي في الخلية.

فتصور أن طفلًا رضيعًا به كل هذه الأمراض، وحين يصل إلى عمر عشر سنين سوف يمشي على عكاز! إذًا فنيت البشرية، أين طاقات الشباب وأين السواعد التي تبني الحضارات عندما يكون ابن عشر سنين عنده كل هذه الأمراض؟! فالاستنساخ تهديد للبشرية كلها، فهل يستطيعون أن يخلقوا الخلية ؟! هذا هو المذكور في هذا المثل ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا﴾ لا خلية الذباب ولا الذباب، ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾، لا يوصف أحدٌ بأنه

إله إلا إذا كان قادرًا على إمضاء أمره على غيره ولا يُغْلَب، فإذا غُلِب لم يكن إلهًا، وإذا أمر فلم يمض أمره لم يكن إلهًا.فلو سلمّنا جدلًا أن آلهتكم -أيها المشركين- كلها اجتمعت بطاقاتها ومواهبها وقدراتها جميعًا لا يستطيعون أن يخلقوا ذبابًا، وليس هذا فقط، بل هناك مسألة أحط من ذلك لا يستطيعونها أيضًا ﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾، وكأنه سبحانه وتعالى قال: لا يستطيعون، وأنا سأدلل لكم على أنهم أحقر من أن يخلقوا بأن أذكر شيئًا تافهًا لا يستطيعونه أيضًا.

﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ لا نكلفكم أكثر من طاقاتكم، ولن نقول: اخلقوا، عرفنا أنكم عجزة؛ لكن هذا ذبابٌ مخلوقٌ لله، وقع في إناء أحدكم وأخذ رشفةً من الشراب الذي يشربه، هل يستطيع أن يرجع هذا الشراب الذي أخذه الذباب من إنائه؟! هذه مرحلة أحط وأدنى من الأولى، ومع ذلك لا يستطيعونها ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج:٧٣] المطلوب: هو الذباب الضعيف، والطالب: هو هذا الكافر الذي ملأ الأرض فسادًا، وقال بعضهم: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾، لكنه عاجز عن استنقاذ شيء من الذباب: ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾، فإذا كان هؤلاء الذين تعبدونهم لا يستطيعون أن يفعلوا ذلك، فهم لا يستوون مع الله، فلماذا فعلتم هذا، وساويتم بين الله وبين الآلهة التي لا تستطيع أن تخلق ذبابًا؟ يا حسرتاه .﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [الحج:٧٣] إذ سووا بينه وبين الذي لا يخلق ذبابًا! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج:٧٤].

وقال العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي: (هذا مثل ضربه الله لقبح عبادة الأوثان، وبيان نقصان عقول من عبدها، وضعف الجميع، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ هذا خطاب للمؤمنين والكفار، المؤمنون يزدادون علمًا وبصيرة، والكافرون تقوم عليهم الحجة، ﴿ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ﴾ أي: ألقوا إليه أسماعكم، وتفهموا ما احتوى عليه، ولا يصادف منكم قلوبًا لاهية، وأسماعا معرضة، بل ألقوا إليه القلوب والأسماع، وهو هذا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، شمل كل ما يدعى من دون الله،

﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا﴾ الـذي هـو مـن أحقر المخلوقات وأخسـها، فليـس في قدرتهم خلق هـذا المخلوق الضعيف، فما فوقه من بـاب أولى، ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ بل أبلغ من ذلك لو ﴿يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ وهذا غاية ما يصير من العجز ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾ الـذي هـو المعبود مـن دون الله ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ الذي هو الذبـاب، فكل منهما ضعيف، وأضعف منهما، من يتعلق بهذا الضعيف، وينزله منزلة رب العالمين.

فهـذا ما قـدر ﴿ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ حيث سـوى الفقـير العاجز من جميـع الوجوه، بالغني القوي من جميع الوجوه، سوى من لا يملك لنفسه، ولا لغيره نفعًا ولا ضرًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشـورًا، بمن هو النافع الضار، المعطي المانع، مالك الملك، والمتصرف فيـه بجميع أنواع التصريـف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: كامل القوة، كامل العزة، من كـمال قوتـه وعزته، أنَّ نواصي الخلق بيديه، وأنه لا يتحرك متحرك، ولا يسـكن سـاكن، إلا بإرادتـه ومشـيئته، فـما شـاء الله كان وما لم يشـأ لم يكـن، ومن كمال قوته، أنه يمسـك السـماوات والأرض أن تـزولا ومن كمال قوته، أنه يبعث الخلـق كلهم، أولهم وآخرهم، بصيحة واحدة، ومن كمال قوته، أنه أهلك الجبابرة والأمم العاتية، بشيء يسـير، وسـوط من عذابه)[1].

٤ ـ ضرب المثل بالرجل الأبكم الذي هو كَلّ على مولاه:

ثم ضرب مثلًا آخر عجيبًا، أشد وضوحًا من الأول فقال عز وجل: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ [النحل: ٧٦] انظر إلى وضوح هذا المثل أكثر من الأول! ﴿أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ [النحل: ٧٦] أربعـة أوصاف لهذا العبد المخذول: أبكم لا يتكلم، والكلام نعمة؛ ولذلك شنَّ علماء المسلمين الغارة على الجهمية حين زعموا أن الله لا يتكلم، فقال مفتريهم عند تفسير قوله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ٧٦]، قال: إن الله لا يتكلم.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (١/ ٥٤٦).

صفـة الكلام صفة كـمال، وعدمها صفة نقص عند المخلوقـين، فكيفَ بالخالق عز وجـل؟! فقال أهل السـنة: هو متكلمٌ كان ولم يزل متكلـمًا؛ لأن عدم الكلام نقص. فهذا رجـلٌ أبكـم، عاجز لا يقدر على شيءٍ، ومن تمام عجـزه أنه كلٌّ على مولاه. نحن نعبد الله لأسباب كثيرة: منها أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، ومنها: أن يوصل النفع إلي، ويدفـع الـضر عني، فأنا إذا احتجت أقول: يـا رب.إذًا: أنا الذي أحتاج، وإلهي هو الذي يمـدني. تصـور العكس: أن إلهك الـذي تعبده يحتاج إليك! هذا الرجـل كلٌّ على مولاه، المفروض أن مولاه اشتراه لينتفع به، لكن مولاه هو الذي يخدمه، وهو الذي يشتغل له،

فهـذا العبد كلٌّ عـلى مولاه. ولو قال له مولاه: مللت منـك وليس منك أي فائدة: اذهب إلى الجهة الفلانية، ائتني بفلان، أو احضر لي كذا وكذا: (أينما يوجهه لا يأت بخير) إذا بعثه في معروف يأتي بمصيبة، لا ينطق، ولا يقدر على شيء، وأنا الذي أنفق عليه، فإذا أردت أن أسـتخدمه مـرة جاءني بمصيبة ! الطـرف الأول من المثل ﴿ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل:٧٦] ، أجيبوني أيها العقلاء! هل يسـتوون؟ مثل في غاية الوضوح. وهذان المثلان ضربهما الله عز وجل لنفسه مع الآلهة من دونه.هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل؟ لا يأمرُ إلا إذا كان قادرًا على إمضاء أمره، ولا يأمرُ إلا إذا كان متكلـمًا، إذًا يأمر هي ضد ﴿ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ أبكم: يعني لا يتكلم، في مقابله يأمر، لأنه لا يأمر إلا إذا كان متكلمًا، ثم لن يأمر إلا إذا كان قادرًا على إمضاء أمره، فهذا في مقابل: «لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُّ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ»؛ لأن ذاك العبـد الأبكم جاهل لا يعرف الخير من الـضر﴿ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ ولا يأمـر بالعـدل إلا إذا كان عالمًا بالفـرق بين العدل والجور، فهذا في مقابـل:« أَيْنَمَا يُوَجِّهُّ لا يَـأْتِ بِخَيْرٍ»، لكن هذه الكلمة المجملة ﴿ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل:٧٦] كانت كلها صفات في مقابل صفات النقص الأولى.

٥. ضرب المثل بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء:

في سورة النحل قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٧٣-٧٤]، ثم ضرب سبحانه وتعالى مثلين؛ ليبين أنهم لا يعلمون؛ وأن واقعهم ينادي أنهم لا يعلمون حتى وإن ادعوا أنهم يعلمون، وواقعهم ينادي بجهلهم، فهذا الجاهل الغبي كيف يضرب المثل لربه؟! وانظر إلى ترفق الله عز وجل بالعبد، وصبره على ضرب المثل له، وبسطهِ للعبارة! وهذا كله ينبئ بسعة حلمه على عبيده، قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ [النحل:٧٥] أي: لا يستوون، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾ [النحل:٧٥-٧٦] أربع صفات: ﴿ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل:٧٦].

تأمل هذا المثل ما أجمله وما أعجبه وأقواه في إقامة الحجة! مفتتح الآيات ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا ﴾ [النحل:٧٣] الشيء العجيب كلمة ﴿ شَيْـًٔا ﴾ هذه! ما موقعها؟ مع أنها لو حذفت استقام السياق: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ الكلام مستقيم، لكن جاءت كلمة: ﴿ شَيْـًٔا ﴾، هكذا منصوبة كأنها بدل، قال بعض النحاة: إنها بدل من ﴿ رِزْقًا ﴾؛ أي أنك تستطيع أن تضع البدل مكان المبدل منه وتصح العبارة، كأن تقول: (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم شيئًا) والرزق داخل في الكلام، لكن جاءت (رزقًا) ثم قال: (شيئًا). الرزق شيء، فكأن تقديم الرزق على الشيء من باب تقديم الخاص على العام، وهو عند علماء الأصول يفيد الاهتمام؛ كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ

صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢]، فالصلاة والنسك أخص، والمحيا أعم، لو قلت: (إن محياي لله) دخل فيه الصلاة والنسك وكل شيء، لكن تقديم الصلاة والنسك فيه دلالة على الاهتمام بالصلاة والنسك.

كما قال ﷺ: «**ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأةٍ ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**»، مع أن المرأة من الدنيا، فكان يمكن حذف المرأة ويقال: «**ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[1]، والمرأة من الدنيا، لكنه أفرد المرأة بالذكر بعد الدنيا إشعارًا بفتنتها وخطورتها. فبدأ الله عز وجل بذكر أن الآلهة من دونه لا يملكون للعباد رزقًا، وهذه قضية خطيرة وحيوية في حياة الناس. كم الذين داهنوا أعداء الله عز وجل، بل كانوا عونًا لهم بدعوى أكل العيش ! كم الذين ارتكبوا المحرمات ولا يزالون يقول لك: أكل عيش ! ماذا أفعل؟! المرتب الأولاد الأكل الشرب... فارتكبوا المحرمات بدعوى الأكل والشرب والرزق! فالله عز وجل ذكر هذه القضية الخطيرة الحيوية في حياة الخلق، بدأ بها: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا ﴾ [النحل:٧٣].

حسنًا: هذا لا يملك لك رزقًا لماذا تعبده؟ وواقعك في الدنيا يكشف أنك اتبعت كل جبارٍ عنيد من أجل الرزق ولقمة العيش، فلماذا خالفت هنا ؟! ثم ضرب الله عز وجل مثلًا فقال: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا ﴾ [النحل:٧٥]، وهذا واقع في حياة العرب، كان عندهم عبيد، وكانوا يعلمون أن العبد المملوك لا يقدر على شيء أبدًا، لذلك من العلماء من لم يجز شهادة العبيد لماذا؟ قال: لأن العبد في ملك سيده، فقد يُدعى العبد للشهادة، فيقول له سيده: لا تذهب، فهو مسلوب الإرادة، ولا بد له أن يطيع سيده؛ فتضيع الشهادات وتضيع الحقوق؛ لذلك قال: هذا عبدٌ مملوك لا تناط به الشهادة، ولا يملك حل شيء ولا ربطه.

---

(١) أخرجه البخاري [١] «بدء الوحي». وقال النووي: «وهو حديث مجمع على عظمته وجلالته وهو أحد قواعد الدين وأول دعائمه وأشد أركانه وهو أعظم الأحاديث التي عليها مدار الإسلام».

فيا أيها العرب: عندكم عبيد، وأنتم تعلمون أنهم لا يملكون شيئًا، فنضرب المثل لكم بما تعلمون. وقال: (مملوكًا) حتى يظهر المعنى؛ لأنه لو قال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا﴾ فقد تتصور أن المراد مطلق العبودية، التي تشمل الحر والمملوك؛ لكنه أراد أن يخرج الحر من ضرب المثل، وأن المثل مضروبٌ للملوك. كلمة ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ معناها: أنه لا يقدر على شيء، لكنه أبان عن عجزه الكامل ودفع كل تأويلٍ يُتَأَوَّل به فقال: ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ من باب التأكيد والبيان، كما قال تعالى في مفتتح هذا الربع في سورة النحل: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [النحل:٥١]، مع أنه مستقرٌّ عند جميع الناس أن الإلهين لا يكونان ثلاثة ولا أربعة ولا خمسة، إلهان: مثنى، فهما اثنان، إنما جاء هذا للتأكيد، كما لو قلت: أنا رأيتك بعيني، مع أنك لا ترى إلا بعينيك، أو تقول: أنا سمعتك بأذني، مع أنك لا تسمع إلا بأذنيك. ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [النحل:٧٥]، هذا هو الشطر الأول من المثل، ثم قال تعالى: ﴿وَمَن رَّزَقْنَـٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾: أي ضرب الله بالرجل الحر المثل، وتأمل كلمة ﴿مِنَّا﴾ هذه التي تفيد الإمداد الشخصي، ملك من الملوك يمد رجلًا يقول: أنا الذي أعطيتك، إمداد شخصي.

فالله عز وجل يقول: أنا الذي أمده، وأنا الذي أرزقه، وفيه عناية بهذا العبد. ﴿وَمَن رَّزَقْنَـٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾: رجلٌ حر، ينفق ماله سرًا وجهرًا، يمينًا وشمالًا، وعنده رافد ومعين لا ينضب، وهو: أن ملك الملوك -تبارك اسمه- هو الذي يمده، فهو رجل لا يخشى الفقر ولا الفاقة، فهو ينفق ببذخ وسخاء، بالله عليكم هل يستوون؟! انظر إلى وضوح المثل، فهو واضح جدًا؛ ولذلك قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٧٥]، حمد الله عز وجل نفسه أنهم لا يستوون في عقل أي عاقل، وحمد الله عز وجل نفسه أن الذين كفروا لا يعلمون، إذ لو علموا لشغبوا على الذين آمنوا؛ فليظل هؤلاء في جهلهم يرتكسون. وهكذا يحمد الله عز وجل نفسه أنه لا يوصل الخير إلى الذين ظلموا، قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ

﴿ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٤٥]، فحمد نفسه بعد إهلاك الذين ظلموا؛ لأن في إهلاكهم نجاة للذين آمنوا. وفي غيابهم أيضًا نجاةٌ لحجج الذين آمنوا، قال النبي ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم منافقٌ عليم اللسان يجادل بالقرآن»(١)؛ لأنه يضل الناس، منافق له لسانٌ عذب يستطيع أن يقيم الحجج ويزين الكلام، فمع نفاقه لا يخلو كلامه من آيةٍ وحديث. فمع حسن العرض وتزيين الكلام بالآية والحديث يظن الناس أنه من الحق؛ فيفتتنوا، فهذا أخوف ما يخاف رسول الله ﷺ على الأمة: «منافق عليم اللسان يجادل بالقرآن».

فإضلال الذين كفروا عن موضع الحجة نعمة؛ لذلك حمد الله نفسه عليها: ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾؟ أي إنسان عنده مسكة من عقل يقول: لا يستوون، فقال الله عز وجل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٦ ـ ضرب المثل بحال المشركين مع المؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل:٤٥]، قال ابن عاشور: «هذا مثلٌ ثالث ضُربه الله لحال المشركين مع المؤمنين وجعله تسلية لرسوله ﷺ بأن له أسوة بالرسل والأنبياء من قبله»(٢).

٧ ـ ضرب المثل للدنيا والايمان والنفس:

قال الله تعالى ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل:٨٨].

قال ابن عاشور: قال الماوردي: قيل هذا مثل ضربه الله، أي وليس بخبر. وفيما ضرب فيه المثل ثلاثة أقوال:

(١) إسناده صحيح: أخرجه أحمد برقم [١٤٣ - ٣١٠] وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر رحمه الله.
(٢) «التحرير والتنوير» (١٠/ ٢٩١).

أحدهما- أنه مثل للدنيا يظن الناظر إليها أنها ثابتة كالجبال وهي آخذة بحظها من الزوال كالسحاب، قاله سهل بن عبد الله التستري.

الثاني- أنه مثل للإيمان تحسبه ثابتًا في القلب، وعمله صاعد إلى السماء.

الثالث- إنه مثل للنفس عند خروج الروح، والروح تسير إلى العرش. وكأنهم أرادوا بالتمثيل التشبيه والاستعارة .ولا يخفى على الناقد البصير بعد هذه التأويلات الثلاثة لأنه إن كان ﴿ٱلْجِبَالَ﴾ مشبهًا بها فهذه الحالة غير ثابتة لها حتى تكون هي وجه الشبه وإن كان لفظ ﴿ٱلْجِبَالَ﴾ مستعارًا لشيء وكان مر السحاب كذلك كان المستعار له غير مصرح به ولا ضمنيًا. وليس في كلام المفسرين شفاء لبيان اختصاص هذه الآية بأن الرائي يحسب الجبال جامدة، ولا بيان وجه تشبيه سيرها بسير السحاب، ولا توجيه التذليل بقوله تعالى ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾، فلذلك كان لهذه الآية وضع دقيق، ومعنى بالتأمل خليق، فوضعها أنها وقعت موقع الجملة المعترضة بين المجمل وبيانه من قوله ﴿فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل :٨٧- ٨٩]، بأن يكون من تخلل دليل على دقيق صنع الله تعالى في أثناء الإنذار والوعيد إدماجًا وجمعًا بين استدعاء للنظر، وبين الزواجر والنذر، كما صنع في جملة ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ [النمل :٨٦] الآية.أو هي معطوفة على جملة ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ [النمل :٨٦]، الآية وجملة ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ [النمل :٨٧]، معترضة بينهما لمناسبة ما في الجملة المعطوف عليها من الإيماء إلى تمثيل الحياة بعد الموت، ولكن هذا استدعاء لأهل العلم والحكمة لتتوجه أنظارهم إلى ما في هذا الكون من دقائق الحكمة وبديع الصنعة. وهذا من العلم الذي أودع في القرآن ليكون معجزة من الجانب العلمي يدركها أهل العلم.

كما كان معجزة للبلغاء من جانبه النظمي، فإن الناس كانوا يحسبون أن الشمس تدور حول الأرض، فينشأ من دورانها نظام الليل والنهار، ويحسبون الأرض ساكنة. واهتدى بعض علماء اليونان إلى أن الأرض هي التي تدور حول الشمس في كل يوم وليلة دورة تتكون منها ظلمة نصف الكرة الأرضي تقريبًا وضياء النصف الآخر وذلك ما يعبر عنه بالليل والنهار، ولكنها كانت نظرية مرموقة بالنقد وإنما كان الدال عليها قاعدة أن الجرم الأصغر أولى بالتحرك حول الجرم الأكبر المرتبط بسيره، وهي علة إقناعية لأن الحركة مختلفة المدارات، فلا مانع من أن يكون المتحرك الأصغر حول الأكبر في رأي العين وضبط الحساب وما تحققت هذه النظرية إلا في القرن السابع عشر بواسطة الرياضي «غاليلي» الإيطالي.

والقرآن يدمج في ضمن دلائله الجمة وعقب دليل تكوين النور والظلمة دليلًا رمز إليه رمزًا؛ فلم يتناوله المفسرون أو تسمع لهم ركزًا. وإنما ناط دلالة تحرك الأرض بتحرك الجبال منها لأن الجبال هي الأجزاء الناتئة من الكرة الأرضية فظهور تحرك ظلالها متناقصة قبل الزوال إلى منتهى نقصها، ثم آخذة في الزيادة بعد الزوال. ومشاهدة تحرك تلك الظلال تحركًا يحاكي دبيب النمل أشد وضوحًا للراصد، وكذلك ظهور تحرك قممها أمام قرص الشمس في الصباح والماء أظهر مع كون الشمس ثابتة في مقرها بحسب أرصاد البروج والأنواء. ولهذا الاعتبار غير أسلوب الاستدلال الذي في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ ﴾ [النمل: ٨٦]، فجعل هنا بطريق الخطاب ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ ﴾؛ والخطاب للنبي ﷺ تعليمًا له لمعنى يدرك هو كنهه، ولذلك خص الخطاب به ولم يعمم كما عمم قوله ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ ﴾ [النمل: ٨٦]، في هذا الخطاب وادخارًا لعلماء أمته الذين يأتون في وقت ظهور هذه الحقيقة الدقيقة.

فالنبي ﷺ أطلعه الله على هذا السر العجيب في نظام الأرض كما أطلع إبراهيم عليه السلام على كيفية إحياء الموتى، اختص الله رسوله ﷺ بعلم ذلك

في وقته وائتمنه على علمه بهذا السر العجيب في قرآنه ولم يأمره بتبليغه إذ لا يتعلق بعلمه للناس مصلحة حنيئذ حتى إذا كشف العلم عنه من نقابه وجد أهل القرآن ذلك حقًا في كتابه فاستلوا سيف الحجة به وكان في قرابه . وهذا التأويل للآية هو الذي يساعد قوله ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ ﴾ المقتضي أن الرائي يراها في هيئة الساكنة، وقوله: ﴿ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾ إذ هذا التأويل بمعنى الجامدة هو الذي يناسب حالة الجبال إذ لا تكون الجبال ذائبة. وقوله ﴿ وَهِيَ تَمُرُّ ﴾ الذي هو بمعنى السير ﴿ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾، أي مرًا واضحًا لكنه لا يبين من أول وهلة. وقوله بعد ذلك كله ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾، المقتضي أنه اعتبار بحالة نظامها المألوف لا بحالة انخرام النظام لأن خرم النظام لا يناسب وصفه بالصنع المتقن ولكنه يوصف بالأمر العظيم أو نحو ذلك من أحوال الآخرة التي لا تدخل تحت التصور.

و﴿ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ مصدر مبين لنوع مرور الجبال، أي مرورًا تنتقل به من جهة إلى جهة مع أن الرائي يخالها ثابتة في مكانها كما يخال ناظر السحاب الذي يعم الأفق أنه مستقر وهو ينتقل من صوب إلى صوب ويمطر من مكان إلى آخر، فلا يشعر به الناظر إلا وقد غاب عنه. وبهذا تعلم أن المر غير السير الذي في قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ [الكهف:٤٧]، فإن ذلك في وقت اختلال نظام العالم الأرضي. وانتصب قوله ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ﴾ على المصدرية مؤكدًا لمضمون جملة ﴿ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ بتقدير: صنع الله ذلك صنعًا. وهذا تمجيد لهذا النظام العجيب إذ تتحرك الأجسام العظيمة مسافات شاسعة والناس يحسبونها قارة ثابتة وهي تتحرك بهم ولا يشعرون. والجامدة: الساكنة، قاله ابن عباس(١).

٨ـ ضرب المثل للتأسي بالأنبياء السابقين:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص:٤١، ٤٢].

---

(١) «التحرير والتنوير» (١٠/ ٢٣٥).

قال ابن عاشـور: «هذا مَثَل ذُكّر به النبي ﷺ أسـوة به في الصبر على أذى قومه والالتجاء إلى الله في كشف الضر»(١).

٩ ـ ضرب المثل في اغواء الشيطان للإنسان والتبرأ منه:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الحشر:١٦،١٧]، قال ابن عاشور: «هذا مثل آخر لُمَثَّل آخر، وليس مثـلًا منْضمًا إلى المثل الذي قبله؛ لأنه لـو كان ذلك لكان معطوفًا عليه بالواو، أو ب (أو) والوجـه: أن هذا المثل متصل بقولـه: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الحشر:١٥]، كما يفصح عنه قوله في آخـره: ﴿ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ ﴾ الآية، أي مثلهم في تسـبيبهم لأنفسـهم عذاب الآخرة كمثل الشـيطان إذ يوسـوس للإنسـان بأن يكفر ثـم يتركه ويتبرأ منـه، فلا ينتفع أحدهمـا بصاحبه ويقعـان معًا في النار .فجملـة ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾حال من ضمير ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[الحشر:١٥]، أي في الآخرة والتعريف في﴿ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ تعريف الجنس وكذلك تعريف «الإنسان».

والمـراد به الإنسـان الكافـر ولم تُرد في الآخرة حادثة معيَّنة من وسوسـة الشـيطان لإنسـان معيَّن في الدنيا، وكيف يكون ذلك والله تعـالى يقول: ﴿ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الحشر:١٦]، وهل يتكلم الشيطان مع الناس في الدنيا فـإن ظاهـرة قولـه: ﴿ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ ﴾ أنه يقوله للإنسـان، وإما احتـمال أن يقوله في نفســه فهـو احتمال بعيد. فالحق: أن قول الشـيطان هذا هـو ما في آية ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ

(١) «التحرير والتنوير» (١٢/ ٢٣٥).

وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، والمعنى: إذ قال للإنسان في الدنيا: اكفر، فلما فر ووافى القيامة على الكفر قال الشيطان يوم القيامة: ﴿ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ ﴾، أي قال كل شيطان لقرينه من الإنس: ﴿ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ ﴾ طمعًا في أن يكون ذلك منجيه من العذاب. ففي الآية إيجاز حذف حُذف فيها معطوفات مقدرة بعد شرط ﴿ لَمَّا ﴾ هي داخلة في الشرط إذ التقدير: فلما كفر واستمر على الكفر وجاء يوم الحشر واعتذر بأن الشيطان أضله قال الشيطان: ﴿ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ ﴾ الخ. وهذه المقدرات مأخوذة من آيات أخرى مثل آية سورة إبراهيم وآية سورة ق: ﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ ﴾ الآية. وظاهر أن هذه المحاجة لا تقع إلا في يوم الجزاء وبعد موت الكافر على الكفر دون من أسلموا.

وقول: ﴿ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ﴾ من تمام المثل. أي كان عاقبة الممثل بهما خسرانهما معًا. وكذلك تكون عاقبة الفريقين الممثلين أنهما خائبان فيما دبّرا وكادا للمسلمين. وجملة ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ تذييل، والإشارة إلى ما يدل عليه ﴿ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ ﴾ من معنى، فكانت عاقبتهما سوأى والعاقبة السّوأى جزاء جميع الظّالمين المعتدين على الله والمسلمين، فكما كانت عاقبة الكافر وشيطانه عاقبة سوء كذلك تكون عاقبة الممثلين بهما وقد اشتركا في ظلم أهل الخير والهدى[1].

١٠ - ضرب المثل بحال الكافر والمؤمن:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك: ٢٢]، قال ابن عاشور: (هذا مثَل ضربه الله للكافرين والمؤمنين أو لرجلين): كافر ومؤمن، لأنه جاء مفرعًا على قوله: ﴿ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾ [الملك: ٢٠]، وقوله: ﴿ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ [الملك: ٢١]، وما اتصل ذلك به من الكلام الذي سيق مساق الحجة عليهم بقوله: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ ﴾ [الملك: ٢٠] ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرْزُقُكُمْ

(١) «التحرير والتنوير» (١٥/ ٩).

إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥ ﴾ [الملك :٢١]، وذلك مما اتفق عليه المفسرون على اختلاف مناحيهم ولكن لم يعرج أحد منهم على بيان كيف يتعين التمثيل الأول للكافرين والثاني للمؤمنين حتى يظهر وجه إلزام الله المشركين بأنهم أهل المثل الأول مثَلِ السوء، فإذا لم يتعين ذلك من الهيئة المشبهة لم يتضح إلزام المشركين بأن حالهم حال التمثيل الأول، فيخال كل من الفريقين أن خصمه هو مضرب المثل السوء. ويتوهم أن الكلام ورد على طريقة الكلام المُنصِف نحو ﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [سبأ :٢٤].

بذلك ينبو عنه المقام هنا لأن الكلام هنا وارد في مقام المحاجة والاستدلال وهنالك في مقام المتاركة أو الاستنزال . والذي انقدح لي: أن التمثيل جرى على تشبيه حال الكافر والمؤمن بحالة مشي إنسان مختلفة وعلى تشبيه الدين بالطريق المسلوكة كما يقتضيه قوله: ﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾، فلا بد من اعتبار مَشي المكبّ على وجهه مشيًا على صراط مُعْوجّ، وتعين أن يكون في قوله: ﴿ مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ ﴾استعارة أخرى بتشبيه حال السالك صراطًا معوجًا في تأمله وترسُّمه آثار السير في الطريق غير المستقيم خشية أن يضلّ فيه، بحال المكِبّ على وجهه يتوسم حال الطريق وقرينة ذلك مقابلته بقوله: ﴿ سَوِيًّا ﴾ المشعر بأن ﴿ مُكِبًّا ﴾ أطلق على غير السوي وهو المنحني المطاطىء يتوسم الآثار اللائحة من آثار السائرين لعله يعرف الطريق الموصلة إلى المقصود .فالمشرك يتوجه بعبادته إلى آلهة كثيرة لا يدري لعل بعضها أقوى من بعض وأعطفُ على بعض القبائل من بعض، فقد كانت ثقيف يعبدون اللات، وكان الأوس والخزرج يعبدون مناة، ولكل قبيلة إله أو آلهة فتقسموا الحاجات عندها واستنصر كل قوم بآلهتهم وطمعوا في غنائها عنهم، وهذه حالة يعرفونها فلا يمترون في أنهم مضرب المثل الأول، وكذلك حال أهل الإشراك في كل زمان، ألا تسمع ما حكاه الله عن يوسف عليه السلام من قوله: ﴿ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾ [يوسف :٣٩].

ويُنَور هذا التفسير أنه يفسره قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، وقوله:﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨]؛ فقابل في الآية الأولى الصراط المستقيم المشبه به الإسلام بالسُّبل المتفرقة المشبه بها تعداد الأصنام، وجعل في الآية الثانية الإسلام مشبهًا بالسبيل وسالكُه يدعو ببصيرة ثم قابل بينه وبين المشركين بقوله: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨]، فالآية تشتمل على ثلاث استعارات تمثيلية فقوله ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ ﴾ تشبيه لحال المشرك في تقسُّم أمره بين الآلهة طلبًا للذي ينفعه منها الشاكّ في انتفاعه بها، بحال السائر قاصدًا أرضًا معينة ليست لها طريق جادة فهو يتتبع بنيات الطريق الملتوية وتلتبس عليه ولا يوقن بالطريقة التي تبلُغ إلى مقصده فيبقى حائرًا متوسمًا يتعرف آثار أقدام الناس وأخفاف الإبل فيعلم بها أن الطريق مسلوكة أو متروكة.

وفي ضمن هذه التمثيلية تمثيلية أخرى مبنية عليها بقوله: ﴿ مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ ﴾ بتشبيه حال المتحيّر المتطلب للآثار في الأرض بحال المكب على وجهه في شدة اقترابه من الأرض. وقوله: ﴿أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا ﴾ تشبيه لحال الذي آمن بربٍ واحدٍ الواثق بنصر ربه وتأييده وبأنه مصادف للحق، بحال الماشي في طريق جادة واضحة لا ينظر إلّا إلى اتجاه وجهه فهو مستو في سيره. وقد حصل في الآية إيجاز حذف إذ استغني عن وصف الطريق بالالتواء في التمثيل الأول لدلالة مقابلته بالاستقامة في التمثيل الثاني، والفاء التي في صدر الجملة للتفريع على جميع ما تقدم من الدلائل والعبر من أول السورة إلى هنا، والاستفهام تقريري .والمُكِب: اسم فاعل من أكَب، إذا صار ذا كَبّ، فالهمزة فيه أصلها لإفادة المصير في الشيء مثل همزة: أقشع السحابُ، إذا دخل في حالة القشع، ومنه قولهم: انفض القوم إذا هلكت مواشيهم، وأرملوا إذا فني زادهم، وهي أفعال قليلة فيما جاء فيه المجرد متعديًا

والمهموز قاصرًا. و﴿ أَهْدَىٰٓ ﴾ مشتق من الهُدَى، وهو معرفة الطريق وهو اسم تفضيل مسلوب المفاضلة لأن الذي يمشي مكبًا على وجهه لا شيء عنده من الاهتداء فهو من باب قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾ [يوسف:٣٣]، في قول كثير من الائمة. ومثل هذا لا يخلو من تهكم أو تلميح بحسب المقام. والسويّ: الشديد الاستواء فعيل بمعنى فاعل قال تعالى: ﴿ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴾ [مريم:٤٣]؛ و (أم) في قوله: ﴿ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا ﴾ حرف عطف وهي (أم) المعادلة لهمزة الاستفهام. و (مَن) الأولى والثانية في قوله: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ ﴾ أو قوله: ﴿ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا ﴾ موصولتان ومَحْملهما أن المراد منهما فريق المؤمنين وفريق المشركين، وقيل: أريد شخص معيّن أريد بالأولى أبو جهل، وبالثانية النبي ﷺ أو أبو بكر أو حمزة رضي الله عنهما (١).

١١ ـ ضرب المثل لأهل مكة.

قال الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [النحل:١١٢، ١١٣].

قال العلامة الشنقيطي: قال بعض أهل العلم: «إن هذا مثلٌ ضربه الله لأهل مكة»، وهو رواية العوفي عن ابن عباس، وإليه ذهب مجاهد وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وحكاه مالك عن الزهري رحمهم الله، نقله عنهم ابن كثير، وهذا الصفات المذكورة التي اتصفت بها هذه القرية – تتفق مع صفات أهل مكة المذكورة في القرآن. فقوله عن هذه القرية ﴿ كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴾ قال نظيره عن أهل مكة. كقوله: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا ﴾[القصص:٥٧] الآية، وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا

(١) «التحرير والتنوير» (١٥/ ٢٢٦).

ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت :٦٧] الآية، وقوله: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ [قريش :٤]، وقوله: ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾[آل عمران :٩٧]، وقوله: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [البقرة :١٢٥] الآية، وقوله:﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ قال نظيره عن أهل مكة أيضًا كقوله: ﴿ يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [القصص :٥٧]، وقوله: ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾[قريش :١، ٤] فإن رحلة الشتاء كانت إلى اليمن، ورحلة الصيف كانت إلى الشام، وكانت تأتيهم من كلتا الرحلتين أموال وأرزاق.

ولذا أتبع الرحلتين بامتنانه عليهم: بأن أطعمهم من جوع . وقوله في دعوة إبراهيم: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾[البقرة :١٢٦] ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [إبراهيم :٣٧]، الآية وقوله: ﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ ﴾ ذكره نظيره عن أهل مكة في آيات كثيرة. كقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم :٢٨]، وقوله: ﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ وقع نظيره قطعًا لأهل مكة. لما لجوا في الكفر والعناد، ودعا عليهم رسول الله ﷺ ، وقال: «**اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف**»[1]؛ فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء، حتى أكلوا الجيف والعلهز. (وهو وبر البعير يخلط بدمه إذا نحروه)، وأصابهم الخوف الشديد بعد الأمن. وذلك الخوف من جيوش رسول الله ﷺ ، وغزواته وبعوثه وسراياه . وهذا الجوع والخوف أشار لهما القرآن على بعض التفسيرات[2].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٠٠٦- ٢٩٣٢- ٦٣٩٣) ومسلم برقم [٦٧٥١] وابن ماجه [١٢٤٤] وابن خزيمة [٦١٥].

(٢) «أضواء البيان» (٣/ ٨٢).

١٢ ـ ضرب المثل للكفار بصممهم عن سماع ما ينفعهم دون غيره.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴾ [النَّمۡلِ: ٨٠]؛ قال العلامة الشنقيطي: «المراد بالموتى الذين ماتوا بالفعل، ولكن المراد بالسماع المنفي في قوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ خصوص السماع المعتاد الذي ينتفع صاحبه به، وأن هذا مثل ضرب للكفار، والكفار يسمعون الصوت، لكن لا يسمعون سماع قبول بفقه واتباع كما قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾ [البَقَرَة: ١٧١] فهكذا الموتى الذين ضرب بهم المثل لا يجب أن ينفى عنهم جميع أنواع السماع كما لم ينف ذلك عن الكفار، بل قد انتفى عنهم السماع المعتاد الذي ينتفعون به، وأما سماع آخر فلا، وهذا التفسير جزم به واقتصر عليه العلامة أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1].

١٣ ـ ضرب المثل لتشبيه اليهود بالحمير.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الجُمُعَة: ٥]؛ قال العلامة الشنقيطي: «هذا مثل ضربه الله لليهود، وهو أنه شبههم بحمار، وشبه التوراة التي كلفوا العمل بما فيها بأسفار أي كتب جامعة للعلوم النافعة، وشبه تكليفهم بالتوراة: بحمل ذلك الحمار لتلك الأسفار، فكما أن الحمار لا ينتفع بتلك العلوم النافعة التي فى تلك الكتب المحمولة على ظهره، فكذلك اليهود لم ينتفعوا بما في التوراة من العلوم النافعة لأنهم كلفوا باتباع محمد ﷺ وإظهار صفاته للناس، فخانوا وحرفوا وبدّلوا فلم ينفعهم ما في كتابهم من العلوم ووجه الشبه عدم الانتفاع بما تحملوه من التوراة وهم يعلمون ما فيها من رسالة محمد ﷺ .

وقد أوضح الله تعالى هذا في موضع آخر في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [البَقَرَة: ١٤٦]، فقد

(١) «أضواء البيان» (٦/ ١٩٣).

جحدوا رسالة محمد ﷺ وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فلم ينفعهم علمهم به، وهذه الآية أشد ما ينبغي الحذر منها، وخاصة لطلاب العلم وحملته، كما قال تعالى: ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ﴾ [الجمعة:٥]، أي تشبيههم في هذا المثل بهذا الحيوان المعروف. والذي ينبغي التنبيه عليه هو أن أكثر المفسرين يجعله من قبيل التشبيه المفرد، وأن وجه الشبه فيه مفرد وهو عدم الانتفاع بالمحمول، كالبيت الذي فيه:

كالعيس في البَيْداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

والذي يظهر والله تعالى أعلم، أنه من قبيل التشبيه التمثيلي لأن وجه الشبه مركب من مجموع كون المحمول كتبًا نافعة، والحامل حمار لا علاقة له بها بخلاف ما في البيت، لأن العيس يمكن أن تنتفع بالماء لو حصلت عليه، والحمار لا ينتفع بالأسفار ولو نشرت بين عينيه، وفيه إشارة إلى أن من موجبات نقل النبوة عن بني إسرائيل كلية أنهم وصلوا إلى حد الإياس من انتفاعهم بأمانة التبليغ والعمل، فنقلها الله إلى قوم أحق بها وبالقيام بها»[1].

١٤- ضرب المثل بإخراج الله تعالى أوليائه من ظلمة الجهل إلى نور العلم:

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨].

قال العلامة أبو بكر جابر الجزائري: لما ذكر الله تعالى ولايته لأوليائه وأنه مؤيدهم وناصرهم ومخرجهم من الظلمات إلى النور ذكر مثالًا لذلك وهو محاجة النمرود لإبراهيم عليه السلام فقال تعالى مخاطبًا رسوله محمدًا ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ إلى علمك حجاج ذاك الطاغية الذي بطرته نعمة الملك الذي آتيناه امتحانًا له، فكفر وادعى الربوبية وحاج خليلنا فبينا إنه لأمر عجب. إذ قال له إبراهيم: ربي الذي

(١) «أضواء البيان» (٨/ ٢٥٢).

يحيي ويميت، وأنت لا تحيي ولا تميت، فقال: أنا أحيي وأميت، فرد عليه إبراهيم حجته قائلًا: ربي يأتي بالشمس من المشرق فأت بها أنت من المغرب، فاندهش وتحير وانقطع وأيد الله وليه إبراهيم فانتصر، فهذا مثال إخراج الله تعالى أولياءه من ظلمة الجهل إلى نور العلم)[1].

١٥ - ضرب المثل على قدرة الله تعالى على احياء الموتى:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

قال العلامة أبو بكر جابر الجزائري: «هذا مثل آخر معطوف على الأول الذي تجلت فيه على حقيقتها ولاية الله لإبراهيم حيث أيده بالحجة القاطعة ونصره على عدوان النمرود قال تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ ﴾ فارغة من سكانها ساقطة سقوفها على مبانيها فقال المارّ بها مُستبعدًا حياتها مرة ثانية: كيف يحيي الله هذه القرية بعد خرابها؟ فأماته الله مائة عام ثم أحياه، وسأله: كم لبثت؟ قال: حسب عادة من نام في يوم واستيقظ فيه فإنه يرى أنه نام يومًا أو بعض يوم؛ فأجابه مُصَوِّبًا فهمه: بل لبثت مائة عام.

ولكي تقتنع بما أخبرت به فانظر إلى طعامك وكان سلة من تين، وشرابك وكان عصيرًا من عنب فإنه لم يتغير طعمه ولا لونه وقد مر عليه قرن من الزمن، وانظر إلى حمارك فإنه هلك بمرور الزمن ولم يبق منه إلا عظامه تلوح بيضاء فهذا دليل قاطع على

---

(١) «أيسر التفاسير» (١/ ١٣١).

موته وفنائه، لمرور مائة سنة عليه، وانظر إلى العظام كيف نجمعها ونكسوها لحمًا فإذا هي حمارك الذي كنت تركبه من مائة سنة ونمت وتركته إلى جانبك يرتع.

وتجلت قدرة الله في عدم تغير الذي جرت العادة أنه يتغير، وفي تغير الذي جرت العادة أنه لا يتغير إلا في عشرات الأعوام، وهو الحمار. كما هي ظاهرة في موت صاحبهما وحياته بعد لبثه على وجه الأرض ميتًا لم يعثر عليه أحد طيلة مائة عام. وقال له الرب تبارك وتعالى بعد أن وقفه على مظاهر قدرته: فعلنا هذا بك لنريك قدرتنا على إحياء القرية متى أردنا إحياءها ولنجعلك في قصتك هذه آية للناس، تهديهم إلى الإيمان وتوحيدنا في عبادتنا وقدرتنا على البعث الآخر الذي لا ريب فيه لتجزى كل نفس بما كسبت. وأخيرًا لما لاحت أنوار ولاية الله في قلب هذا العبد المؤمن الذي أثار تعجبه خراب القرية فاستبعد حياتها قال: ﴿ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾، فهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ ﴾[1].

١٦ - ضرب المثل بثبوت عقيدة الحياة الثانية ببعث الخلائق أحياء للحساب والجزاء:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٠].

قال العلامة أبو بكر جابر الجزائري: «هذا مثل ثالث يوجه إلى الرسول والمؤمنين حيث تتجلّى لهم ولايته تعالى لبعاده المؤمنين بإخراجهم من الظلمات إلى النور حتى مجرّد ظلمة باستبعاد شيء عن قدرة الله تعالى، أو تطلع إلى كيفيّة إيجاد شيء ومعرفة صورته. فقال تعالى: اذكروا ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾. سأل إبراهيم ربّه أن يريه طريقة الإحياء كيف تتم هل هي جارية على نواميس معيّنة أم هي مجرد قدرة يقول

(١) «أيسر التفاسير» (١/ ١٣٢).

صاحبها للشيء كون فيكون، فسـأله ربه- وهو عليم -: به أتقول الذي تقول ولم تؤمن؟ قـال إبراهيـم: بلى أنا مؤمن بأنك عـلى كل شيء قدير، ولكن أريـد أن أرى صورة لذلك يطمئن لها قلبي ويسكن من التطلع والتشوق إلى معرفة المجهول لدي. فأمره تعالى إجابة لـه لأنه وليّه؛ فلم يشـأ أن يتركه يتطلع إلى كيفيّـة إحياء ربه الموتى، أمره بأخذ أربعة طيور وذبحهـا وتقطيعهـا أجزاء وخلطها مع بعضها بعضًا ثم وضعها على أربعة جبال على كل جبـل ربع الأجزاء المخلوطة، ففعل، ثم أخذ بـرأس كل طير على حِدَةٍ ودعاه فاجتمعت أجـزاؤه المفرقة المختلطة بأجزاء غيره وجاءه يسـعى فقدم له رأسـه، فالتصق به وطار في السـماء وإبراهيم ينظر ويشـاهد مظاهر قدرة ربّه العزيز الحكيم. سـبحانه لاإله غيره ولا رب سواه [١].

١٧ ـ ضرب المثل فيمن يعبد غير الله تعالى بدعاء أوذبح أو نذر أو خوف أو رجاء.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٣، ١٦].

قال العلامة أبو بكر جابر الجزائري: «هذا مثل من يعبد غير الله تعالى بدعاء أو ذبح أو نذر أو خوف أو رجاء، فهو محروم الاسـتجابة خائب في مسـعاه ولن تكون له عاقبته إلا النـار والخـسران وهو معنى قولـه تعـالى: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ اي: بطلان وخـسران، وقولـه تعـالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، أي: الملائكة ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾، أي: من مؤمن يسـجد طوعًا، ومنافق أي: يسـجد كرهًا، ﴿وَظِلَٰلُهُم﴾ أيضًا ﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾ أوائل

(١) «أيسر التفاسير» (١/ ١٣٣).

النهـار، ﴿ وَٱلۡأٓصَالِ ﴾ أواخـر النهار، ومعنى الآيـة الكريمة: إذا لم يسـجد الكافرون إن لم ينقادوا لعبادة الله وحده تعالى.

فإن الله يسـجد له من في السماوات من الملائكة، ومن في الأرض من الجن والأنس المؤمنون يسـجدون طائعين، والكافرون يسـجدون اذا أكرهوا على السجود، والمنافقون يسجدون مكرهين، وظلالهم تسجد في البكر والعشايا كما أنهم منقادون لقضاء الله تعالى وحكمـه فيهم لا يسـتطيعون الخروج عنه بحـال، فهو الذي خلقهم وصَّورهم كما شـاء ورزقهم ما شـاء ويميتهم متى شـاء فأي سجود وخضوع وركوع أظهر من هذا ؟ وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي من خالقهما ومالكهما ومدبر الأمر فيهما ؟ وأمر رسـوله أن يسـبقهم إلى الجـواب ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ إذ لا جواب لهم الا هو، وبعـد أن أقروا بأن الرب الحق هو الله، أمر رسوله ﷺ أن يقول لهم موبخًا مقرعًا ﴿ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ﴾، أي شركاء لا يملكون لأنفسـهم نفعًا، ولا ضرًا، فضلًا عن أن يملكوا لكم نفعًا أو يدفعـون عنكم ضرًا؛ فأيـن يذهب بعقولكم أيها المشركون، ومبالغـة في البيان وإقامة للحجة والبرهان على وجوب التوحيد وبطلان الشرك والتنديد أمر رسوله أن يقول لهم: ﴿ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ﴾؟ والجواب قطعًا لا.

إذًا فكيـف يستوي المؤمـن والكافـر، وكيف يسـتوي الهـدى والضـلال، فالمؤمن يعبـد الله عـلى بصيرة على علـم أنه خالقه ورازقـه يعلم سره ونجواه إذا دعاه أرسـل إليه رسوله، وأنزل عليه كتابه، والكافر المشرك يعبد مخلوقًا من مخلوقات الله لا تملك لنفسها، فضلًا عن عابديها نفعًا ولا ضرًا، لا تسمع نداءً ولا تجيب دعاء، المؤمن يعبد الله بما شرع لـه من عبادات وبما طلبت منه مـن طاعات وقربات، والكافر المشرك يعبد الباطل بهواه، ويسلك الغيّ في الحياة.

وقوله: ﴿ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ أي، بل جعلوا لله شركاء، فخلقـت تلك الشركاء خلقًا كخلق الله؛ فتشـابه الخلق على المشركين، فعبدوها ظنًا منهم

أنها خلقت كخلق الله؟ والجواب لا فإنها لم تخلق، ولا تستطيع خلق ذبابة، فضلًا عن غيرها إذًا فكيف تصح عبادتها وهي لم تخلق شيئًا، وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ أي قل أيها الرسول للمشركين عند اعترافهم بأن آلهتهم لم تخلق شيئًا قل لهم: الله خالق كل شيء وهو الواحد الذي لا شريك له ولا ند ولا مثل، القهار لكل جبار، والمذل لكل معاند كفار، هو المستحق للعبادة، الواجب له الطاعة، الإيمان به هدى والكفر به ضلال[1].

١٨ ـ ضرب المثل للأعمال الصالحة والأعمال الطالحة:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم: ١٥، ١٨].

قال العلامة أبو بكر جابر الجزائري: هذا آخر حديث ذَكَّر به موسى قومه من أنباء الأمم السابقة على بني إسرائيل، قال تعالى في الإخبار عنهم: ﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾؛ أي: واستفتح الرسل أي طلبوا من الله تعالى أن يفتح عليهم بنصر على أعدائه واستجاب الله لهم، ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾، إي خسر وهلك كل ظالم طاغ معاند للحق وأهله، وقوله ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ ﴾، أي أمامة جهنم تنتظره سيدخلها بعد هلاكه ويعطش ويطلب الماء، فتسقيه الزبانية ﴿ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾، أي وهو صديد أهل النار وهو ما يخرج من قيح ودم وعرق، ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ ﴾، أي يبتلعه جرعة بعد أخرى لمرارته ﴿ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾ أي يدخله جوفه الملتهب عطشًا لقبحه ونتنه ومرارته وحرارته، وقوله تعالى: ﴿ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾، أي ويأتي هذا

---

(١) «أيسر التفاسير» (٢/ ٢٤٣- ٢٤٤).

الجبـار العنيد والذي هو في جهنم يقتله الظمأ، فيسـقى بالماء الصديد يأتيه الموت لوجود أسـبابه وتوفرها مـن كل مكان إذ العذاب محيط به من فوقه ومـن تحته، وعن يمينه وعن شـماله، ومـا هو بميـت، لأن الله تعالى لم يشـأ ذلك قـال تعـالى: ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ وقـال: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر:٣٦]، ومـن وراء ذلك العذاب الذي هو فيه ﴿عَذَابٌ ﴾، أي لون آخر من العذاب ﴿ غَلِيظٌ ﴾، أي شـديد لا يطـاق، وقوله تعـالى: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ [ابراهيم:١٤]، أي شـديد هبـوب الريح فيه ﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا ﴾ [ابراهيم:١٨]، أي من أعمال في الدنيا ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ أي من الثواب والجزاء الحسن عليها، هـذا مثل أعمالهم الصالحة كأنواع الخير والبر، والطالحـة كالشرك والكفر وعبادة غير الله ممـا كانـوا يرجون نفعه، الكل يذهب ذهاب رماد حملته الريح وذهبت به، مشـتدة في يوم عاصف شـديد هبوب الريح فيه، وقوله تعـالى: ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾، أي ذلك الـذي دل عليـه المثل هو الضلال البعيد لمن وقع فيه إذ ذهب كل عمله سـدى بغير طائل فلم ينتفع بشيء منه وأصبح من الخاسرين(١).

١٩ ـ ضرب المثل للمغرورين بالمال والسلطان.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف:٤٥، ٤٦].

قال العلامة ابو بكر جابر الجزائري: هذا مثل آخر مضروب أي مجعول للحياة الدنيا حيث اغتر بها الناس وخدعتهم، فصرفتهم عن الله تعالى ربهم، فلم يذكروه ولم يشـكروه فاسـتوجبوا غضبه وعقابه. قال تعالى: في خطاب رسـوله محمد ﷺ: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم ﴾، أي لأولئك المغرورين بالمال والسـلطان ﴿مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾، أي صفتها الحقيقية

---

(١) «أيسر التفاسير» (٢/ ٢٦١).

التـي لا تختلف عنها بحـال ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾، فزها وازدهر واخضر وأنضر فأعجب أصحابه، وأفرحهم وسرهم ما يأملون منه.

وفجـأة أتـاه أمـر الله بريـاح لاحِفة، محرقـة، ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾، أي يابسًـا متهشـمًا متكسـرًا ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾، هنـا وهنـاك ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾، أي قـادرًا كامـل القدرة، فأصبح أهل الدنيا مبلسـين آيسـين من كل خـير ؛ وقوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾، إنـه بعد أن ضرب المثل للحياة الدنيا التي غرت أبناءها، فأوردتهم موارد الهلاك، أخبر بحقيقة أخرى يُعَلِمُ فيها عباده لينتفعوا بها، وهي أن ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ﴾، أي الأولاد ﴿زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، لا غير أن يتجمل بهما سـاعة ثم يبيدان ويذهبان، فلا يجوز الاغترار بهما، بحيث يصبحان هَمَّ الإنسـان في هذه الحياة فيصرفانه عن طلب سـعادة الآخرة بالإيمان وصالح الأعمال، هـذا جزء الحقيقـة في هذه الآية، والجزء الثاني هـو أن ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾، المراد بها أفعال البر وضروب العبادات ومنها سـبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، أي هذه ﴿خَيْرٌ ثَوَابًا﴾، أي جزاءً وثمارًا، يجنيه العبد من الكدح المتواصـل في طلب الدنيا مع الإعراض عن طلب الآخرة، ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ يأمله الإنسـان من الخير ويرجوه ويرغب في تحصيله(١).

٢٠ ـ ضرب المثل بأعمال المؤمنين والكافرين:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٣٩، ٤٠].

(١) «أيسر التفاسير» (٢/ ٣٨٦).

قال العلامة أبو بكر جابر الجزائري: قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابِۭ ﴾، لَمَّاَ بيَّن تعالى حال المؤمنين وأنه تعالى وفَّاهم أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون، وزادهم من فضله ذكر هنا حال الكافرين وهو أن أعمالهم في خسرانها وعدم الانتفاع بها كسراب وهو شعاع أبيض يُرَى في نصف النهار وكأنه ماء ﴿بِقِيعَةٍ﴾، أي بقاع من الأرض وهو الأرض المنبسطة ﴿ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً ﴾، أي يظنه العطشان ماء وما هو بماء ولكنه سراب خادع ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾، لأنه سرابٌ لا غير.

فيا للخيبة، خيبة ظمآن يقتله العطش، فرأى سرابًا فجرى وراءه يظنه ماءً، فإذا به لم يجد الماء، ووجد الحق تبارك وتعالى؛ فحاسبه على كل أعماله وهي في جملتها أعمال إجرامٍ وشرٍ وفسادٍ فوفاه إياها فخسر خسرانًا مبينًا، ﴿ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾، فما هي إلا لحظات والكافر في سواء الجحيم. هذا مَثَلٌ تضمنته الآية الأولى «٣٩»، ومثل آخر تضمنته الآية الثانية «٤٠» وهو مثل مضروب لضلال الكافر وحيرته في حياته وما يعيش عليه من ظلمة الكفر، ظلمة العمل والاعتقاد الباطل، وظلمة الجهل بربه وما يريده منه، وما أعده له قال تعالى: ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ ﴾، أي ذي لجج من الماء ﴿ يَغْشَىٰهُ ﴾، أي يعلوه ﴿ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ ﴾، أي من فوق الموج موج آخر ﴿ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ﴾، والسحاب عادة مظلم فهي ﴿ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ﴾، لشدة الظلمة، هذه حال الكافر في هذه الحياة الدنيا، وهي ناتجة عن إعراضه عن ذكر ربه وتوغله في الشر والفساد وقوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾، أعلم تعالى عباده أن النور له وبيده، فمن لم يطلبه منه حرمه وعاش في الظلمات والعياذ بالله[1].

٢١ - ضرب المثل للتمييز بين الموحد والمشرك:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٢٧-٢٩].

(١) «أيسر التفاسير» (٣/ ٦٢).

قال العلامة أبو بكر جابر الجزائري: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾؛ يخبر تعالى بما منَّ به على العرب لهدايتهم حيث جعل لهم في القرآن الكريم من أمثال الأمم السابقة في إيمانها وتكذيبها، وصلاحها وفسادها ونجاتها وخسرانها وكل ذلك بقرآن عربي لا عوج فيه، أي لا لبس ولا خفاء ولا اختلاف، فَعَلَ ذلك لهم لعلهم يتذكرون أي يتعظون، فيؤمنون ويوحدون، فينجون من العذاب ويسعدون .

وقوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ ﴾، إلى آخر الآية، هذا مثل من جملة الأمثال التي ضرب الله للناس لعلهم يتذكرون وهو مثل للمشرك الذي يعبد عدة آلهة. والموحد الذي لا يعبد غير الله، فالمشرك مثله رجل يملكه عدد من الرجال من ذوي الأخلاق الشرسة، والطباع الجافة، فهم يتنازعونه هذا يقول له تعالى والآخر يقول له اجلس والثالث يقول له قم، فهو في حيرة من أمره لا راحة بدن ولا راحة ضمير ونفس. والموحد مثله رجل سلم أي خالص وسالم لرجل واحد آمره وناهيه واحد هل يستويان أي الرجلان .

والجواب لا إذ بينهما كما بين الحرية والعبودية وأعظم، وقوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾، أي الثناء بالجميل لله، والشكر العظيم له سبحانه وتعالى على أنه رب واحد وإله واحد لا إله غيره ولا رب سواه. وقوله ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، أي بل أكثر المشركين لا يعلمون عدم تساوي الرجلين، وذلك لجهلهم وفساد عقولهم [(١)].

٢٢ - ضرب المثل بعدم انتفاع الكافر بقرابة المؤمن وعدم تضرر المؤمن بقرابة الكافر.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي

---

(١) «أيسر التفاسير» (٣/ ٤٢٣).

عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ [التحريم: ١٠، ١٢].

قال العلامة أبو بكر جابر الجزائري: ضرب الله مثلًا في عدم انتفاع الكافر بقرابة المؤمن مهما كانت درجة القرابة عنده. وهو امرأة لوط وامرأة نوح؛ إذ كانت كل واحدة منهما تحت نبي رسول، فخانتاهما في دينهما، فكانتا كافرتين، فامرأة نوح تفشي سر من يؤمن بزوجها وتُخبر به الجبابرة من قوم نوح حتى يبطشوا به، وكانت تقول لهم إن زوجها مجنون، وامرأة لوط كانت كافرة وتدل المجرمين على ضيوف لوط إذا نزلوا عليه في بيته، وذلك في الليل بواسطة النار، وفي النهار بواسطة الدخان.

فلما كانتا كافرتين لم تُغن عنهما قرابتهما بالزوجية شيئًا. ويوم القيامة يقال لهما: ادخلا النار مع الداخلين من قوم نوح وقوم لوط. ومثل آخر في عدم تضرر المؤمن بقرابة الكافر ولو كانت القرابة الزوجية وما أقواها، وهو - المثل - امرأة فرعون الكافر الظالم آسيا بنت مزاحم كانت قد آمنت بموسى مع من آمن، فلما عرف فرعون إيمانها أمر بقتلها، فلما علمت بعزم الطاغية على قتلها قالت في مناجاتها لربها: (رَب ابن لي عندك بيتًا في الجنة ونجني من فرعون وعمله) الذي هو الكفر والظلم حتى لا أكون كافرة بك ولا ظالمة لأحد من خلقك، ونجني من القوم الظالمين أي من عذابهم، فُشدت أيديها وأرجلها لتلقى عليها صخرة عظيمة إن هي أصرت على الإيمان، فرفعت بصرها إلى السماء، فرأت بيتها في الجنة، ففاضت روحها شوقًا إلى الله وإلى بيتها في الجنة وقد رأته، فوصلت الصخرة إليها بعد أن فاضت روحها فنَجَّاها الله من عذاب القتل الذي أراده لها فرعون وعصابته الظلمة الكافرون.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾، عطف تعالى مريم على آسيا ليكون المثل مكونًا من امرأتين مؤمنتين، كالمثل الأول كان مكونًا من امرأتين كافرتين،

فقـال عـز وجل: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾، عن الرجال في الوقت الذي عمَّ البغاء والزنا ديار بني اسرائيل، كما هي الحال اليوم في ديار اليهود وأمثالهم قد لا تسلم امرأة من الزنا بها، فلم يضر ذلك مريم لما كانت عفيفة طاهرة، بل أكرمها الله لَمَّا أحصنت فرجهـا بأن أرسـل إليها روحـه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وأمره أن ينفـخ في كم درعها، فسرت النفخة بقدرة الله تعالى في جسمها، فحملت بعيسى الذي كان بكلمة الله -كن-، فيكون في ساعة وصول أهواء النفخة وولدته للفور[1] كرامة من الله للتي أحصنت فرجها خوفًا مـن الله وتقربًـا إليه، وما ضرها أن العهر والزنا قد انتشر حولها ما دامت هي طاهرة كما لم يضر كفر فرعون آسيا الطاهرة.

وكـما لم ينفع إيمان وصلاح نوح ولوط امرأتيهما الكافرتين الخائنتين قال ابن عباس رضي الله عنهما ما بغت امرأة نبي قط، وهو كما قال فوالله ما زنت امرأة نبي قط، لولاية الله تعالى لأنبيائه، فكيف يخزيهم ويذلهم حاشـاه تعالى أن يخزي أولياءه أو يذلهم، فالمراد من الخيانة المذكورة في قوله تعالى فخانتاهما الخيانة في الدين وإفشاء الأسرار.

وقوله تعالى: ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا ﴾، أي بشرائعه وبكتبه التي أنزلها على رسله، ﴿ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾، أي المطيعين لله تعالى الضارعين له المخبتين[2].

٢٣ ـ ضرب المثل لرجل غني عمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق عمله:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٦].

---

(١) الراجح غيره وهو قول الجمهور أنها ولدته بعد حمل تسعة أشهر كما نص عليه ابن كثير رحمه الله تعالى.
(٢) «أيسر التفاسير» (٤/ ٢٨٤)

قال الدكتور/ محمد سيد طنطاوي: «قال ابن عباس: ضربت مثلا لرجل غني عمل بطاعة الله. ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق عمه . وروى ابن أبي مليكة أن عمر تلا هذه الآية وقال: هذا مثل ضربه الله للإنسان يعمل عملا صالحًا حتى إذا كان عند آخر عمره أحوج ما يكون إليه عمل العمل السيئ» (١) .

٢٤ ـ ضرب المثل للمكذبين بآيات الله المنزلة على رسوله محمد ﷺ .

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٧].

قال الدكتور/ محمد سيد طنطاوي: قال صاحب المنار: هذا مثل ضربة الله تعالى للمكذبين بآيات الله المنزلة على رسوله محمد ﷺ وهو مثل من آتاه الله آياته، فكان عالمًا بها حافظًا لقواعدهًا وأحكامها قادرًا على بيانها والجدل بها، ولكنه لم يؤت العمل مع العلم، بل كان عمله مخالفًا تمام المخالفة لعلمه؛ فسلب هذه الآيات، لأن العلم الذى لا يعمل به لا يلبث أن يزول فأشبه الحية التى تنسلخ من جلدها وتخرج منه وتتركه على الأرض، أو كان فى التباين بين علمه وعمله كالمنسلخ من العلم التارك له، كالثوب الخلق يلقيه صاحبه، والثعبان يتجرد من جلده حتى لا تبقى له به صلة على حد قول الشاعر:

خلقوا وما خلقوا لمكرمة ... فكأنهم خلقوا وما خلقوا
رزقوا وما رزقوا سماح يد ... فكأنهم رزقوا وما رزقوا

(١) «التفسير الوسيط» (١/ ٤٩٦)

فحاصل معنى المثل: أن المكذبين بآيات الله المنزلة على رسوله مع إيضاحها بالحجج والدلائل كالعالم الذى حُرِمَ ثمرة الانتفاع من علمه، لأن كلًا منهما لم ينظر فى الآيات نظر تأمل واعتبار وإخلاص.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾، أي: أقرأ على قومك يا محمد ليعتبروا ويتعظوا خبر ذلك الإنسان الذى آتيناه بأن علمناه إياها، وفهمناه مراميها، فانسلخ من تلك الآيات انسلاخ الجلد من الشاة، أو الحية من جلدها . والمراد أنه خرج منه بالكلية بأن كفر بها، ونبذها وراء ظهره، ولم ينتفع بما اشتملت عليه من عظات وإرشادات.

وحقيقة السلخ كشط الجلد وإزالته بالكلية عن المسلوخ عنه، ويقال لكل شىء فارق شيئًا على أتم وجه انسلخ منه؛ وفى التعبير به مالا يخفى من المبالغة وقوله: ﴿ فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾، أى: فلحقه الشيطان وأدركه فصار هذا الإنسان بسبب ذلك من زمرة الضالين الراسخين فى الغواية، مع أنه قبل ذلك كان من المهتدين: وفى التعبير بقوله : ﴿ فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾، مبالغة فى ذم هذا الإنسان وتحقيره، جعل كأنه إمام للشيطان والشيطان يتبعه، فهو على حد قول الشاعر:

وكان فتى من جند إبليس فارتقى   به الحال حتى صار إبليس من جنده

قال الجمل: أتبعه فيه وجهان:

أحدهما- أنه متعد لواحد بمعنى أدركه ولحقه، وهو مبالغة فى حقه حيث جعل إمامًا للشيطان.

وثانيهما- أن يكون متعديًا لاثنين لأنه منقول بالهمزة من تبع، والمفعول الثاني محذوف تقديره: فأتبعه الشيطان خطواته، أي جعله تابعًا لها.

وقوله ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا ﴾، كلام مستأنف مسوق لبيان ما ذكر من الانسلاخ وما يتبعه. والضمير فى قوله ﴿لَرَفَعْنَٰهُ ﴾ يعود إلى الشخص المعبر عنه بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِيٓ ﴾والضمير فى قوله : ﴿بِهَا ﴾ يعود إلى الآيات، ومفعول المشيئة محذوف.

أى: ولو شئنا رفعه بسبب تلك الآيات إلى درجات الكمال والعرفان ﴿لَرَفَعْنَٰهُ ﴾ لأننا لا يستعصي على قدرتنا شيء، ولكننا لم نفعل ذلك لأن سنتنا جرت أن نرفع من عنده الاستعداد لذلك أما الذين ﴿ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾، فنذرهم فى ضلالهم يعمهون، هذا والذى ذهب إليه المحققون من العلماء أن هذه الآيات الكريمة المثل فيها مضروب لكل إنسان أوتي علمًا ببعض آيات الله، ولكنه لم يعمل بمقتضى علمه، بل كفر بها ونبذها وراء ظهره وصار هو والجاهل سواء [1].

٢٥ ـ ضرب المثل لأعمال الكفار الذين عبدوا مع الله غيره، وكذبوا رسله، وبنوا أعمالهم على غير أساس صحيح، فانهارت وعدموها وهم أحوج ما كانوا إليها:

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم :١٨].

قال الدكتور/ محمد سيد طنطاوي: وقال الإمام ابن كثير ما ملخصه: هذا مثل ضربة الله تعالى لأعمال الكفار الذين عبدوا مع الله غيره، وكذبوا رسله، وبنوا أعمالهم على غير أساس صحيح، فانهارت وعدموها وهم أحوج ما كانوا إليها. . . كما قال- تعالى- ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان :٢٣]، وكما قال تعالى:﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾ [آل عمران :١١٧].

---

(١) «التفسير الوسيط» (١/ ١٧٣٩)

واسـم الإشـارة في قوله :﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾، يعود إلى ما دل عليه التمثيل مـن بطـلان أعمالهم، وذهاب أثرهـا. أي: ذلك الحبوط لأعمالهم، وعـدم انتفاعهم بشيء منهـا، هـو الضلال البعيـد. أي: البالغ أقـصى نهايته، والـذى ينتهى بصاحبـه إلى الهلاك والعذاب المهين .ووصف - سـبحانه - الضلال بالبعد، لأنه يؤدي إلى خسران لا يمكن تداركه، ولا يرجى الخلاص منه (١).

٢٦ ـ ضرب المثل لمن نقض العهد.

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [النحل:١١٧].

قال الدكتور/ محمد سيد طنطاوي: قال مجاهد وقتادة وابن زيد: هذا مثل لمن نقض عهده بعد توكيده؛ وهذا أرجح وأظهر سواء أكان بمكة امرأة تنقض غزلها أم لا. والمعنى: كونوا - أيها المسلمون - أوفياء بعهودكم، ولا تنقضوها بعد إبرامها، فإنكم إن نقضتموها كان مثلكـم كمثل تلـك المرأة الحمقاء، التي كانت تفتل غزلها فتـلًا محكمًا، ثم تنقضه بعد ذلـك، وتتركه مرة أخرى قطعًا منكوثة محلولة) وقوله - سـبحانه -﴿ تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾ إبطـال للأسـباب التـي كان يتخذهـا بعض الناس ذرائع ومبررات لنقض العهود) والمعنى: ولا تكونوا مشـبهين لامرأةٍ هذا شـأنها، حالة كونكم متخذين أيمانكم وأقسامكم وسيلة للغدر والخيانة، من أجل أن هناك جماعة أوفر عددًا وأكثر مالًا من جماعة أخرى (٢).

(١) «التفسير الوسيط» (١/ ٢٤٢٢).

(٢) « التفسير الوسيط» (١/ ٢٥٦٤).

٢٧ ـ ضرب المثل لكفار قريش:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[القلم: ١٧، ٣٣].

قال الدكتور/ محمد سيد طنطاوي: قال الإمام ابن كثير ما ملخصه: هذا مثل ضربه الله – تعالى – لكفار قريش، فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة، وأعطاهم من النعم الجسيمة، وهو بعثه محمدًا ﷺ إليهم فقابلوه بالتكذيب والمحاربة)[1].

٢٨ ـ ضرب المثل للمنفقين أموالهم على وجه تزكو عليه نفقاتهم وتقبل به صدقاتهم:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٣].

قال العلامة/ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي: (هذا مثل المنفقين أموالهم على وجه تزكو عليه نفقاتهم وتقبل به صدقاتهم فقال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ أي: قصدهم بذلك رضى ربهم والفوز بقربه ﴿ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ أي: صدر الإنفاق على وجه منشرحة له النفس سخية به، لا على وجه التردد وضعف النفس في إخراجها وذلك أن النفقة يعرض لها آفتان إما أن يقصد الإنسان بها محمدة الناس ومدحهم وهو الرياء، أو يخرجها على خور وضعف عزيمة وتردد، فهؤلاء

(١) «التفسير الوسيط» (١/ ٤٢٩٠).

سلموا من هاتين الآفتين فأنفقوا ابتغاء مرضات الله لا لغير ذلك من المقاصد، وتثبيتًا من أنفسهم، فمثل نفقة هؤلاء ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾.

أي: كثيرة الأشجار غزيرة الظلال، من الاجتنان وهو الستر، لستر أشجارها ما فيها، وهذه الجنة ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ أي: محل مرتفع ضاح للشمس في أول النهار ووسطه وآخره، فثماره أكثر الثمار وأحسنها، ليست بمحل نازل عن الرياح والشمس، فـ ﴿أَصَابَهَا﴾ أي: تلك الجنة التي بربوة ﴿وَابِلٌ﴾، وهو المطر الغزير ﴿فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ أي: تضاعفت ثمراتها لطيب أرضها ووجود الأسباب الموجبة لذلك، وحصول الماء الكثير الذي ينميها ويكملها ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ أي: مطر قليل يكفيها لطيب منبتها، فهذه حالة المنفقين أهل النفقات الكثيرة والقليلة كل على حسب حاله، وكل ينمي له ما أنفق أتم تنمية وأكملها والمنمي لها هو الذي أرحم بك من نفسك، الذي يريد مصلحتك حيث لا تريدها، فيالله لو قدر وجود بستان في هذه الدار بهذه الصفة لأسرعت إليه الهمم وتزاحم عليه كل أحد، ولحصل الاقتتال عنده، مع انقضاء هذه الدار وفنائها وكثرة آفاتها وشدة نصبها وعنائها، وهذا الثواب الذي ذكره الله كأن المؤمن ينظر إليه بعين بصيرة الإيمان، دائم مستمر فيه أنواع المَسَرَّات والفرحات، ومع هذا تجد النفوس عنه راقدة، والعزائم عن طلبه خامدة، أترى ذلك زهدًا في الآخرة ونعيمها، أم ضعف إيمان بوعد الله ورجاء ثوابه؟! وإلا فلو تيقن العبد ذلك حق اليقين وباشر الإيمان به بشاشة قلبه لانبعثت من قلبه مزعجات الشوق إليه، وتوجهت همم عزائمه إليه، وطوعت نفسه له بكثرة النفقات رجاء المثوبات، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيعلم عمل كل عامل ومصدر ذلك العمل، فيجازيه عليه أتم الجزاء[١].

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (١/ ١١٤).

٢٩ ـ ضرب المثل بقبح الشرك:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم: ٢٨].

قال العلامة/ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي:-

هـذا مثـلٌ ضربَـه الله تعـالى لقُبْـح الـشرك وتهجينه مثلًا مـن أنفسـكم لا يحتاج إلى حـلٍ وترحـال وإعـمال الجـمال. ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ أي: هـل أحدٌ مـن عبيدكم وإمائكم الأرقاء يشـاركم في رزقكم وتَرَوْنَ أنكم وهم فيه على حد سـواء. ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: كالأحرار الشركاء في الحقيقة الذين يخاف من قسـمه واختصـاص كل شيء بحاله؟ ليس الأمر كذلك، فإنه ليس أحد مما ملكت أيمانكم شريكًا لكم فيما رزقكم الله تعالى.

هذا، ولسـتم الذيـن خلقتموهم ورزقتموهم وهـم أيضًا مماليـك مثلكم، فكيف تَرْضَـوْنَ أن تجعلـوا لله شريكًا من خلقه وتجعلونه بمنزلته، وعديلًا له في العبادة وأنتم لا ترضون مسـاواة مماليككم لكم؟ هذا من أعجب الأشياء ومن أدل شيء على «سفه» من اتخذ شريكًا مع الله وأن ما اتخذه باطل مضمحل ليس مساويًا لله ولا له من العبادة شيء. ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ ﴾ بتوضيحها بأمثلتها ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ الحقائق ويعرفون، وأمـا مـن لا يعقل؛ فلو فُصِّلَت لـه الآيات وبينت له البينات لم يكـن له عقل يبصر به ما تبين ولا لُبٌّ يعقل به ما توضح، فأهل العقول والألباب هم الذين يسـاق إليهم الكلام ويوجه الخطاب [١].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (١/ ٦٤٠).

٢٠ - ضرب المثل بذكر المنافقين وما يوقدونه من نار الفتنة التي يوقعونها بين أهل الإسلام:

قال الله تعالى: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٠].

قال العلامة: محمد جمال الدين القاسمي: قال الإمام العلامة ابن القيم في كتابه «إجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية»: في هذه الآية شبّه سبحانه أعدائه المنافقين، بقومٍ أوقدوا نارًا لتضيء لهم، وينتفعوا بها، فلمّا أضاءت لهم النار فأبصروا في ضوئها ما ينفعهم ويضرهم، وأبصروا الطريق - بعد أن كانوا حيارى تائهين - فهم كقوم سَفْرٍ ضلوا عن الطريق، فأوقدوا النار لتضيء لهم الطريق فلما أضاءت لهم - فأبصروا وعرفوا - طَفِئَت تلك الأنوار، وتبقوا في الظلمات لا يبصرون، قد سُدت عليهم أبواب الهدى الثلاث - فإن الهدى يدخل إلى العبد من ثلاثة أبواب: ما يسمعه بإذنه، ويراه بعينه، ويعقل بقلبه.

وهؤلاء قد سُدت عليهم أبواب الهدى، فلا تسمع قلوبهم شيئًا، ولا تبصره، ولا تعقل ما ينفعها وقيل: لما لم ينتفعوا بأسماعهم وأبصارهم وقلوبهم نزلوا بمنزلة من لا سمع له، ولا بصر، ولا عقل، والقولان متلازمان. وقال في صفتهم: ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ لأنهم قد رأوا في ضوء النار، وأبصروا الهدى، فلما طَفِئَت عنهم لم يرجعوا إلى ما رأوا وأبصروا. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ ولم يقل: ذهب نورهم، وفيه سرّ بديع: وهو انقطاع سر تلك المعية الخاصة - التي هي للمؤمنين - من الله تعالى، فإن الله تعالى مع المؤمنين ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣]، و: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

فذهاب الله بذلك النور: انقطاع المعية - التي خصّ بها أولياءه - فقطعها بينه وبين المنافقين، فلم يبق عندهم - بعد ذهاب نورهم - ولا معهم، فليس لهم نصيب من قوله: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠]، ولا من: ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ

رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [النحل: ١٥٣]. وتأمل قوله تعالى: ﴿ أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ﴾، كيف جعل ضوءها خارجًا عنه، منفصلًا، ولو اتصل ضوؤُها به، ولابَسَه، لم يذهب، ولكنه كان ضوء مجاورة لا ملابسة ومخالطة، وكان الضوء عارضًا والظلمة أصلية، فرجع الضوء إلى معدنه، وبقيت الظلمة في معدنها، فرجع كلٌّ منهما إلى أصله اللائق به: حجة من الله قائمة، وحكمة بالغة، تعرَّف بها إلى أولي الألباب من عباده.

وتأمل قوله تعالى: ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ ولم يقل بنارهم، ليطابق أول الآية، فإن النار فيها إشراق وإحراق؛ فذهب ما فيها من الإشراق - وهو النور - وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق - وهو النارية - وتأمّل كيف قال: ﴿ بِنُورِهِمْ ﴾ ولم يقل: بضوئهم مع قوله: ﴿ فَلَمَّآ أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ﴾ - لأن الضوء هي زيادة في النور، فلو قيل: ذهب الله بضوئهم، لأوهم الذهاب بالزيادة فقط دون الأصل، فلما كان النور أصل الضوء، كان الذهاب به ذهابًا بالشيء وزيادته، وأيضًا فإنه أبلغ في النفي عنهم، وأنهم من أهل الظلمات الذين لا نور لهم، وأيضًا فإن الله تعالى سمّى كتابه: نورًا، ورسوله ﷺ: نورًا، ودينه: نورًا، وهُداه: نورًا، ومن أسمائه: النور، والصلاة: نور. فذهابه سبحانه بهم: ذهابٌ بهذا كله.

وتأمل مطابقة هذه المثل - لما تقدمه من قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٦]؛ كيف طابق هذه التجارة الخاسرة، التي تضمنت هول الضلالة والرضاء بها، وبدّل الهدى في مقابلتها، وهول الظلمات - التي هي الضلالة والرضاء بها - بدلًا عن النور - الذي هو الهدى والنور - فبدّلوا الهدى والنور، وتعوّضوا عنه بالظلمة والضلالة، فيا لها من تجارةٍ ما أخسرها، وصفقةٍ ما أشدَّ غبنها.

وتأمل كيف قال تعالى: ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ فوحّده ثم قال: ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ ﴾ فجمعها. فإن الحق واحد: هو صراط الله المستقيم - الذي لا صراط يوصل إليه سواه -

وهو عبادته وحده لا شريك له، بما شرعه على لسان رسوله ﷺ، لا بالأهواء، والبدع، وطرق الخارجين عما بعث الله به رسوله ﷺ من الهدى ودين الحق-، بخلاف طرق الباطل؛ فإنها متعددة متشعبة. ولهذا، يُفرِدُ -سبحانه- الحق، ويجمع الباطل، كقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ ﴾ [البقرة:٢٥٧]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام:١٥٣]، فجمع سُبُل الباطل، ووحّد سبيل الحق، ولا يناقضِ هذا قوله: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ [المائدة:١٦]؛ فإنّ تلك هي طرق مرضاته التي يجمعها سبيله الواحد، وصراطه المستقيم: إنّ طرق مرضاته كلها ترجع إلى صراطٍ واحدٍ، وسبيلٍ واحدٍ، وهي سبيله التي لا سبيل إليه إلا منها.

وقد قيل: إنَّ هذا مثلٌ للمنافقين، وما يوقدونه من نار الفتنة التي يوقعونها بين أهل الإسلام، ويكون بمنزلة قول الله تعالى: ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ [المائدة:٦٤]. ويكون قوله تعالى: ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ مطابقًا لقوله تعالى: ﴿ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ ويكون تخييبهم، وإبطال ما راموه، هو: تركهم في ظلمات الحيرة، لا يهتدون إلى التخلص مما وقعوا فيه، ولا يبصرون سبيلًا، بل هم: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾. وهذا التقدير- وإن كان حقًا- ففي كونه مرادُ بالآية نظر؛ فإنّ السياق إنما قصد لغيره، ويأباه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ﴾، وموقدُ نار الحرب لا يضيء ما حوله أبدًا، ويأباه قوله تعالى: ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ وموقد نار الحرب لا نور له، ويأباه قوله تعالى: ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾؛ وهذا يقتضي أنهم انتقلوا من نور المعرفة والبصيرة، إلى ظلمة الشك والكفر.

قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: هو المنافق أبصر ثم عمي، وعرف ثم أنكر. ولهذا قال: ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾، أي: لا يرجعون إلى النور الذي فارقوه. وقال تعالى في حق الكفار: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ

عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾، فسلب العقل عن الكفار - إذ لم يكونوا من أهل البصيرة والإيمان- وسلب الرجوع عن المنافقين- لأنهم آمنوا ثم كفروا- فلم يرجعوا إلى الإيمان.

ثم ضرب الله سبحانه، لهم مثلًا آخر مائيًا، فقال تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البَقَرَة :١٩]. فشبه نصيبهم- مما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ من النور والحياة بنصيب المستوقد النار التي طَفِئَت عنه أحوج ما كان إليها وذهب نوره، وبقي في الظلمات حائرًا، تائهًا، لا يهتدي سبيلًا، ولا يعرف طريقًا، وبنصيب أصحاب الصيب- وهو المطر الذي يصّوب ؛ أي: نزل من علوّ إلى أسفل- فشبه الهدى- الذي هدى به عباده- بالصيب، لأن القلوب تحيى به حياة الأرض بالمطر، ونصيب المنافقين من هذا الهدى، بنصيب من لم يحصل له نصيب من الصيب إلا ظلمات ورعد و برق، ولا نصيب له - فيما وراء ذلك - مما هو المقصود بالصيب- من حياة البلاد، والعباد، والشجر، والدواب، وأن تلك الظلمات التي فيه، وذلك الرعد، والبرق، مقصود لغيره، وهو وسيلة إلى كمال الانتفاع بذلك الصيب.

فالجاهل-لفرط جهله- يقتصر على الإحساس بما في الصيّب من ظلمة ورعد وبرق ولوازم ذلك من برد شديد، وتعطيل المسافر عن سفره، وصانع عن صنعته ولا بصيرة له تنفذ إلى ما يؤول إليه أمر ذلك الصيب من الحياة والنفع العام . وهكذا شأن كلّ قاصر النظر، ضعيف العقل، لا يجاوز نظره الأمر المكروه الظاهر إلى ما وراءه من كلّ محبوب، وهذه حال أكثر الخلق، إلاّ من صحت بصيرته- فإذا رأى ضعيف البصيرة ما في الجهاد من التعب، والمشاق، والتعرّض لإتلاف النفس، والجراحات الشديدة، وملامة اللوّام، ومعاداة من يخاف معاداته- لم يقدم عليه، لأنه لم يشهد ما يؤول إليه من العواقب الحميدة، والغايات التي إليها تسابق المتسابقون، وفيها تنافس المتنافسون.

وكذلك من عزم على سفر الحج إلى البيت الحرام، فلم يعلم- من سفره ذلك- إلا مشقة السفر، ومفارقة الأهل والوطن، ومقاساة الشدائد، وفراق المألوفات، ولا يجاوز نظره وبصيرته آخر هذا السفر، ومآله، وعاقبته فإنه لا يخرج إليه، ولا يعزم عليه. وحال هؤلاء، حال الضعيف البصيرة والإيمان، الذي يرى ما في القرآن من الوعد والوعيد. والزواجر والنواهي، والأوامر الشاقة على النفوس التي تفطمها عن رضاعها من ثدي المألوفات والشهوات -والفطام على الصبي أصعب شيء، وأشقّه - والناس كلهم صبيان العقول، إلا من بلغ مبالغ الرجال العقلاء الألباء، وأدرك الحقّ عِلْمًا، وَعَمَلًا، ومعرفةً، فهو الذي ينظر إلى ما وراء الصيّب، وما فيه - من الرعد والبرق والصواعق - ويعلم أنه حياة الوجود[1].

٣١ - ضرب المثل لبدء أمر الإسلام، وترقّيه في الزيادة:

قال الله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ [الفتح: ٢٩].

قال العلامة: محمد جمال الدين القاسمي: قال الزمخشري: هذا مثل ضربه الله لبدء أمر الإسلام، وترقّيه في الزيادة، إلى أن قوي واستحكم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده، ثم قوّاه الله بمن آمن معه، كما يقوّي الطاقة الأولى من الزرع، ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع. وهذا ما قاله البغوي من أن الزرع: محمد، والشطء: أصحابه والمؤمنون؛ فجعلا التمثيل للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته، وأما القاضي فجعله مثالًا للصحابة فقط. وعبارته: وهو مثل ضربه الله تعالى للصحابة، قلّوا في بدء الإسلام، ثم كثروا واستحكموا، فترقّى أمرهم، بحيث أعجب الناس[2].

---

(١) «محاسن التأويل» (١/ ٢٦).

(٢) «محاسن التأويل» «تفسير سورة الحجرات» [آية رقم ٢٩].

٣٢ ـ ضرب المثل لتقريب الصورة:

قـال الله جـل جلالـه: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾[محمد: ١٥].

قال الشيخ محمد متولي الشعراوي: «هذه ليست الجنة.. ولكن هذا مثل يقرب الله سبحانه وتعالى لنا به الصورة بأشياء موجودة في حياتنا.. لأنه لا يمكن لعقول البشر أن تستوعب أكثر من هذا.. والجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.. ومن هنا؛ فإنه لا توجد أسماء في الحياة تعبر عمّا في الجنة.. واقرأ قوله تعالى:﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧].

فـإذا كانت النفس لا تعلـم.. فلا توجد ألفاظ تعبر عما يوجد في الجنة.. والمثل متى شاع استعماله بين الناس سمي مثلًا.. فأنت إذا رأيت شخصًا مغترًا بقوته.. وتريد أن تفهمـه أنك أقوى منه تقول لـه.. إن كنت ريحًا فقد لاقيت إعصارًا.. ولا توجد ريح ولا إعصار فيما يحدث بينكما.. وإنما المراد المعنى دون التقيد بمدلول الألفاظ»[١].

٣٣ ـ ضرب المثل لتضعيف الثواب لمن أنفق ماله في سبيل الله ابتغاء مرضاته:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١].

قال الحافظ ابن كثير «هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، فقال: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾، قال سعيد بن جبير: في طاعة الله. وقال مكحول: يعني به: الإنفاق في الجهاد، من رباط الخيل وإعداد السلاح وغير ذلك، وقال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس: الجهاد والحج، يضعف الدرهم فيهما إلى سبعمائة ضعف؛

---

(١) «تفسير الشعراوي» ج [٢].

ولهذا قال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ﴾ وهذا المثل أبلغ في النفوس، من ذكر عدد السبعمائة، فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل، لأصحابها، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة»[1].

٢٤ ـ ضرب المثل لمن أطاع الشيطان، وعمل في الأرض بالمعصية، وجار عن الحق وضل عنه،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١].

قال الحافظ ابن كثير: «قال ابن عباس: هذا مثل ضربه الله للآلهة ومن يدعو إليها، والدعاة الذين يدعون إلى الله، عَزَّ وجل، كمثل رجل ضل عن طريق تائهًا ضالًا إذ ناداه مناد: «يا فلان بن فلان، هلم إلى الطريق»، وله أصحاب يدعونه: «يا فلان، هلم إلى الطريق»، فإن اتبع الداعي الأول، انطلق به حتى يلقيه إلى الهلكة وإن أجاب من يدعوه إلى الهدى، اهتدى إلى الطريق.

وهذه الداعية التي تدعو في البرية من الغيلان، يقول: مثل من يعبد هذه الآلهة من دون الله، فإنه يرى أنه في شيء حتى يأتيه الموت، فيستقبل الهلكة والندامة. وقوله: ﴿كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، هم الغيلان، يدعونه باسمه واسم أبيه وجده، فيتبعها وهو يرى أنه في شيء، فيصبح وقد ألقته في هلكة، وربما أكلته- أو تلقيه في مضلة من الأرض، يهلك فيها عطشًا، فهذا مثل من أجاب الآلهة التي تُعْبَدُ من دون الله، عَزَّ وجل وقال مجاهد: ﴿كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ﴾ قال: رجل حيران يدعوه أصحابه إلى الطريق، وذلك مثل من يضل بعد أن هُدِيَ. وقال ابن عباس، قوله: ﴿كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، هو الذي لا يستجيب لهدى الله،

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٦٩١).

وهـو رجل أطاع الشـيطان، وعمـل في الأرض بالمعصية، وجار عـن الحق وضل عنه، ولـه أصحـاب يدعونه إلى الهدى، ويزعمون أن الـذي يأمرونه به هدى، يقول الله ذلك لأوليائهـم من الإنس، يقـول الله: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾؛ والضلال ما يدعو إليه الجن ثم قال: وهذا يقتضي أن أصحابه يدعونه إلى الضلال، ويزعمون أنه هدى. قلت: وهـذا خـلاف ظاهر الآية؛ فإن الله أخـبر أن أصحابه يدعونه إلى الهـدى، فغير جائز أن يكون ضلالًا وقد أخبر الله أنه هدى.

وهو كما قال ابن جرير، وكان سـياق الآية يقتضي أن هذا الذي اسـتهوته الشياطين في الأرض حـيران، وهو منصوب على الحال، أي: في حـال حيرته وضلاله وجهله وجه المحجة، وله أصحاب على المحجة سـائرون، فجعلـوا يدعونه إليهم وإلى الذهاب معهم عـلى الطريقـة المثلى. وتقدير الـكلام: فيأبى عليهم ولا يلتفت إليهم، ولو شـاء الله لهداه، ولرد به إلى الطريق؛ ولهذا قال: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾[1].

٣٥ ـ ضرب المثل لمن أحيا الله قلبه بالإيمان، وهداه له ووفقه لاتباع رسله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

قـال الحافـظ ابن كثيـر: «هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمـن الذي كان ميتًا، أي: في الضلالـة، هالـكًا حائـرًا، فأحياه الله، أي: أحيـا قلبه بالإيمان، وهداه لـه ووفقه لاتباع رسـله. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾، أي: يهتـدي بـه كيف يسـلك، وكيف يتـصرف بـه. والنور هو: القرآن، كما رواه العَوْفي وابـن أبي طلحة، عن ابن عباس. وقال السُّـدِّي: الإسـلام. والكل صحيح. ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾، أي: الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة، ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾، أي: لا يهتدي إلى منفذ، ولا مخلص مما هو فيه[2].

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٢٨٠).
(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٣٣٠).

٣٦ ـ ضرب المثل للإيمان والكفر والتوحيد والشرك.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥].

قال الحافظ ابن كثير: «الظاهر من السياق: أن المؤمن مثله كمثل شجرة، لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت من صيف أو شتاء، أو ليل أو نهار، كذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح آناء الليل وأطراف النهار في كل وقت وحين. ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ أي: كاملًا حسنًا كثيرًا طيبًا، ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾، وقوله: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٦]. هذا مثل كفر الكافر، لا أصل له ولا ثبات، وشبه بشجرة الحنظل»[1].

وقال ابن القيم: «فشبه سبحانه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع، وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون الكلمة الطيبة هي شهادة أن لا إله إلا الله فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة، فكل عمل صالح مرضي لله عز وجل ثمرة هذه الكلمة وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أصلها ثابت قول لا إله إلا الله في قلب المؤمن وفرعها في السماء يقول يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء» وقال الربيع بن أنس: «كلمة طيبة هذا مثل الإيمان، والإيمان الشجرة الطيبة وأصلها الثابت الذي لا يزول الإخلاص فيه، وفرعه في السماء خشية الله»؛ والتشبيه على هذا القول أصح وأظهر وأحسن فإنه سبحانه شبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٩٣).

الباسقة الفرع في السماء علوًا التي لا تزال تؤتي ثمرتها كل رفع العمل الصالح حين. وإذا تأملت هذا التشبيه رأيته مطابقًا لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء.

ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت بحسب ثباتها في القلب ومحبة القلب لها، وإخلاصه فيها، ومعرفته بحقيقتها، وقيامه بحقها، ومراعاتها حق رعايتها، فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها واتصف قلبه بها وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها فيعرف حقيقة الهيئة التي يثبتها قلبه لله ويشهد بها لسانه وتصدقها جوارحه؛ ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله عز وجل وواطأ قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائعة سالكة سبل ربه ذللًا غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلًا، كما لا يبتغي القلب سوى معبوده الحق بدلًا، فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلى الرب تعالى.

وهذه الكلمة الطيبة تثمر كثيرًا طيبًا كلما يقارنه عمل صالح، فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[فَاطِر: ١٠]. فأخبر سبحانه أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها كل وقت عملًا صالحًا كل وقت.

والمقصود أن كلمة التوحيد إذا شهد المؤمن بها عارفًا بمعناها وحقيقتها نفيًا وإثباتًا متصفًا بموجبها قائمًا قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته فهذه الكلمة من هذا الشاهد أصلها ثبات راسخ في قلبه وفروعها متصلة مثل النخلة والمؤمن بالسماء، وهي مخرجة لثمرتها كل وقت وقال عطية العوفي في: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ﴾، قال ذلك مثل المؤمن لا يزال يخرج منه كلام طيب وعمل صالح يصعد إلى الله.

وقال الربيع بن أنس: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ ذلك المؤمن ضرب مثله في الإخلاص لله وحده وعبادته وحده لا شريك له قال: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ أصل عمله ثابت في الأرض قال: ﴿وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، قال ذكره في السماء ولا اختلاف بين القولين؛ فالمقصود بالمثل المؤمن والنخلة مشبهة به وهو مشبه بها، وإذا كانت النخلة شجرة طيبة، فالمؤمن المشبه بها أولى أن يكون كذلك ومن قال من السلف إنها شجرة في الجنة، فالنخلة من أشرف أشجار الجنة. وفي هذا المثل من الأسرار والعلوم والمعارف ما يليق ويقتضيه علم الذي تكلم به سبحانه وحكمته.

فمن ذلك أن الشجرة لا بد لها من عروق وساق وفروع وورق وثمر، فكذلك شجرة الإيمان والإسلام ليطابق المشبه المشبه به، فعروقها العلم والمعرفة واليقين وساقها الإخلاص وفروعها الأعمال وثمرتها ما توجبه الأعمال الصالحة من الآثار الحميدة والصفات الممدوحة والأخلاق الزكية والسمت الصالح والهدى والدل المرضي؛ فيستدل على غرس هذه الشجرة في القلب وثبوتها فيه بهذه الأمور، فإذا كان العلم صحيحًا مطابقًا لمعلومه الذي أنزل الله كتابه به، والاعتقاد مطابقًا لما أخبر به عن نفسه وأخبرت به عنه رسله، صلوات الله وسلامه عليهم، والإخلاص قائم في القلب، والأعمال موافقة للأمر والهدى والدل والسمت مشابه لهذه الأصول مناسب لها، علم أن شجرة الإيمان في القلب أصلها ثابت وفرعها في السماء.

وإذا كان الأمر بالعكس، علم أن القائم بالقلب إنما هي الشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، ومنها أن الشجرة لا تبقى حية إلا بمادة تسقيها وتنميها، فإذا انقطع عنها السقي أوشك أن تيبس، فهكذا شجرة الإسلام في القلب إن لم يتعاهدها صاحبها بسقيها كل وقت بالعلم النافع والعمل الصالح، والعود بالتذكر على التفكر والتفكر على التذكر وإلا أوشك أن تيبس، وبالجملة فالغرس إن لم يتعاهده

صاحبه أوشـك أن يهلك ومن هنا يعلم شـدة حاجة العباد إلى ما أمر الله به من العبادات عـلى تعاقـب الأوقات وعظيم رحمته وتمام نعمته وإحسـانه إلى عباده بـأن وضعها عليهم وجعلها مادة لسقي غراس التوحيد الذي غرسه في قلوبهم.

ومنها: إن الغرس والزرع النافع؛ قد أجرى الله سـبحانه العادة أنه لا بد أن يخالطه دغـل ونبت غريب ليس من جنسـه، فـإن تعاهده ربه ونقاه وقلمـه كمل الغرس والزرع واسـتوى وتـم نباته وكان أوفـر لثمرته وأطيب وأزكى، وإن تركه أوشـك أن يغلب على الغرس والزرع ويكون الحكم له أو يضعف الأصل، ويجعل الثمرة ذميمة ناقصة، بحسب كثرتـه وقلتـه، ومـن لم يكن له فقه يقيس في هذا ومعرفته به، فإنـه يفوته ربح كثير وهو لا يشـعر، فالمؤمن دائم سـعيه في شـيئين سقي هذه الشـجرة وتنقية ما حولها، فبسقيها تبقى وتدوم وبتنقية ما حولها تكمل وتتم والله المستعان وعليه التكلان فهذا بعض ما تضمنه هذا المثل العظيم الجليل من الأسرار والحكم ولعلها قطرة من بحر؛ بحسب أذهاننا الواقعة، وقلوبنـا المخبطة، وعلومنـا القاصرة، وأعمالنا التي توجب التوبة والاسـتغفار، وإلا فلو طهرت منا القلوب وصفت الأذهان وزكت النفوس وخلصت الأعمال، وتجردت الهمم للتلقي عن الله تعالى. لشاهدنا من معاني كلام الله عز وجل وأسراره وحكمه ما تضمحل عنده العلوم وتتلاشـى عنده معارف الحق؛ وبهذا يعـرف قدر علوم الصحابة ومعارفهم ﷺ وإن التفـاوت الـذي بـين علومهم وعلوم مـن بعدهـم كالتفاوت الـذي بينهم في الفضل والله أعلم حيث يجعل مواقع فضله ومن يختص برحمته.

ثم ذكر سبحانه مثل الكلمة الخبيثة، فشبهها بالشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض مـا لهـا مـن قرار، فلا عـرق ثابت ولا فرع عـال، ولا ثمرة زاكيـة، ولا ظل، ولا جنـي، ولا سـاق قائم، ولا عـرق في الأرض ثابـت مغدق، ولا أعلاهـا مونق ولا جني لهـا ولا تعلو بلى تعلى. وإذا تأمل اللبيب أكثـر كلام هذا الخلق في خطابهم وكتبهم وجده

كذلك؛ فالخسران كل الخسران الوقوف معه والاشتغال به عن أفضل الكلام وأنفعه، قال الضحاك: ضرب الله مثلًا للكافر بشجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار يقول ليس لها أصل ولا فرع وليس لها ثمرة و لا فيها منفعة كذلك الكافر ليس يعمل خيرًا ولا يقوله، ولا يجعل الله فيه بركة ولا منفعة.

وقال ابن عباس: ومثل كلمة خبيثة وهي -الشرك- كشجرة خبيثة يعني الكافر اجتثت من فوق الأرض، ما لها من قرار يقول الشرك ليس له أصل يأخذ به الكافر ولا برهان ولا يقبل الله عمل المشرك ولا يصعد إلى الله، فليس له أصل ثابت في الأرض ولا فرع في السماء يقول ليس له عمل صالح في السماء، ولا في الآخرة.

وقال الربيع بن أنس: مثل الشجرة الخبيثة مثل التشبيه بالقول الصالح، الكافر ليس لقوله ولا لعمله أصل ولا فرع ولا يستقر قوله ولا عمله على الأرض، ولا يصعد إلى السماء.

وقال سعيد عن قتادة: في هذه الآية إن رجلًا لقي رجلًا من أهل العلم، فقال له: ما تقول في الكلمة الخبيثة قال لا أعلم لها في الأرض مستقرًا ولا في السماء مصعدًا إلا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها يوم القيامة وقوله اجتثت أي: استؤصلت من فوق الأرض؛ ثم أخبر سبحانه عن فصله وعدله في الفريقين أصحاب الكلم الطيب، والكلم الخبيث.

فأخبر أنه يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت أحوج ما يكونون إليه في الدنيا والآخرة، وأنه يضل الظالمين وهم المشركون عن القول الثابت فأضل هؤلاء، بعدله لظلمهم، وثبت المؤمنين بفضله لإيمانهم، وتحت قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

كنز عظيم من وقف عليه وأحسن استخراجه ،واقتناءه وأنفق منه فقد غنم ومن حرمه فقد حرم وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله طرفة عين، فإن لم يثبته وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما، وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه عبده ورسوله:

﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال: ١٢]، وقال تعالى لرسوله: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: ١٢٠].

فالخلق كلهم قسمان: موفق بالتثبيت، ومخذول بترك التثبيت، ومادة التثبيت وأصله ومنشأه من القول الثابت، وفعل ما أمر به العبد فيهما يثبت الله عبده، فكل ما كان أثبت قولًا وأحسن، فعلًا كان أعظم تثبتا قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ [النساء: ٦٦].

فأثبت الناس قلبًا أثبتهم قولًا والقول الثابت هو القول الحق والصدق وهو ضد القول الباطل الكذب، فالقول نوعان ثابت له حقيقة، وباطل لا حقيقة له، وأثبت القول كلمة التوحيد ولوازمها، فهي أعظم ما يثبت الله بها عباده في الدنيا والآخرة، ولهذا ترى الصادق من أثبت الناس وأشجعهم قلبًا، والكاذب من أمهن الناس، وأخبثهم وأكثرهم تلويًا وأقلهم ثباتًا.

وأهل الفراسة يعرفون صدق الصادق من ثبات قلبه وقت الاختبار وشجاعته ومهابته، ويعرفون كذب الكاذب، بضد ذلك ولا يخفى ذلك إلا على ضعيف البصيرة، وسئل بعضهم عن كلام سمعه من متكلم به، فقال والله ما فهمت منه شيئًا إلا أني سمعت لكلامه صولة، ليست بصولة مبطل، فما منح العبد منحة أفضل من منحة القول الثابت ويجد أهل القول الثابت ثمرته أحوج ما يكونون إليه في قبورهم ويوم معادهم[١].

٣٧ ـ ضرب المثل بالبلد الطيب (المؤمن) والبلد الخبيث (الكافر).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٨].

---

(١) «أمثال القرآن» (٢/ ٣٠ ـ ٣٨).

قال أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي: «هذا مثل ضربه الله عز وجل للمؤمن والكافر فمثل المؤمن مثل البلد الطيب، يصيبه المطر فيخرج نباته بإذن ربه، ﴿ وَٱلَّذِى خَبُثَ ﴾ يريد الأرض السبخة التي ﴿ لَا يَخْرُجُ ﴾ نباتها،﴿ إِلَّا نَكِدًا ﴾، قرأ أبو جعفر بفتح الكاف، وقرأ الآخرون بكسرها، أي: عسرًا قليلًا بعناء ومشقة»

فالأول- مثل المؤمن الذي إذا سمع القرآن وعاه وعقله وانتفع به.

والثاني- مثل الكافر الذي يسمع القرآن فلا يؤثر فيه، كالبلد الخبيث الذي لا يتبين أثر المطر فيه ﴿ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ﴾ نبينها ﴿ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾[1].

وقال الخازن أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي: قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾، يعني كما ضربنا هذا المثل كذلك نبين الآيات الدالة على التوحيد والإيمان آية بعد آية وحجة بعد حجة لقوم يشكرون الله تعالى على إنعامه عليهم بالهداية، وحيث جنّبهم سبيل الضلالة، وإنما خص الشاكرين بالذكر، لأنهم هم الذين انتفعوا لسماع القرآن»[2].

٣٨ - ضرب المثل لقلوب بني آدم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرَّعْد: ٤].

قال أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي: «قال مجاهد: كمثل بني آدم، صالحهم وخبيثهم، وأبوهم واحد، وقال الحسن: هذا مثل ضربه الله تعالى لقلوب بني آدم، ويقول: كانت الأرض طينة واحدة في يد الرحمن عز وجل، فسطحها، فصارت قطعًا

(١) «معالم التنزيل» (٣/ ٢٣٩).

(٢) «لباب التأويل في معاني التنزيل» (٣/ ٤٥)

متجاورةً، فينزل عليها المطر من السماء، فتخرج هذه زهرتها، وشجرها وثمرها ونباتها، وتخرج هذه سَبَخَها وملحها وخبيثها وكُلٌّ يُسقَى بماء واحد.

كذلك الناس خلقوا من آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فينزل من السماء تذكرة فترق قلوب فتخشع، وتقسو قلوب فتلهو،وقال الحسن أيضًا: والله ما جالس القرآن أحد إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان، قال الله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ الذي ذكرت ﴿ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[١].

٣٩ ـ **ضرب المثل للمنافقين والكافرين والمؤمنين:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ [البقرة: ١٧].

قال ابْنِ عَبَّاسٍ: «هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ الله لِلْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَزُّونَ بِالإِسْلامِ، فَيُنَاكِحُهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَيُقَاسِمُونَهُمُ الْفَيْءَ، فَلَمَّا مَاتُوا سَلَبَهُمُ الله ذَلِكَ الْعِزَّ كَمَا سَلَبَ صَاحِبَ النَّارِ ضَوْءَهُ.

وقال عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ، فِي قَوْلِهِ: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾قَالَ: هَذَا مَثَلُ الْمُنَافِقِ يُبْصِرُ أَحْيَانًا ثُمَّ يُدْرِكُهُ عَمَى الْقَلْبِ، وَرُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ، وَالْحَسَنِ، وَالسُّدِّيِّ، وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ نَحْوُ قَوْلِ عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ[٢].

٤٠ ـ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ ﴾ [هود: ٢٤].

قال قَتَادَةَ: «هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ لِلْكَافِرِ، وَالْمُؤْمِنِ، أَمَّا الْكَافِرُ فَأَصَمٌّ عَنِ الْحَقِّ، فَلا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ، وَلا يَعْقِلُ، وَلا يَنْتَفِعُ بِهِ»[٣].

---

(١) «معالم التنزيل» (٤/ ٢٩٥).
(٢) « تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٤١)
(٣) «تفسير ابن أبي حاتم» (٨/ ١٥٣)

٤١ ـ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الحج: ٣١].

قال قَتَادَةَ: هَذَا مثل ضربه الله لمن أشرك بالله في بعده مِنَ الهدى وهلاكه»[1].

٤٢ ـ تشـبيه الفرق الثلاثة المنعم عليهم وهم أهل النور والضالين وهم أصحاب السراب والمغضوب عليهم وهم أهل الظلمات المتراكمة.

قولـه تعـالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [النور: ٣٥، ٣٨].

قـال ابـن القيم: « تضمنت الآيات أوصاف الفـرق الثلاثة المنعم عليهم وهم أهل النور والضالين وهـم أصحاب السراب والمغضوب عليهم وهم أهل الظلمات المتراكمة والله أعلـم؛ فالمثـل الأول مـن المثلـين لأصحاب العمـل الباطل الذي لا ينفـع ،فأولئك أصحـاب العمل الباطل وهـؤلاء أصحاب العمل الذي لا ينفـع، والاعتقادات الباطلة وكلاهما مضاد للهدى ودين الحق.

ولهـذا مثـل حال الفريـق الثـاني في تلاطم أمـواج الشـكوك والشـبهات والعلوم الفاسـدة في قلوبهـم بتلاطـم أمواج البحـر فيه وأنها أمـواج متراكمة من فوقها سـحاب مظلم وهكذا أمواج الشـكوك والشـبه في قلوبهم المظلمة التي قد تراكمت عليها سحب

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» (٩/ ٣٧٨)

الغي والهوى والباطل، فليتدبر اللبيب أحوال الفريقين وليطابق بينهما وبين المثلين يعرف عظمة القرآن وجلاله وأنه تنزيل من حكيم حميد؛ وأخبر سبحانه أن الموجب لذلك أنه لم يجعل لهم نورا، بل تركهم على الظلمة التي خلقوا فيها، فلم يخرجهم منها إلى النور، فإنه سبحانه: ﴿ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

فالله سبحانه خلق الخلق في ظلمة، فمن أراد هدايته جعل له نورًا وجوديًا يحيى به قلبه وروحه كما يحيى بدنه بالروح التي ينفخها فيه، فهي حياتان؛ حياة البدن، بالروح وحياة الروح والقلب بالنور، ولهذا سمى الله الوحي روحًا لتوقف الحياة الحقيقية عليه كما قال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ ﴾ [النحل: ٢]؛ وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢]، فجعل وحيه روحًا ونورًا فمن لم يحيه بهذا الروح فهو ميت ومن لم يجعل له نورًا منه فهو في الظلمات ماله من نور[١].

٤٣ ـ تشبيه المعرض عن قبول الهدى والانقياد له بالأنعام:

قوله تعالى: ﴿ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٤].

قال ابن القيم: «شبه أكثر الناس بالأنعام والجامع بين النوعين التساوي في عدم قبول الهدى والانقياد له، وجعل الأكثرين أضل سبيلًا من الأنعام؛ لأن البهيمة يهديها سائقها، فتهتدي وتتبع الطريق، فلا تحيد عنها يمينًا ولا شمالًا، والأكثرون يدعونهم الرسل ويهدونهم السبيل، فلا مثل الشرك بالله يستجيبون ولا يهتدون ولا يفرقون بين ما يضرهم وبين ما ينفعهم، والأنعام تفرق بين ما يضرها من النبات والطريق، فتجتنبه وما

(١) «أمثال القرآن» (٢/ ١٢).

ينفعها فتؤثره، والله تعالى لم يخلق للأنعام قلوبا تعقل بها، ولا ألسنة تنطق بها وأعطى ذلك لهؤلاء، ثم لم ينتفعوا بما جعل لهم من العقول والقلوب والألسنة والأسماع والأبصار فهم أضل من البهائم فإن من لا يهتدي إلى الرشد وإلى الطريق مع الدليل له أضل وأسوأ حالا ممن لا يهتدي حيث لا دليل معه [1].

٤٤ ـ تشبيه من أعرض عن كلام الله تعالى وتدبره بالحمر الوحشية.

قوله تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ [المدثر :٤٩، ٥١].

قال ابن القيم: «شبههم في إعراضهم ونفورهم عن القرآن، بحمر رأت الأسد والرماة ففرت منه، وهذا من بديع التمثيل، فإن القوم من جهلهم بما بعث الله سبحانه رسوله، كالحمر فهي لا تعقل شيئًا، فإذا سمعت صوت الأسد أو الرامي نفرت منه أشد النفور وهذا غاية الذم لهؤلاء، فإنهم نفروا عن الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم كنفور الحمر عما يهلكها ويعقرها، وتحت المستنفرة معنى أبلغ من النافرة فإنها لشدة نفورها قد استنفر بعضها بعضًا وحضه على النفور، فإن في الاستفعال من الطلب قدرًا زائدًا على الفعل المجرد، فكأنها تواصت بالنفور وتواطأت عليه ومن قرأها بفتح الفاء فالمعنى أن القسورة استنفرها وحملها على النفور ببأسه وشدته»[2].

وقال أبو بكر الجزائري: «وقوله تعالى ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾، أي فما لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث والجزاء عن التذكرة التي يُذَكَّرُونَ بها في آيات هذه السورة وغيرها معرضين، إنه أمر عجيب أي شيء يجعلهم يعرضونم عنها هاربين منها فارِّين ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ ﴾، وحشية ﴿ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾، أي فرت هاربة أشد الهرب من

---

(١) «أمثال القرآن» (٢/ ١٣).

(٢) «أمثال القرآن» (٢/ ٢١).

أسد من أسود الصحراء الطاغية، إن فرارهم من هذه الدعوة وإعراضهم عنها ليس عن قصور في أدلتها وضعف في حجتها، بل يريد كل واحد منهم أن يؤتى كتابًا من الله يأمره فيه بالإيمان واتباع محمد ﷺ وهذا هو العناد والمكابرة وصاحبها غير مستعد للإيمان بحال من الأحوال»[١].

وقال العلامة السعدي: قوله تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾، أي: صادين غافلين عنها. ﴿ كَأَنَّهُمْ ﴾ في نفرتهم الشديدة منها ﴿ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾، أي: كأنهم حمر وحش نفرت فنفر بعضها بعضًا، فزاد عدوها، ﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾، أي: من صائدٍ ورامٍ يريدها، أو من أسد ونحوه، وهذا من أعظم ما يكون من النفور عن الحق، ومع هذا الإعراض وهذا النفور، يدعون الدعاوى الكبار»[٢] .

٤٥ ـ تشبيه المغتاب بمن يأكل لحم أخيه المسلم الميت.

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات:١٢].

قال ابن القيم: «وهذا من أحسن القياس التمثيلي فانه شبه تمزيق عرض الأخ بتمزيق لحمه ولما كان المغتاب يمزق عرض أخيه في غيبته كان، بمنزلة من يقطع لحمه في حال غيبة روحه عنه، بالموت لما كان المغتاب عاجزًا عن دفعه تعزف، بنفسه بكونه غائبًا عن ذمه، كان بمنزلة الميت الذي يقطع لحمه ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه، ولما كان مقتضى الأخوة التراحم والتواصل والتناصر، فعلق عليها المغتاب ضد مقتضاها من الذم والعيب والطعن كان ذلك نظير تقطيعه لحم أخيه، والأخوة تقتضي حفظه وصيانته

---

(١) «أيسر التفاسير» (٤/ ٣٣٦).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (١/ ٨٩٨) .

والذب عنه، ولما كان المغتاب متفكهًا، بغيبته وذمه متحليًا بذلك شبه بأكل لحم أخيه بعد تقطيعه، ولما كان المغتاب محبًا لذلك معجبًا به شبه بمن يحب أكل لحم أخيه ميتًا ومحبته لذلك قدر زائد على مجرد أكله كما أن أكله قدر زائد على تمزيقه.

فتأمل هذا التشبيه والتمثيل وحسن موقعه ومطابقة المعقول فيه للمحسوس وتأمل أخباره عنهم بكراهة أكل لحم الأخ ميتًا ووصفهم بذلك في آخر الآية، والإنكار عليهم في أولها أن يحب مثل أعمال الكفار أحدهم ذلك فكما أن هذا مكروه في طباعهم فكيف يحبون ما هو مثله ونظيره، فاحتج عليهم بما كرهوه على ما أحبوه، وشبه لهم ما يحبونه بما هو أكره شيء إليهم، وهم أشد شيء نفرة عنه فلهذا يوجب العقل والفطرة والحكمة أن يكونوا اشد شيء نفرة عما هو نظيره ومشبهه وبالله التوفيق»[(١)].

٤٦ ـ تشبيه من ينفق ماله في غير طاعة الله ومرضاته بالزرع الذي زرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره فأصابته ريح شديدة البرد فأهلكته.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۚ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١٦ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٦-١١٧].

قال ابن القيم: «هذا مثل ضربه الله تعالى لمن أنفق ماله في غير طاعته ومرضاته فشبه سبحانه ما ينفقه هؤلاء من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر لا يبتغون به وجه الله وما ينفقونه؛ ليصدوا به عن سبيل الله، واتباع رسله عليهم الصلاة والسلام، بالزرع الذي زرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره، فأصابته ريح شديدة البرد جدًا

(١) «أمثال القرآن» (٢/ ٢٨).

يحرق بردها ما يمر عليه من الزرع والثمار، فأهلكت ذلك الزرع وأيبسته واختلف في الصر، فقيل البرد الشديد، وقيل النار قاله ابن عباس، وقال الأنباري: وإنما وصفت النار أنها صر لتصريتها عند الالتهاب، وقيل الصر الصوت الذي يصحب الريح من شدة هبوبها، والأقوال الثلاثة متلازمة فهو برد شديد محرق بيبسه للحرث كما تحرق النار وفيه صوت شديد.

وفي قوله: ﴿ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ تنبيه على أن سبب إصابتها لحرثهم هو ظلمهم فهو الذي سلط عليهم الريح المذكورة حتى أهلكت زرعهم وأيبسته فظلمهم هو الريح التي أهلكت أعمالهم ونفقاتهم وأتلفتها [١].



(١) «أمثال القرآن» (٢/ ٤٩-٥٠).

الفَصْلُ الرَّابِعُ

بعض أمثال العرب ومقارنتها مع أمثال القرآن الكريم وسنة النبي العظيم

أيها الإخوة: كم من الأمثال تدور على ألسنة الناس! ولكن في القرآن وفي السنة ما هو أبلغ وأعمق منها: وهذه هي بعض الأمثلة.

(أ) قول العرب: «القتل أنفى للقتل»: هذا مثال عربي، معناه: أن إقامة الحدود وقتل القاتل تقضي على القتل. لكن القرآن جاء بعبارة أعظم وأبلغ من هذا المثل، فقال عز وجل: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[البَقَرَة:١٧٩]، في القصاص! فهل في الموت حياة؟! كيف يجتمع النقيضان؟ الموت موت، والحياة حياة، فكيف يكون في القصاص حياة؟! نعم. في القصاص حياة، لكنها حياة لمن؟ حياة ليس لمن يُقْتَص منه، بل حياة للمجتمع؛ لأن القاتل حين يعلم أنه إذا قَتَلَ قُتِلَ توقَّفَ وارتدع عن القتل، فيحصُل بتوقفه وامتناعه عن القتل حياة للأنفس الأخرى؛ لكن القاتل الذي يعلم أنه لا يُقْتَل يتمادى في الطغيان، وينتهك، ويسفك الدماء؛ لأنه يعرف أنه لن يحصل له شيء، ولذا يقول الله في القصاص من الجناة حياة لبقية الناس، وصدق الله عز وجل: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البَقَرَة:١٧٩].

(ب) قول العرب: «من جهل شيئًا عاداه»: هذا مَثَلٌ واقعي، فالذي لا يعرف السلعة لا يقدرها. وكما يقول العوام: «إلِّي ما يِعْرفِ الصَّقْر يَشْوِيْه» يظنه حمامة، وهو صقر لا يؤكل؛ لأنه من ذوات المخلب؛ لكنه لا يعلم هل هذا صقر أم حمامة، فيشويه. وكذلك من يجهل الشيء لا يعرف قيمته، بل ربما يتصدى لمعاداته. ولكن في القرآن الكريم ما هو أبلغ من هذا المثل، وهو قول الله عز وجل: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ ﴾ [يُونُس:٣٩]، لَمَّا جهلوا دين الله، وجهلوا شريعة الله، وجهلوا حقيقة هذا الدين العظيم، كذَّبوه لعدم إحاطتهم بالعلم به، وإلا لو علموه لما عادَوه، ولهذا إنما تقع الخشية لله عز وجل من

العلماء ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨] «ومن كان بالله أعرف كان منه أخْوَف» ولو أجريت استقراءً لمن تقع منه المعاصي والذنوب والمخالفات تجد أنها تقع من الذين لا يعرفون الله، أما كل من استقرت معرفة الله في قلوبهم فتجد في قلوبهم مثل النار من خشية الله عز وجل. فـ«مَن جَهِل شيئًا عاداه» ولكن القرآن يقول: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ﴾ [يونس:٣٩].

(جـ) قول العرب: «ما تزرع تحصد»: فالذي تزرعه تحصده، والشخص الذي يزرع بُرًّا ماذا يخرج له؟ بُرٌّ، أليس كذلك؟ والذي يضع بَعَرًا، أيخرج له بُرٌّ؟! لا. سينتظر وينتظر، ثم يكشف الطين ويرى البعر؛ إن كان جيدًا لقيه، وربما قد تلف، وحتى إنه لن يلقاه، فما تزرع تحصد. لكن المثال في القرآن الكريم جاء ببلاغة أعظم، يقول الله عز وجل: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣].

ويقول عز وجل: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل:٨٩، ٩٠]. شخص يزرع طوال حياته السوء، ويزرع الشر والفساد، ويعمل الإجرام، ويهتك الأعراض، ويسفك الدماء، ويعتدي على الحرمات، ويعاند الجبار، ويترك أوامر الله، ويقع فيما حرم الله، هذا ماذا يلقى؟ هل يتصور أنه يلقى حسنات على هذا الفعل؟! لا؛ لأنه يعمل سوءًا، والذي يعمل السوء يجد السوء، والذي يعمل الحسن يجد الحسن، يقول الله عز وجل: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم:٣١].

ويقول عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [يونس:٢٦، ٢٧]. يعمل طوال ليله ونهاره ويكسب، وسَمَّى الله جمع السيئات كسبًا، وإلا فهو ليس بكسب؛ لكنه على سبيل التهكم، والشخص الذي يجمع السيئات، كاسب أم خاسر؟! خاسر؛ لكن الله يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ ماذا يحصل؟! ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا﴾ ،أم أنه يتوقع

صاحب السيئات أنه يجد على السيئة حسنة! هل هذا معقول؟! لا.أبدًا. فيقول الله عز وجل: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[النساء:١٢٣].

(هـ) قول العرب: «لا تلد الحية إلا حية»: الحية لا يأتي ولدها أو ابنتها إلا مثلها حية، لا تتوقع أن يأتيك شيء لطيف من حية. ولكن القرآن جاء بأبلغ من هذا في قوله تبارك وتعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧]. متى قال نوح هذا؟ ما قاله ابتداءً، فنوحٌ مِن أولي العزم، عليه وعلى نبينا وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة والسلام، وهو من الخمسة أصحاب الفضيلة والمقام الرفيع، دعا إلى الله مدة قدرها (ألف سنة إلا خمسين عامًا) مارَس شتى الأساليب، وأخذ بجميع الأنواع: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح: ٥]، كان يدعو ليلًا ونهارًا، نحن كم ندعو؟

إذا ألقى أحدنا درسًا في الأسبوع قال: والله إني تعبتُ، وإذا جلس مع شخص يتكلم بكلمتين، قال: الحمد لله نحن نعمل لهذا الدين ليلًا ونهارًا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ [نوح: ٥، ٨]، دعوة علنية ﴿ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٩]، دعوة سرية وبعد هذا العمر الطويل والجهد العظيم يوحي الله إليه ويقول له: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، كم عددهم؟ في أصح الروايات أنهم (اثنا عشر رجلًا)، ثمرة (تسعمائة وخمسين سنة).

يقول الله: ﴿وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]؛ آمن معه (اثنا عشر رجلًا)، مع هذا العمر الطويل والجهد المكثف، والأساليب المتنوعة، لم يستجيبوا ولم يدعُ نوح عليهم؛ لكن لما أوحى الله إليه أنهم لن يؤمنوا، دعا الله عليهم؛ لأنه لا فائدة، ومادام أنه لن يؤمن أحد

منهـم، فلـماذا يبقـون؟! فقـال: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦]، لماذا؟! قال: ﴿ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٧]، أحد احتمالين:

الأول- إمَّـا أن يضلـوا هؤلاء (الاثني عـشر) الذين هم عنـدي الآن؛ لأن تأثيرهم سيكون بليغًا، والكثرة تغلب.

الثانـي- أنهـم إذا لم يُضِلُـوا الذيـن آمنوا؛ فـإن أولادهـم الذين يأتـون منهم فجرة وكفـرة: ﴿ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ و(لا تلـد الحيـة إلا الحية) كـما تقول العرب، إذًا لا معنى لبقائهم، دمِّرهم يا رب عن بكرة أبيهم؛ فاسـتجاب الله دعوته. لماذا اسـتجاب الله دعوة نوح؟ لأنه استنفد جميع جهده، فالإنسـان لا يعتمد على دعائه لله وينام! لا. بل إن نوحًـا عَمِلَ وعَمِلَ وعَمِلَ، وعدَّد، ونوَّع، وبذل كل ما عنده، ولما عرف بواسـطة الوحي أنه لن يؤمن أحد، إذًا فما معنى أن يبقوا أحياء وهم لم يؤمنوا، فلابد من التدمير، فدعا الله، وقال: ﴿ إِنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ [القمر: ١٠].

فاسـتجاب الله له الدعوة، وقال تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾ [القمر: ١١]. ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ [القمر: ١٢]، ليـس فقـط مكانًـا معينًا، بـل الأرض كلها تحولت إلى ينابيـع وإلى مـاء، حتى موقـد النار (التنور) الـذي يتوقع أن المـاء في كل مكان إلا هو ليس فيه ماء بل فيه نار؛ لكن فار التنور، والأرض كلها صارت ماءً ﴿ فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ ﴾ ماء السماء على ماء الأرض ﴿ فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [القمر: ١٢]، أي: أُحْكِم من قِبَل الرب تبارك وتعالى، وحَمَله الله عز وجل على السـفينة ذات الألواح والدُّسُر أي: المسامير ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر: ١٤]، تجري برعاية الله.

وقـد قـال الله تبـارك وتعـالى: ﴿ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ﴾ [المؤمنون: ١٤]، أمـره الله أن يحمـل فيهـا أهلـه ومَـن آمن معـه، فظن نوح عليه السـلام أن الأهليـة هنا أهلية النسـب، فقـال لمَّا رفض ولدُه أن يركـب: ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ ﴾ [هود: ٤٥]، أنـت قلـت: يركـب أهلي، وهذا ابنـي أبى أن يركب،

فلا تغرقه، قال الله: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]، انظروا القوة في العبارة، لكن الأنبياء يعرفون الله، فنزّه الله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٌۖ﴾ [هود: ٤٧]، يُنزّه الله ﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ﴾، لا إله إلا الله! يستغفر ويطلب الرحمة من سؤاله لله أن ينجي ابنه، رغم أنه لم يسأل بدافع الأبوة، ولا الحنان، وإنما بدافع الوعد من الملك الديان، أنه من أهله، فظن أنه يركب باعتباره من الأهل. فصحح الله نظرة نوح عليه السلام.

وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾، الأهلية هنا هي: أهلية العقيدة، وأهلية الملة والدين، وما دام كافرًا، فليس من أهلك. ففي هذا إشارة إلى أن العلاقة التي تربط الناس بعضهم ببعض هي علاقة العقيدة بالدرجة الأولى، ثم تأتي بعد ذلك الروابط الأخرى؛ لكن إذا انتفت علاقة العقيدة فلا علاقة قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، لا إله إلا الله! وأمثال القرآن -أيها الإخوة كما ذكرتُ لكم- كثيرة، ولا يعقلها -كما قال الله في كتابه- ولا يعلمها ولا يفهمها ﴿إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وفي هذا دعوةٌ لطلاب العلم، وحثٌّ على النظر.

والتأمل ومعرفة تلك الأمثال، ومعرفة مراد الله منها، حتى يُحْسَب من يتأملها ويعرفها عند الله من العالمين، وفيه إشارة إلى أن مَن لا يعقل أمثال القرآن أنه محسوبٌ في زمرة الجاهلين، وإن كان يحمل شهادة عليا، أو كان في نظر الناس من المثقفين أو من الواعين؛ لكنه لم يعِ أمثال القرآن، فالله ينفي عنه العلم، ويثبت له الجهل، ويعده من زمرة الجاهلين. وقد اخترتُ هنا بعض الأمثال من كتاب الله عز وجل التي تقرب المعاني، وأكتفي بثلاثة أمثال.

المثال الأول- مثل مَن يُعرض عن دين الله عز وجل: يُدعى إلى الله، وتوضح له الطريق التي يسلك بها طريق النجاة، وتوضع له المعالم والأنوار والإضاءات التي تدله على الفوز والنجاح في الدنيا والآخرة، فيَصُمُّ أذنيه، ويعمي عينيه، ويعرض عن طريق الهداية، بل يرفض ويهرب، فهذا ضرب الله عز وجل له مثلًا في كتابه الكريم من أسوأ الأمثلة، وشبهه الله عز وجل بالحُمُر الوحشية، فالحُمُر منها حُمُر أهلية، ومنها حُمُر وحشية، ويجمعها لفظ (الحُمُر) أي: حمير، والأهلية: هي التي تُسْتَخدم، وهي التي تُرْكَب ومعروفة عند الناس.

والحُمُر الوحشية من فصيلة الحمير؛ ولكنها غير مستأنِسَة، ولا يألفها الناس ولا تألفهم، وهي متوحشة، تعيش في البراري والقفار، هذه الحمير مِن طبيعتها أنها تعيش في حالة عظيمة من الرهبة والخوف إذا رأت الأسد أو السبع، جميع الحيوانات تخاف من الأسود ومن السباع؛ لكن بعض الحيوانات تملك رباطة جأش، وتملك قوة صراع، وإمكانية دفاع، إلا حمار الوحش، من حين يرى الأسد أو السبع على مسافة بعيدة يهرب هروبًا يكاد يموت، ويتكسر ظهره، بل وربما لم يره بعد؛ لكن فقط من مجرد الشم.

ويذكر هذا العلماء في كتبهم أنه يفر فرارًا عنيفًا، أحيانًا يتكسر من كثرة جريه، يحسب أن الأسد قد صار على ظهره، وبينهما مسافة طويلة. فقد شَبَّه الله عز وجل مَن يكره العلماء، ويكره الدعاة، وينفر من مجالس العلم، ولا يحب سماع كلام الله، ولا كلام رسول الله ﷺ بأنهم كالحُمُر، يقول الله عز وجل: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ [المدثر: ٤٩]؟! سؤال استنكاري! لأي شيء يعرضون عن ذكر الله؟! لأي شيء يتجاهلون داعي الله؟! لماذا؟! أليس يعنيهم؟!

وما الذي يعنيهم في الأرض غير هذا؟! إن أول ما ينبغي التركيز عليه في اهتمامات العبد: أن يسأل لماذا وجد؟! ولن يخبره لماذا وجد إلا الذي خلقه، ولم يترك الله الإنسان يسأل، بل أرسل الرسل ليبينوا للناس لماذا خُلِقوا؛ لكن الناس الذين أعرضوا لا يريدون،

ولهذا يقول الله: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ [المدثر: ٤٩، ٥١]، القسورة في لغة العرب: الأسد، والسبع.

فهؤلاء في إعراضهم إذا رأوا الداعية، أو العالم، أو مجلس العلم، أو دعاهم أحد إلى شيء يفرون، ومن قبل كانوا يفرون بأقدامهم كما تفر الحمير بأقدامها، والآن يفرون بسياراتهم! لماذا؟! قال: جاء (المطوِّع). (المطوِّع) هذا يطوِّعك، و(المطوِّع): اسم فاعل، أي: يطوِّعك لله، يريدك بدل أن تكون مطوَّعًا للشيطان تكون مطوَّعًا لله؛ لأنك إما أن تكون طائعًا لله، أو طائعًا للشيطان، فهذا يطوِّعك ويجعلك طائعًا، وصفة الطائع صفة كريمة.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩]، فلماذا تفر منه؟! إن فرار الإنسان من أهل العلم، وإعراض الإنسان عن الدعاة، ورغبته في غير مجالس الذكر، دليل على أن عقليته عقلية الحمير، وأن مرتبته مرتبة البهائم، بل هو أعظم وأذل وأخس، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٤]، لماذا أضل سبيلًا؟ لأن الأنعام سارت فيما سخرها الله عز وجل وخلقها من أجله، أما هؤلاء فهم أضل سبيلًا من الأنعام؛ لأنهم لم يسيروا في الطريق الذي رسمه الله لهم، ولا حققوا الغرض والهدف الذي من أجله خلقهم الله عز وجل.

والإعراض عن الدين قضية صعبة في حياة الإنسان، بل عده العلماء والمحققون من أهل السنة والجماعة ضمن أنواع الكفر الخمسة، الكفر هو: الجحود، وقد قسمه العلماء إلى خمسة أقسام:

القسم الأول- كفر التكذيب. **القسم الثاني-** كفر الشك. **القسم الثالث-** كفر الجحود. **القسم الرابع-** كفر الإباء والاستكبار. **القسم الخامس-** كفر الإعراض.

وقالـوا عن كفر الإعراض هو: أن يعرض عن الديـن، فلا يتعلمه، ولا يهمه أمره، معرض، قد يصل به إعراضه ورفضه إلى أن يكفر بالله وهو لا يشعر، والله عز وجل سَّماه: ظالمًا، بل لا أظلم منه! بصيغة أفعل التفضيل: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ ﴾، أي: لا أظْلَمُ ﴿ مِمَّن ذُكِّرَ بِئَايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ [الكهف:٥٧]، أَكِنَّة أي: أغطية، مغطاة ﴿ أَن يَفْقَهُوهُ ﴾، أي: لئلا يفقهوا دين الله ﴿ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾، أي: مخرومة لا تسمع ﴿ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾.

وقال عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة:٢٢]، لا أظْلَم ممـن يُذَكَّـر بـالله ويعرض، هذا نوع من الاسـتخفاف، وعدم الاهتمام، كيف تعرض عن الله؟! لو قام المذكر وقال: أيها الناس! أنا سألقي عليكم موعظة؛ والذي يجلس إلى آخرها سـوف أعطيه (مائة ريال أو جنيه) هل سـيقوم أحد؟! لا. بل الكل سـيزحف ويقرب من أجل أن يصل إلى الصف الأول ليسـتلم (المائة) ولن يقوم أحد، حتى ولو كان عنده عمل فإنه يقول: أقضيه فيما بعد، والذي ولده بجانبه يريد أن يقوم فإنه يجلسه، وإذا قال له: أريد أن أقوم، فإنه يقول له: لا. اجلس إنها (مائة ريال). لكنك إذا أقبلت على الله وجلست في بيوت الله أتأتيك (مائة ريال)؟! لا.

مـا يأتيـك شيء من هذا، بـل تأتيك رحمة، ويأتيك غفران، وذكـر عند الرحمن، هل هنـاك أعظـم من أن يذكرك الله فيمن عنده؟! يقول عليه الصلاة والسـلام كما في صحيح مسلم: (**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السـكينة، وغشـيتهم الرحمة، وحفتهـم الملائكة، وذكرهم الله فيمـن عنده**»[1] هل يوجد أعظم من هذه الأربع في الدنيا؛ أن تغشـاك الرحمة، وأن تنزل على قلبك السـكينة، وأن يباهي بك الله عند الملائكة، وأن تحفك الملائكة؟! لا يوجد أعظم من هذا؛ لكن من الذي يشـعر بهذا؟! الـذي قلبه حي. أما المعرض فلا يحس، لـماذا يعرض أصلًا؟! لأنه لا

---

(١) أخرجه مسلم [٢٦٩٩]، والترمذي [٢٩٤٥]، وابو داود [١٤٥٥]، وابن ماجه[٢٢٥]من حديث أبي هريرة.

يهمه، (مَن جَهِل شيئًا عاداه) لا يعرف ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾[يونس:٣٩]، فلما كذبوا بهذا أعرضوا عنه، يقول الله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص:٥٥].

فهؤلاء إذا سمعوا الذكر أعرضوا عنه ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ [المدثر:٥٠]، لا يريدونه؛ لأنهم يعيشون بعقلية الحمير، التي لا يهمها إلا الشهوات، فلو أتيت تذكّر قطيعًا من الحمير وقمت تقرأ القرآن، ما رأيك؟! أيسمع الحمار أم يمشي؟! الحمار لا يعقل، ولا يدري مَن تُذَكِّر، وإذا رأى أنثى رفعَ مسامِعَه وجرى وراءها، وكذلك إذا رأى علفًا همه العَلَف والشهواتُ؛ لكنه لا يستمع إلى الذكر، فما الفرق بين الحمار البشري المُعرِض عن ذكر الله، وبين الحيوان الذي لا يسمع ذكر الله؟! لا شيء، بل ذاك أضل؛ لأنه يعرف ويُعْرِض، أما هذا فلا يعقل.

والإعراض عن ذكر الله له صور: إعراض مكاني: بحيث لا يجلس في مكان الذكر.

إعراض قلبي: بحيث يكره الذكر، حتى ولو جلس فهو -أيضًا- كاره، كأنه في سجن، أو قفص، مثل الطير يريد أن يطير، يريد أن ينفك.

١. إعراض عملي، ٢. إعراض دَعَوي، ٣. إعراض شعوري، كل هذه تسمى إعراضًا عن الله، وعن ذكر الله، وعن دين الله وفي الحديث المتفق عليه: كان النبي ﷺ جالسًا مع أصحابه، إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله وذهب واحد فوقفا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما، فرأى فرجة في الحلقة، فجلس فيها وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث، فأدبر ذاهبًا، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: **«ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر، فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه»** (١).

---

(١) أخرجه البخاري [٦٦]، ومسلم، [٢١٧٦]، والتِّرمِذي[٢٧٢٤]، والبغوي في «شرح السنة» (١٢/٢٩٩).

وهذه هي النتيجة الحتمية؛ أن تعرض عن الله، وماذا تريد إذا أعرضت عن الله؟! أيتوجه الله إليك؟! لا. يقول الله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥] يقول: ﴿ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ [التوبة: ١٢٧]، لكن أقْبِل على الله؛ فإن الله عز وجل يُقْبِل عليك يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ﴾، ماذا يصير لهم؟! ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧] جاء في الحديث القدسي: **«يا عبادي! كلكم ضالٌ إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم»، ومَن تقرب إلى الله شبرًا تقرب الله إليه ذراعًا، ومن تقرب إلى الله ذراعًا تقرب الله إليه باعًا، ومن أتى إلى الله مشيًا أتى الله إليه هرولة»** إذًا: حتى تكون أهلًا لمحبة الله، ولرحمة الله، ولتوفيقه، أقْبِل على الله، أما أن تعرض وتدبر وتستهتر ولا يهمك أمر الله هذه ليست عقليات أهل الإيمان، إنها عقليات البهائم، وبالتالي تكون مصيبة من أعرض عن دين الله عز وجل عظيمة وكبيرة.

وهذا المثال ضربه الله عز وجل للذين يعرضون عن ذكر الله، يقول الله عز وجل وهو يوصي النبي ﷺ في ألا يطيع هؤلاء، هذه النوعية منكوسة الفطر، عندها خلل في التصورات، يقول عز وجل: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، من أغْفَلَ اللهُ قلبه عن ذكره، وترك الدين، وأعرض عنه فاحذر منه؛ لأن أمرَهُ فُرُطٌ، أمرُهُ ليس ملمومًا ولا مجموعًا، بل انفرطت عليه جميع أموره فغفل عن الله وعن دين الله عز وجل. هذا هو المثال الأول الذي ضربه الله عز وجل للمعرضين عن دين الله عز وجل، وفي هذا تنبيه لكل عاقل ألا يعرض مهما كان الأمر، هذا خير ساقه الله لك، بل أقبل وابحث عن الذكر.

المثال الثاني- مثال لمن يسمع ولا يعرض: يسمع ما شاء الله، ويشتري الشريط، ويسمع الكلام- ولكنه لا يعمل؛ لأن ثمرة السماع هي العمل، نحن لا نريد من الناس أن

يسمعوا لمجرد قضاء الأوقات ولمجرد المتعة والتعليقات، وفلان والله ما شاء الله خطيب، وفلان يقول كلامًا وكلامًا! لا. ليس هذا هو الغرض، وإنما الغرض الحقيقي من وراء الدعوة، ومن وراء الذكر، وحلق العلم، ومن وراء كل هذا أن نحمل الأمة على العمل بالعلم.

فإذا سمعت ولم تعمل فكأنك لم تعمل شيئًا، علم، بلا عمل كشجر بلا ثمر، ما رأيك في شجرة في فناء منزلك من أشجار الزينة، ما شاء الله طيبة؛ لكنها ليست مثمرة، وأنت تموت جوعًا، ماذا تعمل بها؟ لا تنفعك بشيء، فهي شجرة خضراء؛ لكن ليس فيها ثمر.

كذلك من الناس من عنده علم لكن ليس عنده ثمرة، وليس عنده عمل، ولهذا مصيبة الأمة اليوم -أيها الإخوة- ليست في عدم العلم، بل مصيبتها في عدم العمل، وإلا فإن العلم يقدَّم من أول مرحلة دراسية، من السنة الأولى والولد يُعَلَّم: مَن ربك؟! ما دينك؟! مَن نبيك؟! وفي السنة الثانية يُعَلَّم: الأصول الثلاثة، وفي السنة الثالثة يُعَلَّم: المسائل الأربع، وفي السنة الرابعة يُعَلَّم: التوحيد وأنواعه، وفي السنة الخامسة ما بعدها من المسائل، فلا ينجح إلى السنة السادسة إلا وهو -ما شاء الله- قد عرف دروس العقيدة كاملة، وأساسياتها، وعرف الفقه، وأساسياته، وعرف الحديث الأربعين حديثًا النووية وعرف التفسير في المتوسط وفي الثانوي.

لكن أين العمل؟! لأنه أُخِذَ بنية غير نية العمل فلم يُعْمَل به، النية من العلم الشهادة، فإذا أُخِذَت الشهادة نُسِيَ العلم، يحفظ هذه النصوص الميتة في نظره، إلى أن تأتي ورقة الامتحان ويتقيأ بها على الورقة، واسأله عنها بعد أسبوع تجده لا يعرف كلمة، انتهى غرضه منها، فهو حفظها ووضعها في الورقة؛ لكي يأخذ ورقة زور، شهادة، اسمها شهادة زور، ما دام لا يَعْمَل بما فيها. إن الذي يعلم ولا يعمل ضرب الله له مثلًا من أسوأ الأمثلة، مثل الذي قبله، قال الله عز وجل -والحكاية عن اليهود؛ ولكنها تعم كل من

سار على شاكلتهم-: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة:٥] الذي عنده علم ولا يعمل به مثله في كتاب الله، كمثل حمار حَمَّلْتَه أسفار العلم، حَمَّلْتَه فتح الباري، وصحيح البخاري، و تفسير ابن كثير، وتنتقل من مكان إلى مكان، وتعال عنده واسأله:

ماذا قال البخاري يا حمار! ماذا يقول لك؟! يقول: هات عَلَفًا -بلسان حاله- يقول: عندك علف ائت به، فلا يهمه إلا العلف، فلا يعرف ما الذي فوق ظهره. فهذا الذي عنده علم لكنه لم يعمل به، ما الفرق بينه وبين هذا الحمار؟ ! لا شيء، ولذا فإن هذا مثل واضح ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة:٥] وهذا التذييل في الآية مناسب لمعناها، فإن هذا الظالم لنفسه الذي حمل العلم ولم يعمل به جعل بهذا الظلم عَقَبَة وسدًّا بينه وبين الهداية، فلا يهديه الله، كيف يهديه الله وقد أصبح العلم عنده؟

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمولُ

العلم معه؛ لكنه ليس مستعدًا أن يعمل به، إذًا كيف يهديه الله؟! ما دام أنه هو نفسه رافض أن يهتدي، وهذه مصيبة المصائب. إن على طالب العلم أن يأخذ العلم بنية العمل، وبنية القربى إلى الله، والنجاة من عذاب الله، وبنية أن يعبد الله بهذا العلم، وإلا فإن قد جاء في الحديث عَنِ ابْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ»(١).

(١) حسن أخرجه التِّرْمِذِي [٢٦٥٤]، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ، لا نعرفُهُ إلاَّ من هذا الوجه، وإسحَاق ابن يَحيى بن طَلْحَة ليس بذاك القَوِي عندهم، تُكُلِّم فيه من قِبَلِ حفظه. وقال الألباني: حسن انظر حديث رقم: [٦٣٨٣]، في «صحيح الجامع».

وفي حديث ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ لِيُبَاهِي بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَهُوَ فِي النَّارِ» (١)، وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، وَيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَدْخَلَهُ اللهُ جَهَنَّمَ» (٢)، نعوذ بالله أن نكون من هؤلاء- ليماري به السفهاء، ليجاري به العلماء، ليبتغي به عرضًا من الدنيا، يريد وظيفة فقط، لم يرح رائحة الجنة، أي: يلقى هذه؛ لكن ليس له هناك شيء؛ لأنه لم يعمل من أجل الجنة، ولم يطلب العلم من أجل الجنة، بل طلب العلم من أجل أن يأخذ شهادة، فأخذ الشهادة وانتهى الأمر؛ لكنه لو طلب العلم من أجل الله، ومن أجل أن يعرف طريق الله.

ولكي يعبد الله على بصيرة وعلى نور، فقرأ كتاب الله، وقرأ سنة رسول الله، ولم يُباهِ، ولم يُجارِ، ولم يُمارِ، ولم يستعلِ، ولم يتكبر، وإنما تواضع، وهذا شأن علماء السلف رحمهم الله، كانوا قممًا في العلم، ومع هذا فهم متواضعون إلى أبعد درجات التواضع، وبعض الناس تجده صفرًا في العلم؛ ولكنه مغرور، يظن أنه على شيء، وهو ليس على شيء، وإن علم فإنما يعلم نصوصًا فقط، وهذه النصوص ليست هي العلم، العلم هو العمل، والخشية، والخوف، العلم الرغبة فيما عند الله، إما أن تكون عالمًا ولا تخاف الله، عالمًا وتجترئ على حدود الله، عالمًا وتضيع أوامر الله؟! فلا.

جاءني أحد الإخوة يومًا من الأيام، وكان مؤذنًا في أحد المساجد، وهو رجلٌ أُمِّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب؛ لكنه يخاف الله، عنده في قلبه خوف من الله، جاءني وهو يشتعل غضبًا، قال: يا شيخ! كيف هذا الكلام؟! قلت: نعم.ماذا هناك؟! قال: أنا مؤذن المسجد الفلاني، وحول المسجد عمارة فيها أربع شقق، يسكنها أربعة (دكاترة) يقول: منذ أن سكنوا إلى

---

(١) حسن: أَخْرَجَهُ ابن ماجه [٢٥٣]، وقال الألباني: حسن انظر حديث رقم: [٦٣٨٢]، في «صحيح الجامع».

(٢) صحيح: أخرجه ابن ماجه [٢٦٠]، وقال الألباني «صحيح» انظر حديث رقم: [٦١٥٨]، في «صحيح الجامع».

الآن لم يدخلوا المسجد، يقول: وكنتُ أتصور عندما أسمع مَن يقول: يا (دكتور)! كنتُ أحسب أنهم (دكاترة) في (المستشفى).

فقلت: هذا ليس غريبًا؛ لكني الآن علمتُ أنهم (دكاترة) في كلية الشريعة، يقول: من حين سكنوا إلى نصف السنة ما دخلوا المسجد، أحدهم يدرس تفسيرًا، والثاني يدرس الفقه المقارن، والثالث يدرس الأصول، والرابع يدرس اللغة العربية، (دكاترة) يدرسون القضاة ويخرّجون القضاة؛ لكنهم لا يصلون في المسجد، إذاً: فما قيمة العلم عند هؤلاء؟! ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾ [الجمعة:٥]، هذا المثل لا يحتاج توضيحًا.

يقول الشاعر:

إذا لم تستفد بالعلم هديًا فليتك ثم ليتك ما علمته

العلم يرفعك إلى الله، ويقربك إلى طاعة الله؛ لكنك إذا كنت تتعلم وتزداد ضلالًا وبُعدًا عن الله، فإن هذا مصيبة، والعياذ بالله! فهذا المثال الثاني للذين يتعلمون ولا يعملون، وهذا المثال سيئ، كمثل الحمار، والحمار -والعياذ بالله- من الحيوانات التي تضرب بها الأمثال في البلادة والجهل، و-أيضًا- فيه خصلة ذميمة وهي نكارة الصوت، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٩]، وفعلًا أي صوت من البهائم تسمعه لا تشمئز منه؛ لكن دع حمارًا ينهق بجانبك، يكاد يفجر أذنك، ثم إنه صوت قبيح وخبيث.

فكذلك من يحمل العلم ولا يعمل به مثل الحمار، وإذا تكلم فمثل نهيق الحمار، يضرب به المثل في كراهية الصوت، والعياذ بالله! وأيضًا يضرب به المثل في الجهل، إذا رأوا جاهلًا قالوا: أجهل من حمار أهله.

ويقال في المثل العربي: «أخزى الله الحمار مالًا لا يُزَكَّى ولا يُذَكَّى» الذي عنده حمار، لا هو يُذَكَّى إذا مات، ولا عليه زكاة، فلا مصلحة منه لا في حياته ولا في موته،

ويقولـون: أخزى الله الحمار مالًا لا يُزَكَّى -تُدْفَع عليه زكاة- ولا يُذَكَّى -فيؤكل- وإنما ليس منه مصلحة، لكنه يزكى في حالة واحدة وهي: إذا كان عرضًا من عروض التجارة، إذا كان هناك شخص يتاجر في الحمير، فإن عليه إخراج زكاتها؛ لأن عروض التجارة كلها تشملها الزكاة، لكن لو لم يكن لديه تجارة وإنما يهوى جمع الحمير، وعنده (مائة) حمار فليس فيها زكاة، فيقولون: «أخزى الله الحمار مالًا لا يُزَكَّى ولا يُذَكَّى».

وأيضًا يقال فيه: إنه من ضلاله عنده قياس؛ لكنه يستعمل القياس بطريق الجهل، ولذا إذا رفعت يدك لضربه يخفض برأسه، يحسب أن يدك سوطًا، يقيس كل شيء عنده بالسوط؛ لأنه يخاف من العصا، ويخاف من الضرب، فأي شيء ترفعه، فإنه يظن أنه سوط لضلاله وجهله. فما ضرب الله عز وجل بهذا المثل لمن لا يعمل إلا على سبيل التبكيت، وعلى سبيل التشنيع والتنفير، حتى لا يصير الإنسان مثل الحمار، حينما يكون له علم ولا يعمل به.

المثال الثالث. وهو يأتي ثمرة للثاني: مَن عَلِم وعَمِل؛ لكنه لم يثبت تشبيه الله للذين لا يثبتون على الدين بالكلب لقد تَعَلَّم العلم، ثم استجاب للعلم بالعمل وسار في العمل؛ لكنه سار في العمل فترة ثم انتكس، وترك دين الله، هذا ضرب الله له مثلًا من أبشع ومن أسوأ الأمثلة، وهو مثل الكلب -والعياذ بالله- الذي لا يثبت على الدين ولا يستمر عليه إلى أن يموت، هذا لا ينتفع منه؛ لأن العبرة دائمًا بالخواتيم، وكان النبي ﷺ يسأل الله ويقول: «**اللهم احسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة**[١]». والعبرة دائمًا في حياتك أنت بما تختم به حياتك، ولهذا قال ﷺ والحديث في السنن: «**إذا احب الله عبدًا استعمله، قالوا: كيف يستعمله يا رسول الله؟! قال: يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه**»[٢] يوفقك لعمل صالح تستمر عليه ثم تموت وأنت عليه.

(١) أخرجه أحمد [١٧٦٦٥] والطبراني في «الكبير» (٢/ ٣٣) وابن حبان[٩٤٩] وهو حديث حسن.
(٢) أخرجه أحمد [١٢٠٥٥]، والترمذي [٢١٤٢]، وابن حبان [٣٤١] وانظر «صحيح الجامع» [٣٠٥].

فلهذا يحبك الله؛ لكن توفق لعمل صالح ثم تتركه وتنتكس وتموت على غير العمل الصالح فلا عبرة بما عملت، فلو صليت العشاء أربع ركعات إلى ما قبل السلام بلحظة، ثم انتقض وضوؤك ؛فالصلاة باطلة رغم أنك صليت أربع ركعات سليمة وليس فيها شيء؛ لكنك ما أكملتها، ولو ما أكملت دقيقة واحدة، بطلت صلاتك. ولو صمت في رمضان من الفجر إلى قبل غروب الشمس بدقائق ثم أفطرت، فصيامك باطل، بالرغم من أنك صائم (اثنتي عشرة) ساعة؛ لكنك ما أكملت، وكذلك مَن عَبَدَ الله طوال حياته، ثم ترك في آخر لحظة من حياته خُتِمَ له بالنار، وهذا معنى حديث النبي ﷺ: **«إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها»** (١).

وفي هذا الحديث حث للأمة على أن تتشبث وتتمسك بالعمل الصالح إلى أن تموت، لا تقل: لا والله سأعمل هذه ثم أتوب، فربما لن تتوب، ربما تموت عليها، وليس في هذا مفهوم للسذج والبسطاء الذين يقولون: ما دام أنها هكذا، أنا سوف أعمل بعمل أهل النار، وإذا لم يكن بيني وبين الجنة إلا ذراعًا عملت عمل أهل الجنة! يريد أن يضحك على الله، فلا يصلح هذا، ولا ينفع.

أيها الإخوة: الذين ينتكسون ولا يثبتون على دين الله حتى الممات، هؤلاء ضرب الله لهم بمثال سيئ في كتابه الكريم، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]، هذه الآية وإن كانت نزلت في رجل من بني

---

(١) البخاري [٦٥٩٤]، ومسلم [٢٦٤٣]، من حديث عبد الله بن مسعود.

إسرائيل اسمه بلعام بن باعوراء، إلا أنه كما يقول المحققون من أهل العلم: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والله أمر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يخبرنا ويقول: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ ﴾؛ أخبر أمتك يا محمد! بنبأ ذلك الرجل الذي آتيناه آياتنا، آتيناه العلم، وآتيناه الآيات والدلالات الواضحات على عظمة الله، فبدل أن يعمل بها ويستمر عليها انسلخ منها، والانسلاخ عن الشيء هو: تركه مع عدم الرغبة في العودة إليه، إنك إذا خلعت ثوبك تخلعه من أجل أن يُنَظَّف وتلبسه مرة أخرى، ولذا إذا خلعته ماذا تقول؟

تقول: أنا فَسَخْتُ ثوبي أو خَلَعْتُ ثوبي، ولا تقول: سَلَخْتُ ثوبي، لكن إذا سَلَخْتَ جلد الشاة ماذا تقول؟ تقول: خَلَعْتُ جلدها؟ أو فَسَخْتُ جلدها، أو سَلَخْتُ جلدها؟! سَلَخْتُ جلدها، لماذا؟ لأنه لن يعود جلدها عليها، هل حصل أن عاد جلد شاة عليها؟ أبدًا مستحيل! وكذلك هذا الرجل لَمَّا انسلخ من الدين انسلخ بنية ألا يعود إليه، قال عز وجل: ﴿ فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾، فماذا حصل لما انسلخ؟ قال عز وجل: ﴿ فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ حين كان يعمل بآيات الله كان في حرز، ولم يكن للشيطان عليه سلطان، وما كان الشيطان يستطيع عليه؛ لأنه محفوظ بآيات الله، محفوظ بدين الله؛ لكن بمجرد أن تخلى عن حرزه، وترك حصنه، وانسلخ عن آيات ربه، تسلط عليه الشيطان.

وهذا معنى قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴾ [النحل:٩٩، ١٠٠]. فإذا أردت أن تبقى في حصن حصين، وفي منعة من الشيطان الرجيم فاعمل بطاعة الله، إذ لا سلطان للشيطان على من أطاع الله، يقول الله: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾ [الحجر:٤٢]، فسلطان الشيطان على من اتبعه؛ لكن من يتبع الله ويعبد الله لا سلطان للشيطان عليه، ولهذا حينما لعنه الله وطرده وقال له: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾

قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢-١٨]. أنت والذي وراءك في جهنم: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [الأعراف: ١٩]، إلى آخر الآية. إذًا: متى يتبع الشيطانُ الإنسانَ؟! إذا تخلى عن طاعة الرحمن، أما إذا كان الإنسان ملازمًا لطاعة الله، فإنه في حصن وحماية ووقاية من الشيطان.

وهذا معنى قول الله عز وجل في هذه الآية: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [الأعراف: ١٧٥]، فإذا أتبعه الشيطانُ ماذا يكون نتيجته؟! ﴿مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾. الذي يتبعه الشيطانُ هل يمكن أن يدله الشيطان على طريق الهداية؟! أم أنه يدله على طريق الغواية؟! يدله على طريق الغواية بدون شك، وما دام الشيطان معه فإنه يزيِّن له الباطل، ويزيِّن له الشر، ويكرِّه إليه الطاعات، ويكرِّه إليه العمل الصالح، ويزيِّن له كل شر، ويكرِّه إليه كل خير؛ لأنه غاوٍ ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾، ثم يقول عز وجل: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٧٦]؛ لو شاء الله تبارك وتعالى لَقَصَره وجعله مسلوب الإرادة، وصار آلياً؛ لكن الله أكرمه وأعطاه هذه القدرة على أن يسير في طريق الخير، فأخلد إلى الأرض ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، إلى شهواتها، ومُتَعِها، ولذائذها ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾، ولم يتبع أمر مولاه، واتباع الهوى من أعظم ما يصدُّ عن دين الله: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ﴾[الجاثية: ٢٣].

قال عز وجل: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ ما هو اللهث؟ اللهث هو: إخراج اللسان من الفم عند العطش، وفي حالة التعب، فالكلب يخرج لسانه، إن حملت عليه بالضرب يخرج لسانه، وإن تركته ورحمته يخرج لسانه ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الأعراف: ١٧٦].

والكلب ضُرِب به المثل في هذا لسوئه، فإن فيه من السوء ما لا يعلمه إلا الله، ضَرَب الله عز وجل لمن ينتكس ويترك الإسلام والدين ويرجع إلى طريق الغواية مثلًا بالكلب، وفي الكلب من السوء الشيء الكثير: أولاً: من سوء الكلب أنه إذا سمَّنته وأطعمته أكلك، وإذا أجعته وضربته تبعك: ولهذا قالت العرب: (سَمِّن كلبك يأكلك، وأجع كلبك يتبعك) إذا أجعته وأهنته بقي في خدمتك، وإذا سمنته وأكرمته رجع ليأكلك، وهذا سيئ، والعياذ بالله!

ثانيًا- يُضْرَب به المثل في اللؤم والطمع: تقول العرب: (ألْأَم من كلب على جيفة) لو أن هناك جيفة جمل وجاء كلب لوحده، تراه يأكل وينبح، يخاف ألا يأتيه كلب ثانٍ، والجيفة تكفيه وتكفي (مائة) كلب معه؛ لكنه لئيم، لا يريد أن يأكل إلا هو. ولذا فالذي يترك الدين لئيم، فيه من لؤم وحقارة ودناءة الكلب ما فيه؛ لأن الله هو الذي ضرب المثال له: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾، حينما ينسلخ الإنسان من الدين، ويترك هذه الكرامة وهذه العزة وهذا السؤدد والمجد لأهل الإيمان والعمل الصالح، فإنه يعيش درجةً أسوأ ما يمكن وهي درجة الكلاب والعياذ بالله! ثالثًا: الكلب مِن سوئه: أنه يكره المطر: لا يحب المطر، والسبب كما قال العلماء.

لأن الكلب إذا غرق أنتن ريحُه، فإذا ابتل ظهره وصار الماء عليه ظهرت له رائحة كريهة، ولذا أكره شيء عنده إذا رأى المطر، وإذا رأى السحاب بعيدًا قام لينبح، ولهذا يقولون: (لا يضر السحاب نبح الكلاب) السحابة في السماء وهو ينبح في الأرض؛ لأنه يريدها ألا تمطر، لا يريد السحابة أن تمطر فينبحها! بعقليته الضالة، وهو من حين أن يرى السحابة فإنه لا يريد المطر حتى لا ينتن ريحه، ولهذا يقول الشاعر وهو يصف امرأته-لأن المرأة من خصائصها، ومن أبرز صفات المرأة الناجحة ذات التبعُّل الحسن مع زوجها، أنها تكون ذات رائحة طيبة.

ولـذا حُـرِّم على المرأة المسـلمة إذا خرجت أن تتطيب حتى لا تفتـن الناس بريحها؛ لكنهـا إذا دخلـت بيتها يُـشْرَع في حقها أن تكون كالزهرة عبقـة الرائحة، حتى إذا مر من عندهـا زوجهـا يجد لهـا ريحًا؛ لكن هذا الشـاعر كأن زوجتـه ما كانت تريـده، وما كانت تتطيب، فشم رائحتها وإذا بريحها ليس جيدًا- فيقول فيها:

ريــحُ الـكـرائـم مـعـروفٌ لـه أرَجٌ وريـحُـهـا ريـحُ كـلـبٍ نـالـه مطرُ

يقول: ريحها مثل الكلب الذي جاء عليه مطر، فطلعت رائحته من جلده -والعياذ بالله- فما أسوأ من الكلب ريحًا إذا ابتل ونزل المطر، رغم أن المطر رحمة، المطر كل الأرض تفرح به، الأرض تسـتقبله، والنبات ينبت، والزهـور تتفتح، والخيرات تكون موجودة، والحيوانات والبهائم ترعى، أما الكلب فلا، الكلب لا يرعى، من حين أن يرى السحابة في السماء يقوم لينبح، ينبحها حتى لا تُنْزِل مطرًا على الناس.

فهذا من سـوئه، ولذا ضرب الله به مثلًا بأنه يكره الرحمة المهداة، يكره الدين الذي جاء به سـيد المرسـلين، فهو رحمة وغيث، كما أن المطر غيث الأرض، كذلك الدين غيث القلوب، وهذا الكلب لا يريده ويعرض عنه، وينسلخ منه، فمثله مثل الكلب.

رابعًا- الكلب معروف بالخسة والخيانة: لو جاء لص يريد أن يسرق بيتًا وفيه كلب، فلـو أعطـى الكلبَ قطعة لحـم فإنه لن ينبح، يقعـد ليأكلها؛ لأن ذاك يعطيـه؛ فإذا أعطاه اللص لحمة أحسـن فإنه يسـكت عنه. ثم إن في الكلب خصلة ذميمة وهي: أنه يسـهر في الليـل وينـام في النهـار: لا ينام في الليل، طـوال الليل ينبح، فإذا جـاء وقت صلاة الفجر نام إلى العصر. ويوجد في بعض الناس الآن شـبهٌ من هذا الشيء، تجده طوال الليل وهو (يفحِّط) في الشـوارع، ويسـهر على الأرصفـة، ويتابع الأفلام، ويشـاهد المباريات، وإذا قيـل له: نم، قال: والله ما جاءني النوم. فـإذا أتى وقت صلاة العبادة صلاة الطاعة صلاة الفجـر آخـر الليل، حـين نزول الرب تبـارك وتعالى، حين نزول الرحمـات نام عن صلاة

الفجر، وعن صلاة الظهر والعصر، واستيقظ قرب الغروب، وقام وأخذ سيارته وذهب مثل كلب البدو، لا ينام في الليل وينام في النهار، هذا -والعياذ بالله- من نكس الفِطَر، فقد جعل الله الليل سكنًا، وجعل النهار معاشًا، فتسكن في الليل، وتنتشر في الأرض في النهار؛ لكنك إذا قلبتَ المسألة، وصرت تسكن في النهار وتنتشر في الليل، فمن الذي ينتشر في الليل؟!

يقول العلماء: لا ينتشر في الليل إلا الهوام والسباع الضارة؛ الحيات، والعقارب، والثعابين، والأسود، والنمور، متى تخرج؟ تخرج في الليل، وتكمن في النهار؛ لأنها إذا خرجت في النهار تعرضت للقتل؛ لأنها مؤذية، فتخرج في الليل. وكذلك هذا الرجل الذي لا يقوم بطاعة الله عز وجل يكمن في النهار، ولا يخرج إلا في الليل، لماذا؟ لأنه حيوان ضار، يذهب فيتعرض لمحارم الناس، ويعتدي على أموال الناس، ويعمل أشياءً تضرهم، ولا يجد مجالًا لأن يعمل هذا الشر في النهار، فيخرج فيه في الليل، ويتشبه بالبهائم والسباع والحيوانات والحشرات الزاحفة، التي تضر الناس ولا تنفعهم.

وهذه هي الأمثلة الثلاثة التي ضربها الله تبارك وتعالى لهذه الأصناف الثلاثة:
الصنف الأول: مَن يُعرض عن دين الله: ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾ [المدثر: ٥٠].

الصنف الثاني- مَن لا يعرض؛ يسمع ولكنه لا يعمل: ﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾[الجمعة: ٥].

الصنف الثالث- مَن لا يعرض ويعمل؛ لكنه لا يستمر، ولا يثبت، وإنما ينتكس، كما قال الله: ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

أعوذ بالله وإياكم أن نكون مثل هذه الأشياء! ونسأل الله الذي لا إله إلا هو أن ينير بصائرنا، وأن يرزقنا العلم والعمل والثبات عليه حتى نلقاه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

۞ ۞ ۞

الباب الثاني

أمثلة نبوية من هدي خير البرية

وهـذا ذكر لبعض الأمثال المروية عن النبي ﷺ، وهي تقع مواقع الإفهام باللفـظ الموجز المجمل، وبيان وشرح وتمثيل يوافق أمثال التنزيل التي وعد الله عز وجل بهـا وأوعد، وحرم وأحل، ورجى وخـوف، وقرع بها المشركين وجعلها موعظة وتذكيرًا للمؤمنين، ودل على قدرته مشـاهدةً وعيانًا وعاجـلًا وآجلًا: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

١ - ضرب المثل بالصراط المستقيم.

عن النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعلى جنبتي الصراط سوران، فيهما أبوابٌ مفتحةٌ، وعليها سـتورٌ مرخاة، وعلى رأس الصراط داعٍ يقول: هلم -عباد الله- إلى الصراط ولا تتعوجوا، وفـوق الصـراط داع، كلما أراد الإنسـان أن يفتـح بابًا قال: ويحـك! لا تفتحه؛ فإنك إن فتحته تلجه. فالصراط: الإسـلام، والسـوران: حدود الله عز وجل، والأبواب: محارم الله تعالى، والداعي على الصراط: كتاب الله عز وجل، والداعي من فوق الصراط: هو داعي الله عز وجل في نفس كل مسلم**»(١) .

هـذا الحديـث من أجمـل الأحاديث وأعذبهـا، وهو كثـير الفوائـد! والمقصود من ضرب المثـل: تبيين الفكـرة المجملة؛ لأن العمل بالشيء فرعٌ عـن تصوره، فإذا تصورت الشيء عملته.

---

(١) أخرجـه أحمـد [١٧٦٧١] وفي [١٧٦٧٣]، والتِّرمـذي [٢٨٥٩]، والنَّسـائي في «الكـبرى» [١١٢٣٣]، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٩٩)، والبيهقي في «الشعب» [٧٢١٦]، وقال الألباني: صحيح، انظر حديث رقم: [٣٨٨٧] في صحيح الجامع .

(أ) الصراط له معاني وأساليب جاءت في القرآن الكريم:

فالصراط هو الطريق، وكلما جاء الصراط في كتاب الله مفردًا غير مقيدٍ بوصف؛ فإنما يقصد به الصراط المستقيم، والمستقيم وصفٌ للصراط لكن لو قلت: لفظة (الصراط) بلا وصف لا مستقيم ولا أعوج، إذا جاء الصراط مفردًا غير موصوف في كتاب الله عز وجل فيقصد به الصراط المستقيم، وهذا يدلك على أن لفظة (الصراط) تحمل في معناها لفظة الاستقامة، كما قال عز وجل: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَـٰكِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٤]، ناكب: أي منحرف، ولم يقل: (عن الصراط المستقيم)، والسياق أعلمنا أن الصراط هنا هو الصراط المستقيم؛ فالذين لا يؤمنون بالآخرة لا يمكن أن يمشوا على الصراط المستقيم.

وقال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٨٦]، الصراط هنا المقصود به الصراط الحسي أو المعنوي أو كليهما معًا، ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾ لا تقعدوا في كل طريق ﴿تُوعِدُونَ﴾، أي: تهددون الذين آمنوا؛ إذ سلكوا الصراط إلى الله ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾، فكلمة ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ دليل على أن الصراط الذين يصدون عنه مستقيم؛ لذلك أرادوا أن يجروا الذين آمنوا إلى غيره من الطرق المعوجة. وكلما اعوج الطريق طال، وأنت إذا رسمت بين أي نقطتين خطًا معوجًا، فالمسافة بين النقطتين إذا كان بينهما خط مستقيم مثلًا عشرة أمتار، لكنها على الخط المعوج صارت عشرين مترًا.

ولذلك لما وصفوا الخط المستقيم قالوا: هو الخط الفاصل بين أقرب نقطتين، هو هذا المستقيم. إذًا كلما استقام الطريق، قصر وقرب في إيصال سالكه إلى المقصود. ولذلك أمرنا الله عز وجل أن نقرأ في اليوم سبع عشرة مرة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] لماذا؟ لأن الصراط المستقيم هو أقصر طريق موصل إلى المقصود، كلما كان الطريق معوجًا كلما طال على سالكه، لذلك قال الله عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا

تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام :١٥٣]. والصراط: وصف بالاستقامة في آيات كثيرة جدًا: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المؤمنون :٧٣]. وقوله ﴿ نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ﴾ [الشورى :٥٢، ٥٣].وقوله ﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [النساء :١٧٥]. آيات كثيرة فيها ذكر الصراط المستقيم، أو ما يقوم مقام الاستقامة، كقوله تعالى: ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه :١٣٥] فـ﴿ ٱلسَّوِىِّ ﴾ هنا: بمعنى المستقيم أيضًا.وفي سورة ﴿ صٓ ﴾ في الآيات التي تذكر تسور الخصمين على داود: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴾ [ص :٢١، ٢٢]، فكلمة ﴿ سَوَآءِ ﴾ هنا هي مثل ﴿ ٱلسَّوِىِّ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ ﴾ وهي مثل كلمة ﴿ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ في قوله تعالى:﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾.

ب ـ أوصاف الصراط المستقيم.

إن الله تبارك وتعالى أمرنا أن ندعوه، فنقول: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة :٦] و﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ له أوصاف وميزات: منها: أنه مستقيم. فتصور رجلًا أعمى لا يبصر، ووضعت قدميه على هذا الصراط، وقلت له: يا بني! امش، لا تنحرف. رغم أنه أعمى؛ فسيصل فهذا هو الحق ليس به خفاءٌ، فدعني من بُنَيَّات الطريق (بنيات الطريق) هي الطريق المعوجة، والبصير يتوه في الطريق المعوج، والأعمى لو صففت قدميه على طريق مستقيم لمضى وهو أعمى ووصل، فكيف إذا كان مبصرًا؟! فلا يضير أن يكون الطريق طويلًا ما دام مستقيمًا. وفي الحديث الذي رواه أحمد وغيره -وهو حديث صحيحٌ أيضًا- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**خط لنا رسول الله** صلى الله عليه وسلم **على الأرض خطًا**



طويلًا، وخط حوله خطوطًا قصارًا، ثم قال: هذا صراط الله»[1] طويل، لكنه مستقيم، من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة هو صراط واحد، قد فنيت فيه الأمم، ومات فيه ألوف النبلاء، بل ملايين النبلاء، ولا يزال في الطريق بقية، لا تسقط الراية منه، إنما يسلم بعضهم الراية لبعض، راية التوحيد. قال: «**هذا صراط الله، وهذه صرط الشياطين، على كل صراط شيطان يدعو إليه، ثم تلا قوله تبارك وتعالى:** ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»[2].

وقال أبو محمد[3]: في شرح حديث النواس بن سمعان: ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾: الطريق، والسور: الحائط، يقال: سرت الحائط وتسورته إذا صرت في أعلاه، وجنبتا الصراط: ناحيتاه، والجمع جنبات، والحد: المقدار، والتناهي الممنوع من تجاوزه كما قال الله عز وجل: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧].

وأصل الحد: المنع، ومنه ضرب الحد، وهو عدد ومقدار منع الله من تجاوزه، وحدود الدار هو المقدار والتناهي الذي لا يتجاوزها صاحب الدار، ويسمى البواب حدادًا لأنه يمنع من الدخول، وتقول: دون ذلك الأمر حدد، أي مانع قال زيد بن عمرو بن نفيل: سبحانه ثم سبحانًا نعوذ به، فقبلنا سبح الجودي والجمد لا تعبدن إلها غير خالقكم وإن دعيتم فقولوا دونه حدد وهذا مثل في وضوح الحق وظهور معالم الإسلام لمن أراد قصدها، وعدل عن طريق الشبه والريب مفارقًا لها.

---

(١) أخرجه أحمد [٤١٤٢]، والدرامي [٢٠٢] والنسائي في «الكبرى» [١١١٠٩] والحاكم في المستدرك (١/ ٣٨٣) والبغوي في «شرح السنة» (١/ ١٩٦).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٣٥) [٤١٤٢] وفي (١/ ٤٦٥) [٤٤٣٧]، والدارمي [٢٠٢]، والنَّسائي «الكبرى» [١١١٠٩]، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٨٣)، والبغوي في شرح السنة (١/ ١٩٦)

(٣) كلما قلت: قال: أبو محمد... فإنني أقصد أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي في كتابه «أمثال الحديث» لذلك فانتبه أكرمني الله تعالى وإياك.

٢ـ عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحلال بين، والحرام بين، وبين ذلك مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استترن منه، واعرضن عنه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي حول الحمى فيوشك أن يقع فيه، ولكل ملك حمى، وحمى الله محارمه**» (١).

قال أبو محمد: الحمى: المكان المعشب الذي يمنع مالكه من تطرقه وقوله: فمن اتقى الشبهات استترن منه وأعرضن عنه: تمثيل، ومعناه ترك الإنسان ما يريبه إلى ما لا يريبه، وجعل الفعل للشبه على التوسعة، ومثله في كلام العرب كثير.

قال الشاعر:

وفارقني قرين السوء لما رأيت الرشد فارقت القرينا

أراد جهل الشباب، فأوجب له الفعل في حال ولنفسه في حال، والجهل لا فعل له، وإنما الفعل للجاهل.

٣ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: جاءت ملائكة إلى نبي الله ﷺ وهو نائم فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلًا، فاضربوا له مثلًا فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيًا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فقالوا أولو ها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا: فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ فمن أطاع محمدا ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصى محمدًا ﷺ فقد عصى الله (٢).

---

(١) أخرجه البُخَارِي [٥٢]، [٢٠٥١] ومسلم [٤١٠١]، [٤١٠٢]، وفي [٤١٠٣]، وفي [٤١٠٤]، والبغوي في «شرح السنة» (٨/ ١٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ٩٣) [٧٢٨١]، «كتاب الاعتصام بالكتاب والسنه»، بَاب الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، قَالَ أَيِمَّةً نَقْتَدِي بِمَنْ قَبْلَنَا

قال أبو محمد: المأدبة: الوليمة وفي حديث ابن مسعود: «إن هذا القرآن مأدبة الله» ويروى مأدبة الله، بفتح الدال . قال لي أبو موسى الحامض: من روى هذا بضم الدال فإنما أراد الوليمة، ومن رواها بفتح الدال أراد أدب الله عز وجل الذي أدب به عباده.

وقال أبو محمد: قوله: «القلب يقظان» تمثيل، ويراد به حياة القلب وصحة خواطره، ويقال: رجل يقظ ويقظ إذا كان حديد القلب ذكيه، وهذا مثل لدعوة النبي ﷺ ، والفوز بالاستجابة لها، والوصول إلى الجنة بها: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[يونس: ٢٥] .

٤ ـ عن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومًا، فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان، فالنجاء فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم، فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق**»(١).

قال أبو محمد: سمعت أبي يقول: النذير العريان الذي قد ظهر صدقه ولا أدري عمن حكاه وإلى من أسنده، إلا أني سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن السري يقول: عري الأمر إذا ظهر، ويقال: الحق عار أي ظاهر مشرق مشرف، كما قيل: الحق أبلج من بلجة الصبح.

قال فند الزماني:

فلما صرّح الشر وأمسى وهو عريان
مشينا مشية الليث بدا والليث غضبان

وَيَقْتَدِي بِنَا مَنْ بَعْدَنَا وَقَالَ ابْنُ عَوْنٍ ثَلَاثٌ أُحِبُّهُنَّ لِنَفْسِي وَلِإِخْوَانِي هَذِهِ السُّنَّةُ أَنْ يَتَعَلَّمُوهَا، وَيَسْأَلُوا عَنْهَا وَالْقُرْآنُ أَنْ يَتَفَهَّمُوهُ وَيَسْأَلُوا عَنْهُ وَيَدَعُوا النَّاسَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ.

(١) أخرجه البخاري[٦٤٨٢]، ومسلم [٢٢٨٣]، وأبي يعلى [٧٣١٠]، وابن حبان [٣].



وقال الخطيم:

وقال وقد مالت بهم نشوة الكرى ... نعاسا ومن يعلق سرى الليل يكسل

أنخ نعط أنضاء النعاس دواءها ... قليلًا ورفه عن قلائص ذبل

فقلت له كيف الإناخة بعدما ... حدا الليل عريان الطريقة منجل

وأنشدني بعض شيوخنا عن المازني، عن الجواداني قال: أنشدني بشار:

أسرت وكم تقدم من أسير ... يزين بوجهه عقد الأسار

ككعب وبسطام بن قيس ... أصيبا ثم ما دنسا بعار

فكيف ينالني مالم ينلهم ... أعز نظرًا فإن الحق عار

والطائفة من كل شيء قطعة منه، تقول: طائفة من القوم، وطائفة من الليل، كما قال الله عز وجل ﴿ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ [المزمل :٢٠]: وطائفة من الذين معك المزمل وأدنى ما يقع اسم الطائفة واحد، وهذا القول للشافعي رحمه الله في قوله: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾ [التوبة:١٢٢].

وقد قال ذلك غير الشافعي، والنذير بمعنى المنذر، كما قال: سميع بمعنى مسمع، وأليم بمعنى مؤلم، ووجيع بمعنى موجع، قال عمرو بن معد يكرب :

أمن ريحانة الداعي السميع يؤرقني ... وأصحابي هجوع يريد الداعي المسمع

وقوله: أدلجوا، الإدلاج من أول الليل، تقول من ذلك: أدلج يدلج إدلاجًا، والادلاج - بتشديد الدال - من آخر الليل، تقول منه: أدلج يُدْلِج إدلاجًا واسمه الدلجة.

٥ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش والذباب يقتحمون فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها»**[1].

---

(١) أخرجه البُخاري [٣٤٢٦]، و[٦٤٨٣]، ومسلم (٧/ ٦٣)، والتِّرمذي [٢٨٧٤]، والبغوي في «شرح السنة»(١/ ١٩٧).

قال أبو محمد: استوقد بمعنى أوقد كما قالوا: استجاب بمعنى أجاب، قال الله عز وجل: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وقال: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧].

وقال الغنوي:

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى ... فلم يستجبه عند ذاك مجيب

والحجز واحدتها حجزة، تقول: حجزة وحجز وحجزات، وهي معقد الإزار وحيث يثني طرفه، قال النابغة:

رقاق النعال طيب حجزاتهم ... يحيون بالريحان يوم السباسب

وهذا تمثيل من أوجز الكلام وأبلغه وأشده اختصارا تقول: أخذت بحجزته عن كذا إذا صددته عنه ومنعته منه، وتقول: أخذت بناصيته إلى كذا إذا قدته إليه وقهرته عليه قال الله عز وجل: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ . أي هو قادر عليها، مالك لها . والناصية تناهي شعر الرأس مما يلي الوجه وقال: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١]، أي يساقون إلى النار قهرًا . ويقول القائل: ناصيتي بيدك، في معنى الطاعة والانقياد. وقال الفرزدق :

عشية أعطتنا عمان أمورها ... وقدنا معدًا عنوة بالخزائم

يريد أنهم غلبوهم وساقوهم قهرًا. وقوله: «**انا آخذ بحجزكم عن النار**» . يقول: أحذركموها، وأصدكم عنها، وأرغبكم في الجنة ونعيمها، وأنتم في غفلة ساهون لا تشعرون، كما يقتحم الفراش النار وهو لا يشعر، لميلكم إلى الدنيا وزهرتها، وإيثاركم لها على ثواب الله تعالى وما عنده، الذي هو خير وأبقى، فهذه موعظة لبعض من أجابوا الدعوة، ويحتمل أن يكون وعيدًا لمشركي قريش.

٦ ـ عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «مثلي ومثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيثٍ أصاب الأرض، فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا ورعوا وسقوا، وأصاب طائفة أخرى منها الماء، وهي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[١].

قال أبو محمد: الغيث اسم عام للمطر يغيث الله به عباده، ويصيب به مواقع النفع لهم، تقول منه: غيثت الأرض فهي مغيثة، والكلأ: الحشيش، قال صاحب كتاب العين: هو اسم لرطبه ويابسه. قال: والعشب لا يكون إلا رطبًا، وقال أبو زيد الأنصاري: الكلأ كله ما دام رطبًا عشبه وبقله، وهو مهموز، والجمع الأكلاء ممدود، يقال: أكلأت الأرض فهي مكلئة، وأكلأت الأرض وأعشبت، وأكلأ المال وأعشب، والناس مكلئون ومعشبون، وقد بدأ الإكلاء والإعشاب والإبقال.

فأمّا ذكار الكلأ: فعشب وهو ما غلظ منه وعظم، والبقل ما لان منه ودق وهذا مثل للنبي ﷺ في إبلاغه عن الله عز وجل، ودعائه إلى سبيله، وأنه بُعِثَ رحمةً للعالمين ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراطٍ مستقيم، ومثل ذلك بالغيث الذي ينشر الله به رحمته في الأرض ويحيي به الأنعام والحرث، والذين استمعوا قوله وشاهدوا أمره في اختلاف مذاهبهم وطرائقهم ببقاع الأرض التي يختلف تربها وأماكنها، فمنها ذات الرياض المعشبة الكثيفة التي يكثر خيرها ويعم نفعها، ومنها الأماكن ذات الغياض والغدران والنقر والقلات، وغير ذلك من الأماكن التي يستنقع فيها الماء؛ فيرد إليها الناس والأنعام، ومنها ما لا يتعلق من المطر إلا بمروره عليه، وهو مثل لمن فقه عن الله عز وجل وتفقه لما أمر به الرسول ﷺ فعلم وعلم وعمل، ومثل للحامل

---

(١) أخرجه البخاري [٧٩]، ومسلم [٢٢٨٢]، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٨٨).

علمـه إلى مـن هو أوعى منه، كما قال في الحديث الآخر « **فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منـه**»[1] ومثل للسـامع المعرض المحـروم . والأجادب- فيما أحسـب- جمع أجداب، أو يكـون جمعًا لأجدب، وهذا- فيما أحسـب ولا أحقق- سـمعت الزجـاج يقول: جدبت الأرض وأجدبت إذا لم تنبت شيئًا وسمعت ابن دريد يقول: أرض جدبة إذا كانت قليلة النبات.

٧ ـ عن أبي هريرة،قال: قال رسول الله ﷺ : «**يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة**»[2].

قـال أبـو محمد: واتفقت ألفاظهم في ضم الميم من قوله «مهداة» إلا ابن البرتي قال: «مهـداة» بكسر الميم، من الهداية، وكان ضابطًا فيهما متصرفًا في الفقه واللغة، والذي قاله أجود من الاعتبار، لأنه بعث ﷺ هاديا، كما قال الله عز وجل :﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴾ [الشورى :٥٢]، وكـما قـال عز وجل: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾ [النحل :٤٤]، و﴿ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[إبراهيم :١]، وأشـباه ذلـك. ومـن رواه بضم الميم إنما أراد أن الله عز وجل أهداه إلى الناس وهو قريب.

٨ ـ عـن عبـد الله بن مسـعود قـال: دخلت على رسـول الله ﷺ وهو على حصـير قـد أثر الشريط في جنبـه فقلت: لو نمت يا رسـول الله على ما هـو ألين من هذا، فقـال: «**مـا لي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكبٍ مر بأرضٍ فلاة فراى شـجرة فاستظل تحتها ثم راح وتركها**»[3].

وهذا مثل في سرعة انقطاع الدنيا بصاحبها، وإن الكائن واقع.

---

(١) صحيح انظر حديث رقم [٢٣٤٥] في «صحيح الجامع».

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٤) وقال صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم: [٢٣٤٥] .

(٣) إسناده صحيح: أخرجه أحمد [٣٧٤٤]، وابن ماجه [٤١٠٩]، والترمذي [٢٣٧٧]، والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٢٣٦) وصحح إسناده الشيخ/ أحمد محمد شاكر.

وقال العدوي:

يا أيهذا الذي قد غره الأمل ... ودون ما يأمل التنغيص والأجل

ألا ترى أنما الدنيا وزينتها ... كمنزل الركب حلوا ثمت ارتحلوا

حتوفها رصد وعيشها نكد ... وصفوها كدر وملكها دول

تظل تفزع بالروعات ساكنها ... فما يسوغ له عيش ولا جذل

كأنه للمنايا والردى غرض ... تظل فيه سهام الدهر تنتضل

والنفس هاربة والموت يتبعها ... وكل عثرة رجل عندها جلل

والمرء يسعى بما يسعى لوارثه ... والقبر وارث ما يسعى له الرجل

٩ ـ عن المستورد بن شداد، عن النبي ﷺ مثله . قال: وإني لفي ركب مع النبي ﷺ إذ مر بسخلة منبوذة فقال: « **أترون هذه هانت على أهلها ؟ فوالذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على أهلها** »(١).

قال أبو محمد: السخلة: ولد الشاة، وهي اسم يجمع الذكر والأنثى، والجمع سخل، وقالوا: سخلة، والمنبوذة: الملقاة، يقال: نبذت الشيء أنبذه إذا ألقيته.

١٠ ـ عن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ : «**مثل المؤمن كمثل النحلة، أكلت طيبا ووضعت طيبا، وإن مثل المؤمن مثل القطعة الجيدة من الذهب، أدخلت النار فنفخ عليها فخرجت جيدة** »(٢).

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه أحمد [١٨١٧٦]، وفي [١٨١٨٣]، وفي [١٨١٨٤]، وابن ماجه [٤١١١]، والترمذي [٢٣٢١]، والبغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٢٢٧) حسن إسناده أحمد شاكر.

(٢) حسن: أخرجه أحمد (٢/ ١٦٢) [٦٥١٤]، وفي (٢/ ١٩٩) [٦٨٧٢]، وهو صحيح لغيره وهذا إسناد ضعيف. لجهالة أبي سبرة، والبزار في مسنده (١/ ٣٧٥)، والرامهرمزي في «الأمثال» (٥٠ / ١-٢)، والأصبهاني في «الترغيب» (١١/ ٢) وقال الألباني: حسن انظر حديث رقم: [٥٨٤٦] في «صحيح الجامع».

قال أبو محمد: هذا مثل للمؤمن في صحة عقده، وعهده، وسره، وعلانيته، وسائر أحواله، ومثل بالنحلة تارة، وبالقطعة من الذهب تسبك، فيعود وزنها مثله قبل سبكها لصفائها وخلوص جوهرها لأن الخالص من الذهب لا يحمل الخبث، ولا يقبل الصدأ، ولا تنقصه النار، ولا يغيره مرور الأوقات، وكذلك المؤمن في حال منشطه ومكرهه، وعسره ويسره على بينة من ربه، ويقين من أمره، لا ينقصه الاختبار، ولا يزيله عن إيمانه ويقينه تفرق الأحوال، والذهب أسنى الجوهر وأشرفه، ويقال للشيء في بلوغ الغاية في تفضيله وشرفه وخطره كأنه الإبريز الخالص، وما هو إلا الذهب الأحمر.

وقال بعض الشعراء:

كالخالص الإبريز إن لم تجله فجلاؤه فيه وإن صحب الأبد

لا يستحيل على الليالي لونه أنى وجوهره شهاب يتقد

وقال آخر :

لا يعلق العار جنبي إن رميت به نأيت عنه كما لا يصدأ الذهب

وحدثني عبدان بن أحمد بن أبي صالح صاحب التفسير، عن عمرو بن محمد الزنبقي البصري، عن الأصمعي، عن أبي عمرو بن العلاء قال: من أحب أن ينظر إلى رجل صيغ من ذهب فلينظر إلى الخليل بن أحمد، ثم أنشأ يقول :

قد صاغه الله من مسك ومن ذهب وصاغ راحته من عارض هطل

والنحلة كريمة تغتذي بألطف الغذاء وأشرف ما يغتذي به ذو حياة، وتمج العسل، وهو أطيب طعام وأعذبه، وإليه المثل في الحلاوة التي هي أعجب الطعوم مذاقا، وأفضلها مأكولًا ومشروبًا، وأوقعها من النفوس مواقع الغاية . ويقال: إنها بإذن الله وقدرته تحمل العسل في أفواهها، والشمع على أفخاذها وظهورها. وتقول: نحلة للذكر والأنثى، والجمع نحل، والنحل مذكرات ومؤنثات، ويقال للنحل: ذباب الخصب، وذباب الربيع

. أفرد لها هذا الاسم لشرفها، مقرون بشرف الوقت الذي تنتشر فيه، وهو الفصل الذي يكثر فيه الذباب والخصب والخير والمرعى . وسمي المعتد من الرجال السيد المؤتمر له يعسوبًا تشبيهًا بيعسوب النحل، وهو أميرها . وفي الحديث: «**علي يعسوب المؤمنين**»(١). أي سيدهم . والمال يعسوب المنافقين. ووقف علي رضي الله عنه على عبد الرحمن بن عتاب يوم الجمل وهو مقتول، فاسترجع ثم قال: هذا يعسوب قريش. أي سيدهم. واختلفوا في اليعسوب فقال بعضهم: هو نحلة ذكر أكبر من الإناث، يجتمع إليه النحل ويتفرقن عنه، وهو مقيم لا يبرح، فإن خرج خرجن معه، وإن غاب طلبنه، وإن ضاع تمزقن وتشتتن، ولم يصلحن إلا به وقال بعضهم: بل هو الأنثى وتسمى الأمراء، والنحل يسمى النحال وذكر النحل في أشعار العرب كثير لعجيب صنعتها، وجليل ما يخرج الله تعالى من بطونها. قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [النحل:٦٨، ٦٩].

١١ ـ عن ابن عمر، قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو يأكل جمارًا فقال: «**إن من الشجر كالرجل المؤمن**»، فأردت أن أقول: هي النخلة، فنظرت في وجوه القوم فإذا أنا أحدثهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**هي النخلة**» (٢).

قال الشيخ سعيد عبد العظيم: ولا مانع من ضرب الأمثال وتشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [يونس:٢٤].

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٥/ ٢٤٤) وقال حديث منكر [٣٨٠٥]ضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع».

(٢) أخرجه البُخَارِي [٧٢]، وفي[٢٢٠٩]، ومسلم [٧٢٠١]، وفي [٧٢٠٢]، وفي [٧٢٠٣]، والتِّرمِذِيّ [٢٨٦٧]، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٣٠٧).

وكقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات:١٢] وكقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج:٧٣]. والأمثال أوقع في النفس وأبلغ في الوعظ وأقوى في الزجر وأقوم في الإقناع و قد أكثر الله تعالى الأمثال في القرآن للتذكرة والعبرة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر:٢٧]. وقال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[العنكبوت:٤٣]. وضربها النبيُّ ﷺ في حديثه واستعان بها الداعون إلى الله في كل عصر لنصرة الحق وإقامة الحجة ويستعين بها المربون ويتخذونها من وسائل الإيضاح والتشويق ووسائل التربية في الترغيب أو الترهيب في المدح أو الذم.

وقوله: «لا يتحات ورقها» يعني: لا يتساقط كما يتساقط ورق الشجر، وورقها: خوصها، وأصل الحت: الفرك

قال الشاعر:

تحت بقرنيها برير أراكة وتعطو بظلفيها إذا الغضن طالها

وسمى الخوص ورقًا كما سمى النخلة شجرة. وفي هذا كلام بين الفقهاء، والنخلة سيدة الشجر، ضربها الله تعالى مثلاً لقول لا إله إلا الله، فقال ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [ابراهيم:٢٤]، ومثّلها رسول الله ﷺ بالرجل المؤمن القوي في إيمانه، المنتفع به في جميع أحواله. والعرب تعظمها ويكثر في أشعارهم ذكرها. وزعم قوم ممن يتعمق في الاشتقاق أن اسمها مشتق من الانتخال، وهو التصفية والاختبار. قالوا: فهي صفوة، ومختار المعاش. وهذا قول نادر شاذ. تقول: نخلت الشيء إذا صفيته، ونخلت الكلام والشعر إذا هذبته ولخصته.

قال الشاعر:

تنخلتها مدحًا لقوم ولم اكن ... لغيرهم فيما مضى أتنخل

وبه سمي المتنخل الشاعر، ويقول: أشد من نخلة، وأعظم بر ئة من نخلة، وتوصف المرأة الجزلة بها، وتوصف الفرس بجذعها، والقمر حين يبدو بعرجونها، ويشبه الخلق في تمامه وشطاطه بمجالها، ويسمى طلعها الكافور، وجمارها الإغريض - وهو الفضة، ويقال: إنه ليس في المأكول أنظف منها . وقال رجل من العرب يصف نسوة: كلامهن أقتل من النبل، وأوقع في القلوب من الوبل في المحل، وفروعهن أحسن من فروع النخل.

وقال الشاعر:

كأن فروعهن بكل ريح ... عذارى بالذوائب ينتصينا

وقال العرجي: حوراء يمنعها القيام- إذا قعدت- تمام الخلق والبهر كالعذق في رأس الكثيب نما طولًا ومال بفرعه الوقر وقال الحارث المخزومي: كالعذق زعزعه رياح حرجف فاهتز بعد فروعه قنوانه ويقال في بلوغ الغاية في صفاء الشيء وليانه ومخه: ما هو إلا جمارة، وكأنه جمارة النخل، كما قال الجهني: أنتم جمارة من هاشم والكرانيف سواكم والحطب.

١٢ ـ عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» (١).

قال أبو محمد: التواد، والتحاب، والتراحم، والتواصل مصادر، من قولك: تحاب الرجلان، وتوادًّا، وتواصلا، وتراحما، وهو أن يقع فعل المحبة، والمودة، والوصلة، والرحمة

---

(١) أخرجه البُخَارِي [٦٠١١]، ومسلم [٦٦٧٨]، وفي [٦٦٧٩]، وفي [٦٦٨٠]، وفي [٦٦٨٢]، والطيالسي رقم [٧٩٠].

من أحدهما مثل ما يقع من الآخر وشبه المؤمنون في هذه الخصال وإن تغايرت أجسامهم وتباينت بالجسد الواحد الذي يألم جميعه بما يألم بعضه، فكذلك المؤمنون متكافئون في السراء، ومشتركون في الشدة والرخاء.

١٣ ـ عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تكر إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة، لا تدري أيها تتبع**»(١).

قال أبو محمد: قوله « بين الغنمين » يريد بين القطيعين من الغنم، ويقال: عارت الشاة إذا فارقت جماعة الغنم وعدلت إلى بعض النواحي ومنه قيل للذي يعير نحو الباطل ويفارق أهل الاستقامة والحق: العيار. قال أوس بن حجر: ليث عليه من البردي هبرية كالمرزباني عيار بأوصال يصف أسدًا يعير بأوصال ما يفترسه، ويروى عيال، يعني يتبختر في مشيته بالعشايا . ويقال: قصيدة عائرة أي سائرة.

وقال بعض الرواة: ما قالت العرب بيتًا أعير من قوله:

فمن يلق خيرًا يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

فصاحب النفاق يعير إلى أهل الإيمان تارة، وإلى المشركين أخرى، متردد، كما قال الله تعالى: ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [النساء:١٤٣].

١٤ ـ عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ : «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة، طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة، طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة، خبيث طعمها، خبيث ريحها**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم [٧١٤٤] وأحمد [٥٠٧٩]، والبغوي في «شرح السنة» (١١/ ١١٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ١٩٠)، وفي (٩/ ١٦٢)، و مسلم (٢/ ١٩٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٤/ ٤٣١).

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: الأترجة، بلا نون، والذي يقوله العامة بالنون خطأ، وليس في المشمومات شيء يجمع طيب الرائحة وطيب الطعم غيرها، والريحان اسم يجمع المشمومات من النبات سوى الشجر هكذا قاله الحامض . وقال صاحب كتاب العين: الريحان: أطراف كل بقلة طيبة الريح إذا خرج عليه أوائل النور، وقال أبو محمد: الريحان: فعلان من الريح، والريح والروح واحد، وإنما صار الواو ياء في الريح لأن الحرف الذي قبله مكسور، وتصغيرها رويحة، وتقول: أروح الماء وغيره إذا تغير أخبرنا أبو خليفة، عن المازني، عن أبي زيد قال: يقال: انشق الصبح عن ريحانة، إذا انشق عن نسيمه، والنسيم: الرائحة الطيبة تجدها. تقول: انشق النهار عن أطيب أوقاته.

١٥ ـ عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«مثل القرآن كمثل الإبل المعلقة، إذا تعاهد صاحبها عقلها أمسكها، وإذا أغفلها ذهبت، وإذا قام صاحب القرآن يقرؤه آناء الليل، وآناء النهار ذكره، وإن لم يقم به نسيه»**(١) .

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله « إذا تعاهد صاحبها عقلها »، منهم من يقول: بضم العين، ومنهم من يقول: بفتحها، وأهل العربية يختارون الفتح، وهو مصدر قولك: عقلت البعير أعقله عقلًا، إذا شددت يده بعقال، والعقل: الحبل الذي تربطه به، ومن قال بالضم فإنما يحتاج معه إلى حركة القاف ليكون جمعًا للعقال، كما تقول: حمار وحمر، وعقال وعقل، وجراب وجرب، وتسكين القاف خطأ، وهو لفظ المحدثين.

١٦ ـ عن أنس وعمار بن ياسر قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«مثل أمتي مثل المطر، لا يدرى أوله خير أم آخره»** (٢) .

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ (٦/ ١٩٣)، وفي [٥٠٣١]، ومسلم [١٧٨٩]، والبغوي في «شرح السنة» (٤/ ٤٩٤)، وابن ماجه [٣٧٨٣].

(٢) أخرجه أحمد [١٢٣٥٢]، والتِّرْمِذِيّ [٢٨٧٣]، وابن حبان [٢٣٠٧] وانظر « صحيح الجامع»: [٥٨٥٤]

قال أبو محمد: إن تعلق متعلق بظاهر هذا الحديث فادعى عليه تناقضًا في قوله ﷺ: «خير امتي قرني، ثم الذين يلونهم»[1]. فإن المعنى في قوله «لا يدرى اوله خير أم آخره» إن الخير شامل لها، وإن كان معلوما أن القرن الأول خير من الثاني، وهذا كما قال الله عز وجل: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال الشاعر يذكر امرأة أعجبه منها بيانها وطرفها وثغرها:

أشارت بأطراف لطاف وأجفان مراض وألفاظ تنعم بالسحر ؛فو الله ما أدري أفي الطرف سحرها، أم السحر منها في البيان، وفي الثغر: يريد أن السحر في جماعتها.

١٧ـ عن عبد الله بن مسعود، قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطًا مربعًا، وخط وسط الخط المربع خطًا وخطوطًا إلى جانب الخط الذي وسط الخط المربع، وخطًا خارج الخط المربع، ثم قال: « أتدرون ما هذا ؟ ». قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: « **هذا الخط الأوسط الإنسان، والخطوط التي إلى جانبه الأعراض، والأعراض تنهشه من كل مكان، إذا أخطأه هذا أصابه هذا، والخط الرابع: الأجل المحيط به، والخط الخارج البعيد: الأمل**»[2].

١٨ ـ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالح، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ، وَكِيرِ الْحَدَّادِ، لاَ يَعْدِمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ، إِمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الْحَدَّادِ، يُحْرِقُ بَدَنَكَ ؛ أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً**»[3] وفي رواية «مثل الجليس الصالح مثل الداري إن لم يحزك من عطره علقك من ريحه».

---

(١) أخرجه البخاري برقم [٣٦٥٠]، ومسلم برقم [٢٥٣٥].

(٢) أخرجه البُخاري (٨/ ٨٩)، و ابن ماجه [٤٢٣١]، والتِّرمِذي [٢٤٥٤].

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٦٣)، وفي (٧/ ٩٦)، ومسلم (٤/ ٢٠٢٦).

والداري: العطار، ونسب إلى دارين موضع بالبحرين، يؤتى منه بالطيب وأنشدنا أبو خليفة، عن ابن عائشة: إذا التاجر الداري جاء، بفأرة من المسك راحت في مفارقهم تجري، وقوله «إن لم يحذك» يريد: إن لم يعطك، والإحذاء: الإعطاء، يقال: أحذيت، فلانا إحذاء، إذا أعطيته، والحذيا: العطية، والكير: كير الحداد، ولا يقال :كور، إنما الكور رحل الناقة وكان أبو عمرو الشيباني يفرق بين الكير والكور فيقول: الكير: زق الحداد، والكور: هو المبني من الطين وهذا قول أبي عمرو وحده.

١٩ ـ عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال :**«من شق عصا المسلمين فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»** (١).

قال أبو محمد رحمه الله: شق العصا بمعنى مخالفة الإسلام والخروج على أهله بالعصيان. يقال: شقت عصا المسلمين إذا اختلفت كلمتهم، وتبدد جمعهم، والشقاق: المخالفة في التنزيل قال الله عز وجل: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ [ص :٢]، والربقة: القلادة، ولا قلادة هناك، وإنما هو على التمثيل، وهذا من الكناية التي قد يدل ظاهرها على موقع المراد منها.

٢٠ ـ عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن الجنة تحت ظلال السيوف»** (٢).

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٢٥) [١٠٩٤٧]، وقال الحافظ العراقي في تخريج «أحاديث الإحياء» (٥/ ٧١) أخرجه الطبراني والخطابي في العزلة من حديث ابن عباس بسند جيد، وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٦٨) رواه البزار والطبراني في «الأوسط» وفيه خليد بن دعلج ضعفه أحمد، ويحيى، والنسائي، وقال أبو حاتم صالح ليس بالمتين، وقال ابن عدي عامة حديثه تابعه عليه غيره وقال النسائي: ليس بثقة، وعده الدارقطني في جماعة من المتروكين، وقال الألباني: خليد بن دعلج متروك. وصححه الألباني بلفظ [من فارق الجماعة شبرًا فقد خلع رابطة الإسلام من عنقه [٦٤١٠] «صحيح الجامع».

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٥١١) [١٩٠٢]، وأحمد (٤/ ٤١٠).

قال أبو محمد: وهذا حث منه على الجهاد، ومعناه: أن حامل سيفه في سبيل الله مطيعًا لله به يصل إلى الجنة.

٢١ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»** (١).

قال أبو محمد رحمه الله: هذا من أحسن كناية وأوجزها وأدلها على معنى لا يتعلق بشيء من لفظه، ومعناه: من خاف النار جد في العمل، ومن جد في العمل وصل إلى الجنة، فجعل خائف النار، بمنزلة المسافر الذي يخاف فوت المنزل، فيرحل مدلجًا. والإدلاج: السير من أول الليل وجعلت غالية لشرفها وسروها، ولأنها لا تنال بالهوينى والتقصير، إنما تنال بمجاهدة النفس، ومغالبة الهوى، وترك الشهوات.

٢٢ـ عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: **«إياكم وخضراء الدمن»**، قيل: وما خضراء الدمن ؟ قال: **«المرأة الحسناء في منبت السوء»**(٢).

قال أبو محمد رحمه الله: ومعنى ذلك أن الريح تجمع الدمن، وهي البعر، في المكان من الأرض ثم يركبه السافي، فينبت ذلك المكان نبتا ناعمًا غضًا، فيروق بحسنه وغضارته، فتجيء الإبل إلى الموضع وقد أعيت ،فربما أكلته الإبل فتمرض. يقول: لا تنكحوا المرأة لجمالها، وهي خبيثة الأصل، لأن عرق السوء لا ينجب معه الولد.

---

(١) صحيح: أخرجه عَبد بن حُميد (١٤٦٠) والتِّرمذي [٢٤٥٠]، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٧٥)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٣٧١)، والبخاري في «التاريخ» (١/ ٢/ ١١١/ ١٨٧٣)، والعقيلي في «الضعفاء» [٤٥٧]، والقضاعي (٣٣/ ١)، وأبو نعيم في «الجنة» (٨/ ٢)، وقال الألباني: و بالجملة، فالحديث بهذا الشاهد صحيح وانظر حديث رقم: [٦٢٢٢] في صحيح الجامع.

(٢) ضعيف جدًا: قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١/ ٦٩) ضعيف جدا رواه القضاعي في «مسند الشهاب» ق (٨١/ ١)، وأورده الغزالي في «الإحياء» (٢/ ٣٨)، وقال مخرجه العراقي: رواه الدارقطني في «الأفراد» والرامهرمزى في «الأمثال» من حديث أبي سعيد الخدري، قال الدارقطني: تفرد به الواقدي و هو ضعيف. وذكر نحوه ابن الملقن في «خلاصة البدر المنير» ق (١١٨/ ١)؛ قلت: بل هو متروك فقد كذبه الإمام أحمد و النسائي و ابن المديني وغيرهم.



وقال الشاعر:

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

٢٣ ـ عن أنس، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، وغلام أسود يقال له أنجشة يحدو، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا انجشة رويدا، سوقك بالقوارير»[1].

قال أبو محمد رحمه الله: يقول صلى الله عليه وسلم: «**اجعل سيرك على مهل، فإنك تسير بالقوارير**»، فكنى عن ذكر النساء بالقوارير، شبههن بها لرقتهن، وضعفهن عن الحركة. ورويد: تصغير رود. والرود: مصدر فعل الرائد، وهو المبعوث، ولم يستعمل في معنى المهلة في السير والحركة إلا مصغرًا منونًا. ومعناه أرود. وذكر صاحب كتاب العين: أنه إن أريد به ترديد الوعيد لم ينون وأنشد:

رويد تساهل بالعراق جيادنا كأنك بالضحاك قد قام نادبه

وهذا قول أكثر العلماء أعني أنه كنى، بالقوارير عن ذكر النساء، وهو قول أبي عبيدة. وقال آخرون: معناه: سقهن كسوقك بالقوارير.

والتشبيه تشبيهان: مطلق ومقيد. فالمطلق: أن يسمى باسم ما أشبهه، أو تجعل له فعله بعينه، كما سميت النساء قوارير لأنهن أشبهنها بالرقة واللطافة وضعف البنية. والمقيد: أن يظهر حرف التشبيه فيقول: كالقوارير، أو مثل القوارير، أو كأنهن القوارير، وفي التنزيل: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١]، فجاء مطلقًا ومقيدًا. وقال: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩] و﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور: ٢٤]، وهذا وأشباهه من المقيد. ومن المطلق قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ١٣٣]، فأوجب مرور السحاب للجبال وهما متغايران.

---

(١) أخرجه البُخَارِي [٦١٤٩]، ومسلم [٢٣٢٣]، وابن حِبَّان [٥٨٠٣]، والبغوي في «شرح السنة» (١٣/ ١٥٦).

٢٤ ـ عن مرادس الأسلمي، قال: قال رسول الله ﷺ : «**يذهب الصالحون أسلافًا، الأول فالأول، حتى لا يبقى إلا حثالة كحثالة التمر والشعير، لا يبالي الله بهم** »[١]. قال أبو محمد: الحثالة من كل شيء: رذالته.

وقال البغوي في شرح السنة «حفالة التمر: رذالته ومثلها الحثالة والفاء والثاء يتعاقبان، كقولهم ثوم وفوم، وجدث وجدف. وقوله: «لا يباليهم الله بالة « أي: لا يرفع لهم قدرًا، ولا يقيم لهم وزنًا، يقال: باليت بالشيء مبالاة وبالية وبالة، يقال: ليس هذا من بالي، أي: مما أباليه»

٢٥ ـ عن جابر قال: دخلت على النبي ﷺ ، والحسن والحسين على ظهره وهو يقول: « **نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان انتما**»[٢].

قال أبو محمد رحمه الله: هذا من مزاح النبي ﷺ ، وهو منقبة تفرد بها الحسن والحسين رضوان الله عليهما . ويتضمن من الفقه إطلاق تشبيه الإنسان بالبهيمة إذا شاركها في بعض فعلها.

٢٦ ـ عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**صنفان من أهل النار لم أرهما، ناس معهم سياط كأنها أذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، على رءوسهن مثل أسنمة البخت، لا يرين الجنة، ولا يجدن ريحها** »[٣].

أنشدنا ابن المرزبان للمتوكل الليثي:

تعطلن إلا من محاسن أوجه	**فهن خوال في الصفات عواطل**
كواس عوار صامتات نواطق	**بغث الكلام باخلات بواذل**

---

(١) أخرجه البُخَارِي[٦٤٣٤].

(٢) منكر: أخرجه الطبراني (٣/ ٥٢) [٢٦٦٢]، وقال الألباني: «منكر» في «السلسلة الصحيحة» رقم [٢٦٦١].

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٨٠)، وأحمد [٨٦٥٠]- والبغوي في« شرح السنة» (١٠/ ٢٧١)، وابن حبان.

٢٧ ـ عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ : «من صلى البردين دخل الجنة»[١] قال: «الفجر والعصر».

قال أبو محمد: هكذا لفظ الحديث « البردين » وكلام العرب: الأبردان، وهما الغداة والعشي، وهما الأبردان، الفينان، والردفان، والضرعان، والقرنان، والكربان.

٢٨ ـ عن يعلى العامري، قال: جاء الحسن والحسين عليهما السلام يستبقان إلى رسول الله ﷺ ، فضمهما إليه وقال: « الولد مجبنةٌ مبخلةٌ »[٢].

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: هذان مصدران من البخل والجبن، ومعناه: أن حب الولد يمنع من بذل المال للإبقاء عليهم، وعن لقاء العدو إشفاقًا من الضيعة لهم.

٢٩ ـ عن الحارث الأشعَرِي حدثه أن النبي ﷺ قال: إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وإنه كاد أن يبطئ بها فقال عيسى: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرهم وإما أنا آمرهم، فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي أو أعُذَبَ، فجمع الناس في بيت المقدس، فامتلأ المسجد وتعدوا على الشرف، فقال إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن؛ أولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وإن مثل من أشرك بالله، كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بذهب أو ورق فقال هذه داري وهذا عملي؛ فاعمل وأد إلي فكان يعمل ويؤدي إلى غيره سيده فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله أمركم «بالصلاة»، فإذا صليتم، فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت وآمركم «بالصيام»، فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك، فكلهم يعجب أو يعجبه ريحها،

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١١٩)، ومسلم (١/ ٤٤٠)، وأحمد (٤/ ٨٠) [١٦٧٧٦]، والبغوي في «شرح السنة» (٢/ ٢٢٧).

(٢) أخرجه أحمد [١٧٥٩٨]، وابن ماجة [٣٦٦٦]، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٠٥)، وقال الألباني: صحيح انظر حديث رقم: [١٩٨٩] في «صحيح الجامع».

وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وآمركم، «بالصدقة» فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو، فأوثقوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه، فقال أنا أفديه منكم بالقليل والكثير ففدى نفسه منهم وآمركم أن (تذكروا الله)، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعًا حتى إذا أتى على حصن حصين، فأحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله، قال النبي ﷺ **«وانا آمركم بخمس الله أمرني بهن السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة، فإن من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومن ادعى دعوى الجاهلية، فإنه من جثا جهنم»** فقال رجل يا رسول الله وإن صلى وصام؟ **«قال وإن صلى وصام، فدعوا بدعوى الله الذي سَّماكم المسلمين المؤمنين عباد الله هذا»**[(١)].

٣٠ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ **«مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الرياح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء، ومثل المنافق مثل الشجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد»** وفي رواية أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ **«مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ خَامَةِ الزَّرْعِ، يَفِيءُ وَرَقُهُ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ تُكَفِّئُهَا، فَإِذَا سَكَنَتِ اعْتَدَلَتْ، وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يُكَفَّأُ بِالْبَلَاءِ، وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الأَرْزَةِ صَمَّاءَ مُعْتَدِلَةً حَتَّى يَقْصِمَهَا الله إِذَا شَاءَ»**[(٢)].

٣١ ـ عن أبي هريرة أن رسول ﷺ قال: **«أرايتم لو ان نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء ؟ قالو: ا لا يبقى من درنه شيء قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»**[(٣)].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد [١٧٢٠٩]، والترمذي [٢٨٦٣]، وقال حديث حسن صحيح غريب قال محمد بن إسماعيل الحرث الأشعري له صحبة وله غير هذا الحديث، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤١)، والنَّسائي، في «الكبرى» [٨٨١٥]، و [١١٢٨٦]، وابن خزيمة [٤٨٣]، و[٩٣٠]، وفي [١٨٩٥]، وقال الألباني: صحيح انظر حديث رقم: [١٧٢٤] في «صحيح الجامع».

(٢) أخرجه البخاري [٥٦٤٤]، وفي[٧٤٦٦] الترمذي [٢٨٦٦].

(٣) أخرجه البخاري (١/ ١١٢)، ومسلم (١/ ٤٦٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٢/ ١٧٥).

٣٢ـ عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما أجلكم فيما خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغارب الشمس، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود على قيراط قيراط. فقال: من يعمل لي من نصف النهار إلى العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى على قيراط قيراط، ثم أنتم تعملون من صلاة العصر إلى مغارب الشمس على قيراطين قيراطين، فغضبت اليهود والنصارى وقالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاءً! قال: هل ظلمتكم من حقكم شيئًا؟ قالوا: لا قال: فإنه فضلي أوتيه من أشاء**»[١].

قال العلامة المباركفوري: قال الطيبي: الأجل: المدة المضروبة للشيء، قال تعالى ﴿وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ [غافر:٦٧]، ويقال للمدة المضروبة لحياة الإنسان أجل؛ فيقال دنا أجله وهو عبارة من دنو الموت، وأصله استيفاء الأجل أي مدة الحياة، والمعنى ما أجلكم في أجل من مضى من الأمم السابقة في الطول والقصر إلا مقدار ما بين صلاة العصر إلى صلاة المغرب من الزمان.

وقال الحافظ: ظاهره أن بقاء هذه الأمة وقع في زمان الأمم السالفة وليس ذلك المراد قطعًا، وإنما معناه أن نسبة مدة هذه الأمة إلى مدة من تقدم من الأمم، مثل ما بين صلاة العصر وغروب الشمس إلى بقية النهار فكأنه قال إنما بقاؤكم بالنسبة إلى ما سلف إلى آخره، وحاصله أن في بمعنى إلى، وحذف المضاف وهو لفظ نسبة وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى أي مع الرب سبحانه وتعالى[٢].



(١) أخرجه البخاري (٣/ ٩٠)، وفي (٤/ ١٧٠)، والترمذي [٢٨٧١]، والبغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٢١٨).

(٢) «تحفة الأحوذي» (٧/ ١٩٠).

الباب الثالث

أمثلة وحكم يومية تخالف العقيدة والأخلاق والمعاملات الإسلامية

وهذه مجموعة من الأمثال والحكم التي تجري على ألسنة بعض الناس في حياتنا اليومية ذكرتها بقصد التحذير منها والبعد عنها وعدم الخوض فيها وأسأل الله تعالى أن يجعلني وإياكم ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر:١٨].

قال العلامة/ أبو بكر جابر الجزائري:

قوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾.

يأمر تعالى رسوله أن يبشر صنفًا من عباده بما بشر به الذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله وهم الذين يستمعون القول من قائله، فيتبعون أحسن ما يسمعون، ويتركون حسنه وسيئه معًا، فهؤلاء لهم همم عالية ونفوس تواقة للخير والكمال شريفة، فاستوجبوا بذلك البشرى على لسان رسول الله ﷺ والثناء الجميل من ربّ العالمين إذ قال تعالى فيهم ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾، فحسبهم كمالًا أن أثنى تعالى عليهم. اللهم اجعلني منهم ومن سأل لي وله ذلك[1].

١ـ اسم النبي حارسه وصاينه:

بعض النساء اذا رأت من تنظر إلى طفلها وخافت عليه من الحسد قالت هذ المثل وهذا اعتقاد باطل، لأن النبي وهو أفضل خلق الله تعالى لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٨]،

(١) «أيسر التفاسير» (٣/ ٤١٨).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ [الجن:٢١]، فكيف يحرس النبي صلى الله عليه وسلم الأطفال أو يصونهم عما يؤذيهم.

٢ - امسك الخشب:

بعض الناس يعتقدون أن الخشب يمنع الحسد، فاذا ما خاف الحسد قال هذا المثل وهذا اعتقاد باطل لا ينبغي أن يعتقده مسلم عاقل، وانما إذا خاف أن يعين شيئًا قال «**ما شاء الله ،لا قوة الا بالله، اللهم بارك**»

قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [الكهف:٣٩]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم للصحابي الذي عان آخر «**الا بركت**»[1].

٣ - زرع شيطاني، نبات شيطاني:

من الفلاحين والمزارعين من يقول للزرع الذي نبت بدون أن يتعمد زراعته «شيطاني» وهذا خطأ، فالشيطان لا ينبت الزرع وانما يقال له «رباني» قال الله تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ [الواقعة:٦٣، ٦٧].

٤ - يا شمس يا شموسة خذي سنة الحمار وهاتي سنة العروسة:

بعض الناس يعتقد أن الشمس تخلق بعض أعضاء الانسان، فاذا ما سقطت سنة، أو ضرس من فم ولده الصغير قال له: خذها وارم بها في عين الشمس وأمره أن يقول هذا المثل، فينشأ الطفل معتقدًا أن الشمس هي التي تهب الأسنان.

---

(١) أخرجه أحمد [١٦٠٢٣]، والنَّسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢١١و١٠٣٣)، وعنه ابن السني [٢٠٢]، والنسائي، في «الكبرى» [١٠٠٣٦]، وابن ماجه [٣٥٠٩]، وابن حبان في «صحيحه» [١٤٢٤] موارد من حديث أَبِي أُمَامَةَ بن سَهل بن حُنَيفٍ، أَنَّ أَبَاهُ حدثه.

٥ ـ خذ الشر وراح:

بعض الناس اذا كسر إناء أو كوب قال هذا الكلام، والإناء لا علاقة له بالخير والشر وانما الخير والشر مقدر من قبل الله تعالى ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦].

٦- اللهم اجعله خيرا:

بعض الناس يعتقد أن الضحك الكثير لابد أن يعقبه هم وحزن وغم فإذا ما ضحك كثيرًا قال هذا المثل، وهذا اعتقاد باطل. نعم قد نهى النبي ﷺ عن كثرة الضحك فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:

«مَنْ يَأْخُذُ مِنْ أُمَّتِي خَمْسَ خِصَالٍ، فَيَعْمَلُ بِهِنَّ، أَوْ يُعَلِّمُهُنَّ، مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّهُنَّ فِيهَا، ثُمَّ قَالَ: اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلاَ تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ» وفي رواية «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنِعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحْسِنْ جِوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَأَقِلَّ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ»(١). والضحك ليس له علاقة بالخير والشر والحزن والغم.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣١٠) [٨٠٨١]، والترمذي [٢٣٠٥]، وأبو يعلى [٦٢٤٠]، والبخاري في «الأدب المفرد» [٢٥٢]، وابن ماجه [٤١٩٣]، انظر «السلسلة الصحيحة» [٥٠٦]، [٩٣٠] وانظر حديث رقم: [١٠٠]، [٤٥٨٠]، [٧٤٣٥]، [٧٨٣٣] في «صحيح الجامع».

٧ ـ (هو شؤم) وشه يقطع الخميرة من البيت:

بعض الناس يقولون هذا المثل حينما يأتي إنسان غير مرغوب فيه، أو حينما يرووا هذا الشخص بعينه وهذا باطل لأنه من التشاؤم الذي نهي عنه رسوله الله ﷺ بقوله **«لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هامة، فقال أعرابي: ما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيخالطها بعير أجرب فيجربها؟ قال: فمن أعدى الأول؟»** [(١)].

٨ ـ اسمع كلام أمك ولا تسمع كلام أبيك:

من الناس من يحتفل بالمولود يوم سابعه ويوزع حلوى على الجيران، ومنهم من يضع المولود في الغربال ويهزونه ويقولون هذا المثل. وهذا باطل، والسنة هي العقيقة وهي ذبح شاة عن الجارية وشاتين عن الغلام، ويأكل الناس ويطعمون ويدعون للمولود بالبركة وذلك لحديث النبي ﷺ **«كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويسمى فيه ويحلق رأسه»** [(٢)].

٩ ـ لا بيرحم ولا بيخلي رحمة ربنا تنزل:

بعض الناس يقولون هذا المثل وهذا باطل واعتقاد خاطىء لأنه لا يستطيع أحد كائنًا من كان أن يمنع نزول رحمة الله تعالى قال تعالى ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [فاطر:٢]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر:٣٨].

---

(١) أخرجه البخاري [٥٧١٧] وفي [٥٧٧٠]، ومسلم [٢٢٢٠]، وأبو داود [٣٩١١]، وابن حبان [٦١١٦].

(٢) أخرجه أبو داود [٢٨٣٨]، والنسائي (٢/ ١٧٩)، وفي «الكبرى» [٤٥٤٦]، والترمذي [١٥٢٢]، وابن ماجه [٣١٦٥]، وأحمد (٥/ ٧-٥/ ١٢-٥/ ١٧)، والطيالسي [٩٠٩]، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٩١) وانظر «صحيح الجامع» برقم [٤١٨٤].



١٠. يدّي الحلق للي بلا ودان:

بعض الناس يرى رجلًا غنيًا، فلا يعجبه ذلك فيقول هذا المثل، وهذا المثل معناه أن الله تعالى ليس حكيمًا في عطائه ومنعه، فيرزق ويعطي من لا يستحق العطاء، ويمنع من يستحقه، وحاشا لله تعالى عن ذلك، وهل هذا القائل أعلم بمن يستحق من الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الزمر: ٥٢].

١١. رزق الهبل على المجانين:

هذا المثل خاطىء لأن رزق العباد والمخلوقات كلها العاقل منها والمجنون على الله رب العالمين قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود: ٦].

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي: أي: جميع ما دب على وجه الأرض، من آدمي، أو حيوان بري أو بحري، فالله تعالى قد تكفل بأرزاقهم وأقواتهم، فرزقها[١] على الله. ﴿ وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ أي: يعلم مستقر هذه الدواب، وهو: المكان الذي تقيم فيه وتستقر فيه، وتأوي إليه، ومستودعها: المكان الذي تنتقل إليه في ذهابها ومجيئها، وعوارض أحوالها. ﴿ كُلٌّ ﴾ من تفاصيل أحوالها ﴿ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: في اللوح المحفوظ المحتوي على جميع الحوادث الواقعة، والتي تقع في السماوات والأرض. الجميع قد أحاط بها علم الله، وجرى بها قلمه، ونفذت فيها مشيئته، ووسعها رزقه، فلتطمئن القلوب إلى كفاية من تكفل بأرزاقها، وأحاط علمًا بذواتها، وصفاتها[١].

١٢. إحنا بنقرأ في سورة عبس:

هذا مثل يطلقه بعض العامة ويقصدون به عدم الفهم من المتكلم وكأنهم يقولون: هل نحن ننطق بطلاسم لا تفهم ولا تعقل مثل سورة عبس «وهذا لا يجوز لأنه وصف للقرآن

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (١/ ٣٧٧).

الكريم، بأنه كلام غير مفهوم والله تعالى قد بين أنه قرآن عربي مبين. والله بحكمته ورحمته أنزل كتابه تبيانًا لكل شيء، وجعله هدى وبرهانًا لهذه الأمة، ويسره للذكر والتلاوة والهداية بجميع أنواعها ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر:١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠]، أنزله بلسان عربي مبين، وتكفل بحفظه وإبلاغه لجميع البشر، وقيض له من العلماء من يفسرونه، ويبلغونه للناس ألفاظه ومعانيه، لتتم بذلك الهداية وتقوم به الحجة.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي: قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾، أي: ولقد يسرنا وسهلنا هذا القرآن الكريم، ألفاظه للحفظ والأداء، ومعانيه للفهم والعلم، لأنه أحسن الكلام لفظًا، وأصدقه معنى، وأبينه تفسيرًا، فكل من أقبل عليه يسر الله عليه مطلوبه غاية التيسير، وسهله عليه، والذكر شامل لكل ما يتذكر به العاملون من الحلال والحرام، وأحكام الأمر والنهي، وأحكام الجزاء والمواعظ والعبر، والعقائد النافعة والأخبار الصادقة، ولهذا كان علم القرآن حفظًا وتفسيرًا، أسهل العلوم، وأجلها على الإطلاق، وهو العلم النافع الذي إذا طلبه العبد أُعيِنَ عليه، قال بعض السلف عند هذه الآية: هل من طالب علم فيُعَان عليه؟ ولهذا يدعو الله عباده إلى الإقبال عليه والتذكر بقوله: ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[1].

١٣ـ البقية في حياتك:

هذا المثل يقوله المعزي لمن توفي له قريب أو صديق ويعني بها «أن الميت مات قبل انتهاء أجله، فهو يدعو الله تعالى أن ينقل ما تبقى من السنوات من عمر الميت إلى عمر قريبة أو صديقة هذا، وهذا مثل خاطيء واعتقاد باطل لأنه لا يموت أحد قبل انقضاء أجله» قال الله تعالى:﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [يونس:٤٩]، وقال النبي ﷺ :

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (١/ ٨٢٥).

«إنه ليس شيء يقربكم إلى الجنة إلا قد أمرتكم به و ليس شيء يقربكم إلى النار إلا قد نهيتكم عنه، إن روح القدس نفث في روعي: إن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله و أجملوا في الطلب، و لا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإن الله لا يدرك ما عنده إلا بطاعته»(١).

١٤- *ربنا افتكره:*

هذا المثل يقوله الناس إذا أرادوا أن يخبرهم بموت أحد وهذه كلمة كفرية خاطئة لأن معناها أن الله تعالى كان قد نسي هذا المذكورثم تذكرة، والله سبحانه منزه عن النقص كالنوم والنسيان ونحو ذلك قال الله تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم:٦٤]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [طه:٥٢]، فينبغي للمسلم أن يطهر لسانه عن مثل هذه العبارات.

١٥- *يا رب يا ساتر:*

اعتاد بعض الناس إذا دخل بيت أو أي مكان يزوره أن يقول هذا المثل باعتقاده أن ذلك من آداب الزيارة وهذا خطأ لأنه لا يجوز وصف الله بالساتر لأمرين:

الأول- لفظ الساتر ليست من أسماء الله ولا من صفاته.

الثاني- الساتر هو الحاجز الذي يحجز ما وراءه ولا يجوز إطلاقها على الله.

ولكن الله تعالى ستِّير وثبت ذلك من حديث يعلى بن أمية عن أبيه: (أن رسول الله ﷺ رأى رجلًا يغتسل بالبراز، بلا إزار فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى

---

(١) قال الألباني: في «السلسلة الصحيحة» (٦/ ٨٦٥) ، أخرجه الحاكم (٢/ ٤) وابن مردوية في ثلاثة مجالس (١٨٨/ ١-٢) وانظر «الظلال» [٤٢٠]، والحديث حسن على أقل الأحوال كما قال الألباني في الصحيحة (٦/ ٨٦٥)، وانظر «صحيح الجامع» [٢٠٨٥].

عليه ثم قال ﷺ: «إن الله عزوجل حي ستِّير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر»(١).

١٦- يا نور عرش الله:

هذا المثل يتردد على ألسنة كثير من المسلمين فيقولونه عن النبي ﷺ وهذا يحتمل أمرين:

الأول- اعتقادهم أن النبي ﷺ خلق من نور العرش وهذا خطأ لأن رسول الله بشر خلق مثل البشر قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

الثاني- أن يكون المراد أن النبي ﷺ هو مصدر نور العرش وهذا باطل لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

١٧- ربنا موجود:

كلمة ومثل يطلقه بعض الناس وهم لا ينتبهون له وما من مخلوق إلا له خالق وما من موجود إلا له واجد والله سبحانه وتعالى واجد.

١٨- ربنا في كل مكان:

هذه الكلمة صحيحة أن قصد قائلها أن الله تعالى في كل مكان بعلمه واحاطته وقدرته كما قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ

---

(١) أخرجه أحمد [١٧٩٩٩]، وأبو داود [٤٠١٢]و [٤٠١٣]، والنسائي [٤٠٦]،و [٤٠٧]، وقال الألباني: صحيح انظر حديث رقم: [١٧٥٦] في «صحيح الجامع».

﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:٧]، وهـذه العبـارة خاطئة إن قصـد بها معية الذات بمعنـى أن الله في كل مكان بذاته لأنه أخبر عن نفسه أنه فوق السموات السبع على العرش فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥].

فهو سبحانه على العرش مستو بكيفية تليق بجلاله وعظمته لا نعلمها.

١٩ـ أنا عبد المأمور:

كلمـة ومثـل يرددهـا بعض النـاس ومعناهـا تنفيذ أمر صاحـب العمـل أو المدير وهي عبـارة خاطئة، فأنت عبد للعزيز الغفور قـال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦، ٥٨]، وقال: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم:٩٣، ٩٥].

٢٠ـ رب لا أسألك رد القضاء بل أسألك اللطف فيه:

هـذا مثـل يقوله بعض الناس وهـو خطأ، بل يجوز أن تسـأل الله تعالى أن يرد عنك القضاء إن لم يكن خيرًا فعَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لاَ يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلاَّ الْبِرُّ، وَلاَ يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلاَّ الدُّعَاءُ»[1].

٢١ـ طور الله في برسيمه:

هـذا مثل يضربـه بعض الناس لمن لا يفهـم ويعنون بكلمة «طـور: ثور وهو فحل البقـر» وهـذا المثل خطأ لأنه ليس لله تعالى ثور يرعى في البرسـيم ونحـوه فينبغي أن ننزه ألسنتنا من هذا.

---

(١) أخرجه أحمد [٢٢٧٤٥]، والحاكم (١/ ٤٩٣)، والبغوي في «شرح السنة» (٤/ ٨١/ ٢) وانظر «الصحيحة» [١٥٤].

٢٢ ـ دستور ياسيادنا:

مثل يقوله بعض العوام إذا دخل مكانًا مظلمًا أو موحشًا كأنه يستأذن الجن في الدخول وهذا خطأ قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦]، ولكن عليك بالهدي النبوي الكريم عند نزول المكان حتى لا يضرك شيء، فعن خَوْلَةَ بِنْتَ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةَ تَقُول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُول: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا . ثُمَّ قال: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ. لَمْ يَضُرُّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**»(١)(٢).

٢٣ـ المرحوم فلان:

كلمة يقولها بعض الناس ولا بأس بها لأن قولهم المرحوم هو من باب التفاؤل والرجاء وليس من باب الخبر والجزم واليقين؛ لأنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥].

٢٤ـ الزمن غدار:

هذا الكلام من باب السب والقدح في الزمن وهو حرام ولا يجوز؛ لأن ما حصل في الزمن هو من الله تعالى، ومن سب الزمن فقد سب الله، وهذا الكلام من ألفاظ الجاهلية التي هدمها الاسلام ونهى أصحابه عنها قال الله تعالى: مخبرًا عن أهل الجاهلية ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية:٢٤] وقد كان العرب فى الجاهلية إذا ما أصابتهم شدة أو نكبة، قالوا: يا خيبة الدهر، فيسندون تلك الأفعال والمصائب إلى الدهر ويسبونه. ونهى النبي ﷺ أمته عن سب الدهر فعن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: قال الله تعالى: «**يؤذيني ابن آدم،**

---

(١) أخرجه البُخَارِي في «خلق أفعال العباد» [٥٧]، ومسلم (٨/ ٧٦) والتِّرمِذي [٣٤٣٧]، وابن ماجه [٣٥٤٧].

(٢) «٨٠ خطأ في العقيدة» الشيخ/ وحيد عبد السلام بالي.

يسب الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر ،أقلب الليل والنهار» وفي رواية: قَالَ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ: «يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَقُولُ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَلاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا»؛ وفي رواية: «لاَ تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْخَيْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»(١).

وقال المنذري: و معنى الحديث أن العرب كانت إذا نزلت بأحدهم نازلة و أصابته مصيبة أو مكروه يسب الدهر اعتقادًا منهم أن الذي أصابه فعل الدهر كما كانت العرب تستمطر بالأنواء و تقول: مطرنا بنوء كذا اعتقادًا أن ذلك فعل الأنواء، فكان هذا كاللاعن للفاعل و لا فاعل لكل شيء إلا الله تعالى خالق كل شيء و فاعله فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك.

وأما إذا قالها المسلم على سبيل الأخبار؛ فهذا لا بأس به ومنه قوله تعالى عن لوط: ﴿ وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ [هود: ٧٧]، أي شديد وكل الناس يقولون هذا يوم شديد وهذا يوم فيه كذا وكذا من الأمور وليس فيه شيء.

٢٥- عُباد الشمس:

هذه كلمة يقولها بعض الناس وهذا لا يجوز، لأن الأشجار لا تعبد الشمس وإنما تعبد الله تعالى كما قال ربنا: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج: ١٨]، وإنما يقال عبارة أخرى ليس فيها ذكر العبودية، كمراقبة الشمس ونحو ذلك من العبارات.

(١) أخرجه والبُخاري [٤٨٢٦]، و[٧٤٩١]، ومسلم [٢٢٤٦]، وأبو داود [٥٢٧٤]، وابن حِبَّان [٥٧١٥]، والبغوي في «شرح السنة» (١٢/ ٣٥٩).

٢٦ ـ أطال الله عمرك ،أطال الله بقاءك، يا طويل العمر، أبقاك الله.

هـذه عبـارة لا تنبغـي أن يقولها المسـلم، فقد كرههـا أهل العلم وإنـما تقيد، فيقال أطال الله بقاءك على طاعته، أو أطال الله بقاءك في نعمه، وقال السفاريني: قال الخلال في الآداب: كراهية قوله في السـلام: أبقاك الله. أخبرنا عبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل قال: رأيت أبي إذا دُعي له بالبقاء يكرهه. يقول: هذا شيء قد فرغ منه. وذكر شيخ الإسلام - قدّس الله روحه -: أنه يكره ذلك، وأنه نص عليه أحمد وغيره، فعَنْ عَبْد الله بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ:قَالَتْ أَمُّ حَبِيبَةَ: اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِزَوْجِي، رَسُـولِ الله ﷺ ، وَبِأَبِي، أَبِي سُـفْيَانَ، وَبِأَخِـي، مُعَاوِيَـةَ، فَقَالَ لَهَا رَسُـولُ الله ﷺ : إِنَّكِ سَـأَلْتِ الله لآجَـالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَآثَارٍ مَوْطُوءَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُـومَةٍ، لاَ يُعَجِّلُ شَيْئًا مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهِ، وَلاَ يُؤَخِّرُ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ حِلِّـهِ، وَلَوْ سَـأَلْتِ الله أَنْ يُعَافِيكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَـذَابٍ فِي الْقَبْرِ، لَكَانَ خَيْرًا لَكِ، قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، الْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ، هِيَ مِمَّا مُسِخَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «إِنَّ الله، عَزَّ وَجَلَّ، لَمْ يُهْلِكْ قَوْمًا، أَوْ يُعَذِّبْ قَوْمًا، فَيَجْعَلَ لَهُمْ نَسْـلا، وَإِنَّ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ»[(١)].

٢٧ـ فلان المثل الأعلى:

كلمة يقولها بعض الناس وهي لا تجوز على سبيل الإطلاق إلا لله تعالى، فهو الذي لـه المثـل الأعلى، وأما إذا قال القائل فلان المثل الأعلى لي في كذا وكذا وقيده فهذا لا بأس به.

٢٨ـ العصمة لله وحده:

هذه كلمات يقولها بعض المسلمين فإن كانوا يريدون بذلك أن كلام الله تعالى وحكمه كلـه صواب وليس فيه خطأ فهذه الكلمات صحيحة؛ ولكن لفظها مسـتنكر ومسـتكره،

---

(١) أخرجـه مسـلم [٦٨٦٤]، وفي [٦٨٦٥]، وفي [٦٨٦٦]، وفي [٦٨٦٧]، والبغـوي في «شرح السـنة» (٥/ ١٦٣)، وأحمد [٣٧٠٠]، [٣٩٢٥]، [٤٢٥٤].

لأنه قد يوحي لبعض الناس أن هناك عاصمًا عصم الله تعالى والله - عَزَّ وَجَلَّ - هو الخالق وما سواه مخلوق، فالأولى أن لا يعبر الإنسان بمثل هذه الكلمات، بل يقول الصواب في كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ.

٢٩. خسرت كذا وكذا في الحج والعمرة:

هذه الكلمات غير صحيحة لأن ما بذل في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ليس بخسارة وانما هو الربح الحقيقي، وإنما الخسارة ما صرف في معصية الله تعالى أو فيما لا فائدة فيه، وأما ما فيه فائدة دنيوية أو دينية فإنه ليس بخسارة وليس بضياع.

٣٠. تدخل القدر وتدخلت عناية الله:

هذه الكلمات لا تصلح لأنها تعني أن القدر اعتدى بالتدخل وأنه كالمتطفل على الأمر مع أنه ـ أي القدر ـ هو الأصل، فكيف يقال تدخل؟ والأصح أن يقال ولكن نزل القضاء والقدر، أو غلب القدر ونحو ذلك ومثل ذلك قول بعض الناس تدخلت عناية الله تعالى فالأولى إبدالها بكلمة حصلت عناية الله أو اقتضت عناية الله.

٣١. رمضان كريم:

اعتاد بعض المسلمين إذا جاء شهر رمضان أن يهنىء بعضهم بعضًا قائلين هذه العبارة وهي عبارة غير صحيحة وإنما يقال: رمضان مبارك أو ما شابه ذلك، لأن رمضان ليس هو الذي يعطي حتى يكون كريمًا وإنما الله تعالى هو الذي وضع فيه الفضل وجعله شهرًا فاضلًا.

٣٢. استجرت برسول الله:

هذه الكلمة كلمة منكرة والاستجارة بالنبي ﷺ بعد موته لا تجوز، أما الاستجارة به في حياته في أمر يقدر عليه فهي جائزة قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا

يَعۡلَمُونَ ﴾ [التوبة:٦]؛ فالاستجارة بالرسول ﷺ بعد موته شرك أكبر وعلى من سمع أحدًا يقول هذه الكلمة أن ينصحه لأنه قد يكون سمعه من بعض الناس وهو لا يدري ما معناها.

٢٣- لم تسمح لي الظروف:

هذه الكلمة يطلقها بعض الناس ونريد أن نفرق بين أمرين:

الأول- إذا كان القصد أنه لم يحصل وقت يتمكن فيه من المقصود فلا بأس به.

الثاني- إذا كان القصد أن للوقت تاثيرًا فلا يجوز [١].

٢٤- اللي يعوزه البيت يحرم على الجامع:

هذا مثل شيطاني القصد منه الصد عن الإنفاق في سبيل الله تعالى، والله تعالى قد تكفل للمنفقين في سبيله بأن يخلف عليهم خيرًا في الدارين: قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ ﴾ [سبأ:٣٩]، وقال تَعَالَى: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٧٢]، وقال تَعَالَى: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٧٣]، وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: **«مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبحُ العِبَادُ فِيهِ إلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ احَدُهُمَا- اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»** [٢].

٢٥- كثر السلام يقل المعرفة:

هذا مثل يتكلم به الصغير والكبير إذا مر عليهم أحد الناس وسلم عليهم، ثم مر عليهم مرة ثانية قالوا هذا المثل، وهذا مخالف لهدي الإسلام لأن السلام سبب من أسباب

---

(١) «ألفاظ ومفاهيم في ميزان الشريعة» للعلامة/ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى.

(٢) أخرجه البخاري[١٤٤٢]، ومسلم [١٠١٠]، وابن حبان [٨١٥].

المحبة والمودة والألفة كما جاء في حديث أبي هريرة قال: قال ﷺ: «**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»(١).

٣٦- الأقارب كالعقارب:

هذا مثل تعلق به بعض الناس والقصد منه قطع الأرحام وعدم الصبر على آذاهم وهو مخالف للقرآن الكريم الذي يأمر بصلة الرحم ويحذر من قطعها.

قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]، وجعل النبي قطيعة الرحم سبب من أسباب الحرمان من دخول الجنان فعن جبير بن مطعم أخبره أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة قاطع**»(٢).

٣٧- أحرمت من أبيار علي:(٣)

وقّت النبي ﷺ المواقيت، ومنها: ميقات أهل المدينة: «ذو الحليفة» وهو واد يقع على حافة وادي العقيق على يمين الذاهب إلى مكة مع طريق الهجرة «المُعَبَّد» ويكون «جبل عيْر» - وهو حد المدينة جنوبًا - على يساره، ولا يزال هذا الميقات معروفًا بالاسم إلى هذا اليوم، ويعرف أيضًا باسم: «آبار علي» أو: «أبيار علي» وهي تسمية مبنية على قصة مكذوبة، مختلقة موضوعة، هي: أن عليًا رضي الله عنه قاتل الجن فيها. وهذا من وضع الرافضة - لا مسّاهم الله بالخير ولا صبّحهم - ؛ وما بني على الاختلاف، فينبغي

(١) أخرجه مسلم [٥٤]، وأبو داود [٥١٩٣] وابن ماجه [٦٨]، والتِّرمِذي [٢٦٨٨]، وابن حِبَّان [٢٣٦].
(٢) أخرجه البخاري [٥٩٨٤]، ومسلم [٢٥٥٦]، وأبو داود [١٦٩٦]، والتِّرْمِذِيّ [١٩٠٩].
(٣) أبيار علي: منسك شيخ الإسلام ابن تيمية.

أن يكون محل هجر وفراق، فلنهجر التسمية المكذوبة ولنستعمل ما خرج التلفظ به بين شفتي النبي ﷺ ولنقل: «ذو الحليفة».

٣٨. الأجر على قدر المشقة[١].

هذه العبارة من أقاويل الصوفية، وهي غير مستقيمة على إطلاقها، وصوابها: الأجر على قدر المنفعة، أي منفعة العمل وفائدته كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، وغيره.

٣٩. أحبائي في رسول الله ﷺ [٢].

جاءت الشريعة بالمحبة في الله – تعالى – وهي الدارجة على لسان السلف، والمحبة هي ركن المِلّة، ومن أوجب الواجبات محبة ما يحبه الله، وبغض ما يكرهه الله، ولا يكون إيمان عبد إلاّ بمحبة رسول الله ﷺ وإتّباعه، وتوقيره، وتعظيمه، وتبجيله، على رَسْم الشرع المطهَّر، مع مراعاة مجافاة الغلو والإفراط، ومن ذلك قول بعضهم: أحبائي في رسول الله فقل: أحبائي في الله، قفوًا لأثر السلف، وبعدًا عن الغلو.

٤٠. أخطئ مع الناس ولا تصب وحدك[٣].

ومثله عند أهل اللغة: خطأٌ مشهور خيرٌ من صواب مهجور. وكلاهما خطأ، فالحق أحق أن يتبع، فكن مع الحق وإن كنت وحدك، فليست العبرة بكثرة السالكين، وإنما العبرة بمن كان على الصراط المستقيم.

٤١. الله ما يضرب بعصى [٤].

هذه من الألفاظ الدارجة على ألسنة بعض العامة، عِنْد المُغالبةِ والمُشادّة، ويظهر أن المراد: أن الله – سبحانه – حكمٌ قِسط ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩]، لكن في التعبير بها سوء أدب وجفاء، فتَجْتَنَب، وينهى عنها من يتلفظ بها.

(١) «الأجر على قدر المشقة الفتاوى»: (١٠/ ٦٢٠)، (٢٥/ ٢٨١). القواعد للمقري: (٢/ ٤١٠). «الأحكام» للعز ابن عبدالسلام: (١/ ٢٩).

(٢) أحبائي في رسول الله ﷺ: «المجموع الثمين» (٣/ ١٢٠)

(٣) «أخطئ مع الناس»...: الاعتصام للشاطبي.

(٤) الله ما يضرب بِعصى: «المجموع الثمين»: (٣/ ١١٨).

٤٢- الله كبير[١]:

ومنها: أنه لا يُقال الله كبيرقال ابن فارس: ولا يجوز أن يقول الله كبير وذلك أن أكبر موضوع لبلوغ الغاية في العظمة. اهـ.

٤٣- الله يحافظ عليك[٢]:

هذا إطلاق لم يرد، ولا يجوز، لأنه يقتضي المعالجة والمغالبة، وإنما يقال: الله يحفظك.

٤٤- الله يعاملنا بعدله[٣]:

في ترجمة الشيخ عبد العزيز بن علي بن موسى النجدي المتوفى سنة (١٣٤٤هـ) رَحِمَهُ اللهُ: أن الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود - رَحِمَهُ اللهُ تعالى - زار الشيخ المذكور، فتكلم الملك في أناس إلى أن قال: الله يعاملنا وإياهم بعدله: فنبهه الشيخ أن يقول بدل: عدله، بفضله وعفوه، فشكره الملك عبد العزيز على ذلك انتهى.

٤٥- أنا حُرٌّ[٤]:

حكم هذا اللفظ، ونحوه: أنا حُرٌّ في تصرفي، أو تصرفاتي، حسب المقام، فإن كانت في مقام يُنهى فيه عن محرم، فهي محرمة؛ لأنه مضبوط بالشرع، لا بالتشهي والهوى. وإن كانت في مقام المباحات، فلا بأس بها، وهكذا.

٤٦- بالله الطالب الغالب المهلك المدرك[٥]:

قال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: ومما جرت به عادة الحكام في تغليظ الأيمان وتوكيدها، إذا حلَّفوا الرجل لخصمه، أن يقولوا: بالله الطالب، الغالب، المهلك، المدرك، في

---

(١) الله كبير: «حلية الفقهاء» ص [٧٦].

(٢) الله يحافظ عليك: «لحن العوام» للسكوني ص [١٥٦ - ١٥٧]. وسنن أبي داود: (٥/ ٣٩٧) وفيه بيان أصل هذه اللفظة: «الله يحفظك».

(٣) الله يعاملنا بعدله: «إنجاز الوعد بذكر الإضافات والاستدراكات على من كتب عن علماء نجد»: ص[٨٣].

(٤) أنا حُرٌّ: «المجموع الثمين» (٣/ ١٢٤).

(٥) بالله الطالب الغالب المهلك المدرك: شأن الدعاء ص [١٠٦ - ١٠٧].

نظائرها، وليس يستحق شيء من هذه الأُمور أن يطلق في باب صفات الله عز وجل، وأسمائه. اهـ.

٤٧- بذمتي [(١)].

الباء من حروف القسم الثلاثة وهي: الباء والتاء والواو، فيكون ما هنا حلِفًا بالذِّمَّةِ، وهي مخلوقة، والحلف بالمخلوق لا يجوز، وهو شرك أصغر. لكن إن كان القائل يريد بقوله: (بذمتي)، أي: (في ذمتي)، أي في عهدي، وأمانتي، إنني لصادق، فلا يكون حلفًا، فيجوز.

٤٨- تقبل الله منا ومنك [(٢)].

في التخاطب بها بعد الصلاة. ليس لها دليل من سنة، ولا أثر، والالتزام بها ترتيب هدي لم يدل عليه الشرع، فيكون بدعة، والله أعلم. وأما بعد الانصراف من العيد، فقد ذكر ابن رشد في: «البيان والتحصيل»: أن مالكًا رَحِمَهُ اللَّهُ سُئِل: هل يكره للرجل أن يقول لأخيه إذا انصرف من العيد: «تقبل الله مني ومنك، وغفر الله لنا ولك» ويرد عليه أخوه مثل ذلك، فقال لي: لا نكره مثل ذلك انتهى.

٤٩- ثالث الحرمين [(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما المسجد الأقصى: فهو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال... إلى أن قال: والأقصى: اسم للمسجد كله، ولا يُسمى هو ولا غيره حرمًا، وإنما الحرم مكة والمدينة خاصة، وفي وادي وج الذي بالطائف

---

(١) بذمتي: «المجموع الثمين» (١/ ١٠٤) - [١٠٥]. «فتاوى الشيخ ابن باز» (٧/ ٣٣١ - ٣٣٢).

(٢) تقبل الله منا ومنك: «ردود على أباطيل» ص[٦٠ - ٦٣]. وانظر «مسائل أحمد» لأبي داود، ص[٦١]. «فتاوى ابن تيمية» (٢٤/ ٢٥٣). «فتح الباري» (٢/ ٤٤٦). «تمام المنة»، ص[٣٥٤]. «البيان والتحصيل»: (١٨/ ٤٥٢).

(٣) ثالث الحرمين: «اقتضاء الصراط المستقيم» ص[٤٣٤]. وانظر «الفتاوى» (٢٧/ ١٤ - ١٥).

نزاع بين العلماء. اهـ. وحيث إن المسجد الأقصى لا يسمى «حرمًا»، فلا يُقال حينئذٍ: «ثالث الحرمين». والظاهر أنها مولدة الاستعمال في هذا العصر، ولم أرها لدى السلف والله أعلم. وأما ما يوجد في: الأردن، وفي مصر، كقولهم: حرم الحسين، وحرم الست نفيسة، فهذا من البدع المحدثة.

٥٠. حرمًا:

جرت عادة بعض المسلمين خاصة في الديار المصرية أن يقولوا بعد الصلاة لبعضهم: حرمًا. ولعلهم يقصدون الدعاء بشد الرحال إلى الحرم لأداء الحج والعمرة، وذكر ذلك بعد الصلوات من البدع المحدثة التي لا يعلم لها دليل ولا قائل بها من السلف. والله أعلم.

٥١. زرت قبر النبي ﷺ (١):

كتاب «الصارم المنكي» في الرد على السبكي كتاب «جليل القدر»، غزير العلم، جم الفوائد، وعندي أنه أربى على كثير من كتابات شيخيه شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيم – رحمهم الله تعالى –، ومما جاء فيه :

كره مالك رحمه الله: أن يقول القائل: زرت قبر النبي ﷺ ، لما يوهم هذا اللفظ من أنه إنما قصد المدينة لأجل زيارة القبر، ولما فيه من تعظيم القبر بإضافة الزيارة إليه مع كونه أعظم القبور على الإطلاق، وأجلها، وأشرف قبر على وجه الأرض ... إلخ.

---

(١) زرت قبر النبي ﷺ : «الصارم المنكي» ص [٢٩٠]، وانظر منه ص (٤٦، ٧٤، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٥٣). «وقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» لشيخ الإسلام ابن تيمية. «ومنهاج السنة النبوية» (٢/ ٤٤٤). «والرد على البكري». «ومجموع الفتاوى» (١/ ٢٣٥-٢٣٩، ٣٥٥، ٢٧/ ١٠٣، ١١٨- ٢٤٥،١٣٢ -٢٤٦، ٣٣١، ٢٦ / ١٤٩)، وفهرسها (٣٧/ ٩٧). «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٧٧١). «وشرح الشفاء للقاري» (٣/ ٢، ٨٤٣/ ٦٦٧). «والبيان والتحصيل» (١٨/ ١١٨). وفي كتاب «الروح» لابن القيم ص [٨] وجه تسمية المسلِّم على الميت: زائرًا.

٥٢. سلام حار[1].

من العبارات المولدة قولهم: سلام حار، لقاء حار، وهكذا. والحرارة وصف ينافي السلام وأثره، فعلى المسلم الكف عن هذه اللهجة الواردة الأجنبية، والسلام اسم من أسماء الله، والسلام يثلج صدور المؤمنين فهو تحيتهم وشعار للأمان بينهم .

٥٣. شكله غلط.

هذا اللفظ من أعظم الغلط الجاري على ألسنة بعض المترفين عندما يرى إنسانًا لا يعجبه؛ لما فيه من تسخط لخلق الله، وسخرية به. قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار :٦، ٨]، وقال سبحانه: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين :٤].

٥٤. الغاية تُبرِّر الوسيلة.

هذا على إطلاقه تقعيد فاسد؛ لما فيه العموم في الغايات، والوسائل، فالغاية الفاسدة لا يوصل إليها بالوسيلة ولو كانت شرعية، والغاية الشرعية لا يوصل إليها بالوسيلة الفاسدة، فلا يوصل إلى طاعة الله بمعصيته، نعم: الغاية الشرعية تؤيد الوسيلة الشرعية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. مع أن لفظ: «تُبرر» هنا غير فصيح في اللسان. والله أعلم.

٥٥ ـ الفاتحة زيادة في شرف النبي ﷺ[2].

إهداء قراءة القرآن للنبي ﷺ لا يشرع، ومنه إهداء قراءة الفاتحة، وقول بعضهم: الفاتحة: زيادة في شرف النبي ﷺ أي: اقرؤوا الفاتحة ليزداد شرفًا ﷺ وهذا إهداء غير مشروع؛ لعدم الدليل عليه.

---

(١) سلام حار: انظر: «شموس العرفان» ص [٤٩]. «تقويم اللسانين» ص [١٠٢].

(٢) الفاتحة زيادة في شرف النبي ﷺ : الفتاوى الحديثية ص (١٢-١٤).

٥٦ـ الفاتحة:

مـن البدع المحدثة في أعقاب التلاوة وصلاة الجنائز، والتعازي، ومن البدع المركبة في الموالد، وهكذا.

٥٧ ـ الفاتحة على روح فلان [١]:

من البدع المحدثة: قولهم عند إخبار أحدهم بالوفاة: الفاتحة على روح فلان لاسيما والقراءة لا تصل إلى الموتى على أحد القولين في المسألة . والله أعلم .

٥٨ـ في ذمة الله:

قولهم في حق المتوفَّى: في ذمة الله، فطردًا لقاعدة التوقيف فلا يطلق هذا اللفظ، ولا يستعمل. والله أعلم.

٥٩ـ قال الرسول [٢]:

في «الطبقات» للسبكي قال: قال الحسين: سمعت الشافعي يقول: يكره للرجل أن يقول: قال الرسول. ولكن يقول: قال رسول الله ﷺ ؛ ليكون معظمًا. رواه البيهقي وغيره. وهو في كتاب أبي عاصم .

٦٠ـ قال النبي ﷺ [٣]:

ويتعلق بهذا عدة أبحاث: قال ابن خير في فهرسته: أجمع العلماء على أنه لا يصح لمسلم أن يقول: قال النبي ﷺ كذا، حتى يكون عنده ذلك القول مرويًا ولو على أقل وجوه الرواية.... اهـ .

---

(١) الفاتحة على روح فلان: «أحكام الجنائز» للألباني ص/ [٣٣، ٢٤٦].

(٢) قال الرسول ﷺ : «الطبقات» للسبكي (٢/ ١٢٦، ٢/ ٢٤٠) «شرح الإحياء» (١/ ٧٠).

(٣) قال النبي ﷺ : «فهرس الفهارس» (١/ ٨٢). فهرست ابن خير ص (١٦- ١٧). «المجموع» للنووي (١/ ٦٣)، «حياة الألباني» (٢/ ٦٠٧)، «عمدة القارئ» (١/ ١٩)، وانظر: «فتح المعبود في الرد على ابن محمود» للشيخ حمود التويجري

قال الكتاني بعده: ولنا رسالة في المعنى اسمها: رفع الضير عن إجماع الحافظ ابن خير. انظر فيها بسط ما له وما عليه اهـ. وهل يجوز تغيير: قال النبي ﷺ بلفظ: قال الرسول ﷺ ؟ في حديث عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنما الأعمال بالنيات ...**»(١) الحديث.

وفي بعضها قال: سمعت النبي ﷺ يقول.... الحديث، والروايتان في البخاري. وقد قال العيني في شرحه له: في عمدة القاري:

ويتعلق بذلك مسألة، وهي: هل يجوز تغيير «قال النبي» إلى «قال الرسول»، أو عكسه؟ فقال ابن الصلاح: والظاهر أنه لا يجوز، وإن جازت الرواية بالمعنى؛ لاختلاف معنى الرسالة والنبوة. وسهّل في ذلك الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وحماد بن سلمة، والخطيب. وصوبه النووي-رحمهم الله -، قلت: كان ينبغي أن يجوز التغيير مطلقًا لعدم اختلاف المعنى ههنا، وإن كانت الرسالة أخص من النبوة، وقد قلنا: إن كل رسول نبي من غير عكس، وهو الذي عليه المحققون. ومنهم من لم يفرق بينهما وهو غير صحيح ا. هـ.

٦١. قبح الله وجهه (٢).

من الأقوال التي نهى عنها النبي ﷺ وذلك لما ثبت من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: «**إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ، وَلاَ يَقُلْ: قَبَّحَ اللهُ وَجْهَكَ وَوَجْهَ مَنْ أَشْبَهَ وَجْهَكَ، فَإِنَّ اللهَ، عَزَّ وَجَلَّ، خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ عَلَى صُورَتِهِ**.. وفي رواية: لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ قَبَّحَ اللهُ وَجْهَكَ وَوَجْهَ مَنْ أَشْبَهَ وَجْهَكَ، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ،- وفي رواية: لاَ تَقُولُوا: قَبَّحَ اللهُ وَجْهَهُ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري برقم [١]، ومسلم برقم [١٩٠٧] وأبو داود [٢٢٠١] والترمذي [١٦٤٧]، وابن ماجه [٤٢٢٧]، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ١).

(٢) حسن: قبح الله وجهه:« شرح الأدب المفرد» (١/ ٢٦٨). «شرح الإحياء» (٧/ ٥٧٨).

(٣) أخرجه الحميدي [١١٢٠]، وأحمد (٢/ ٢٥١) [٧٤١٤]، و (٢/ ٤٣٤) [٩٦٠٢]، والبُخاري في «الأدب المفرد» [١٧٢]، وفي [١٧٣]، وانظر صحيح الأدب المفرد [١٢٨].

٦٢. قدّس الله سِرّه [(١)]:

هذه من أدعية المتصوفة، والروافض، والسرُّ عندهم: سر الأسرار والروح الطاهرة الخفية.

وقد سرت إلى بعض أهل السنة، ولو قيل: قدَّس الله روحه، فلا بأس.

٦٣. قرأت القرآن كله [(٢)]:

قال ابن أبي شيبة في المصنف: من كره أن يقول: قرأت القرآن كله... وأخرج بسنده عن أبي رزين قال: قال رجل لحية بن سلمة - وكان من أصحاب عبدالله -: قرأت القرآن كله، قال: وما أدركت منه؟، وأيضًا عن ابن عمر أنه كان يكره أن يقول: قرأت القرآن كله ا هـ.

٦٤. كأنّ وجهه مصحف [(٣)]:

تجد في كتب الجرح والتعديل من عباراتهم في التوثيق: مثل ورقة المصحف، أو: كأنَّه المصحف، أو: كان يسمى: المصحف. وهذه العبارة موجودة عند صلحاء ديارنا في نجد، لكن لا يقولونها فيما عهدنا إلا في حق الصالحين من العلماء والعبَّاد، والتوقي من استعمالها أسْلم. والله أعلم.

٦٥. كرم الله وجهه [(٤)]:

ساق السفاريني في غذاء الألباب كلامًا: فقال: قد ذاع ذلك وشاع، وملأ الطروس والأسماع . قال الأشياخ: وإنما خُصّ علي رضي الله عنه بقول: كرم الله وجهه ؛ لأنه ما سجد إلى

---

(١) قدَّس الله سِرّه: «التوقيف للمناوي» ص [٤٠٢].

(٢) قرأت القرآن كله: «المصنف» (١٠/ ٥٠٩) ، «سنن سعيد بن منصور» (٢/ ٤٣٢).

(٣) كأنَّ وجهه مصحف «التذكرة» للذهبي (١/ ١٥٤)، في ترجمة سليمان الأعمش. تهذيب (١٠/ ١١٤، ١١٥، ١٢ / ٥٨).

(٤) كرم الله وجهه: «التذكرة التيمورية» ص/ [٢٨٢- ٢٨٣]. «فتاوى» ابن حجر الهيتمي (١/ ٤٢). «الفتاوى الحديثية» ص/ [٥٦ - ٥٧]. «الآداب الشرعية» لابن مفلح . «تاريخ إربل» .« تفسير ابن كثير» (٣/ ٥١٦) [٥١٧]، وكتاب «الجهاد» من صحيح مسلم وسنن أبي داود .«فتاوى اللجنة»: (٣/ ٢٨٩).

صنم قط، وهذا إن شاء الله لا بأس به، والله الموفق اهـ. قلت: أما وقد اتخذته الرافضة أعداء علي رضي الله عنه والعترة الطاهرة - فلا؛ منعًا لمجاراة أهل البدع الله أعلم.

ولهم في ذلك تعليلات لا يصح منها شيء ومنه: لأنه لم يطلع على عورة أحد أصلًا، ومنها: لأنه لم يسجد لصنم قط. وهذا يشاركه فيه من ولد في الإسلام من الصحابة رضي الله عنهم علمًا أن القول بأي تعليل لابد له من ذكر طريق الإثبات. وفي سياق بعض الأحاديث تجد قولهم - كرم الله وجهه - عند ذكر علي رضي الله عنه ولا نعرف هذا في شيء من المرفوع، ولا أنه من قول ذلك الصحابي.

٦٦- كُلُّ عامٍ وأنتم بخير[١]:

هو بضم اللام من (كل): مبتدأ لا خبر له، ولو قيل: الخبر محذوف تقديره (يمر)؛ لقيل: هذا من المواضع التي لا يحذف فيها الخبر. وعليه: فهو لحن لا يتأدَّى به المعنى المراد من إنشاء الدعاء للمخاطب، وإنَّما يتأدَّى به الدُّعاء إذا فتحت اللام من (كل) ظرف زمان- لإضافتها إلى زمان- منصوب نعت لخير. أنتم: مبتدأ. بخير: متعلق بمحذوف، خبر، والمعنى (أنتم بخير دائم)، أو (أنتم بخير في كل عام)، وهذا شبيه بقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩] أي: هو في شأن كل يوم. ولذا فعلى الدَّاعي به عدم اللحن. والله أعلم.

٦٧- لي رب ولك رب:

هذا اللفظ يفيد في ظاهره التعدد، وهو كفر محض، ويظهر أن من يقوله من جهلة المسلمين- عند اللجاج والغضب- يريد: ربي وربك الله، فلا تتعالى عليَّ، وهو مراد بعيد، واللفظ شنيع؛ فليجتنب. وليقل العبد: ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ [الشورى:١٥]. ونحو: ﴿اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ [هود:٥٦]، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ [آل عمران:٥١].

---

(١) كُلُّ عامٍ وأنتم بخير: «شموس العرفان» ص/ [٢٩]، لعباس أبو السعود. «ومجلة قافلة الزيت» ص/ [١٠٩] مقال بعنوان: كلمة كل عام وأنتم بخير. بقلم/ محمد صلاح الدين الأزهري/ الرياض.

٦٨- ليس في الإمكان أبدع مما كان [1]:

هـذه كلمـة فاه بها أبو حامد الغـزالي، فأخذت طورًا كبيرًا عنـد العلماء بين الإنكار والاعتـذار، حتى ألفت فيها رسـائل منها: تشـييد الأركان في: ليـس في الإمكان أبدع مما كان للسيوطي، وللبقاعي رسالة في الرد على السيوطي، ثم رد عليه السيوطي.

٦٩- ما أجرأ فلانًا على الله [2]:

روى الآجـري في: «الشريعة» بسـنده إلى عبـد الله بن حُجْرٍ، قـال: قال عبدالله بن المبارك- يعني لرجل سـمعه يقول: ما أجرأ فلانًا على الله لا تقل: ما أجرأ فلانًا على الله، فإن الله- عز وجل- أكرم من أن يجترأ عليه، ولكن قُل: ما أغرّ فلانًا بالله. قال: فحدثت به أبا سـليمان الداراني، فقال: صدق ابن المبارك، الله- عز وجل- أكبر من أن يجترأ عليه، ولكنهم هانوا عليه، فتركهم ومعاصيهم، ولو كرموا عليه لمنعهم منها انتهى.

٧٠- ما كان معي خلق إلا الله [3]:

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ في «الأذكار»، فصل: قال النحاس: كره بعض العلماء أن يُقال: ما كان معي خلق إلا الله.

قلـت: سـبب الكراهة بشـاعة اللفظ من حيـث إن الأصل في الاسـتثناء أن يكون متصـلًا وهـو هنا محـال، وإنما المراد هنا الاسـتثناء المنقطع؛ تقديره: ولكـن كان الله معي، مأخـوذ من قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[الحديد: ٤]. وينبغـي أن يُقال بدل هذا: ما كان معي أحد إلا الله سبحانه وتعالى اهـ.

---

(١) ليس في الإمكان أبدع مما كان: «خلاصة الأثر» (٢/ ٤٦٨». «كشف الظنون» (١/ ٤٠٨، ٥١٣). «فتاوى» شيخ الإسـلام ابن تيمية (٨/ ٣٩٩ - ٤٠١). «الفتاوى الحديثية» لابن حجر الهيتمي ص/ [٥٤- ٥٥]. «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٣٣٧).

(٢) ما أجرأ فلانًا على الله: «الشريعة للآجري»: ص/ [٢٤٧].

(٣) ما كان معي خلق إلا الله: «الأذكار» ص/ [٣١٤]. «شرحها» (٧/ ١٠٤).

٧١ ـ مثواه الأخير:

انتشرت هذه العبارة في زماننا على ألسنة المذيعين وبأقلام الصحفيين، وهي من جهالاتهم الكثيرة، المبنية على ضعف رعاية سلامة الاعتقاد. يقولونها حينما يموت شخص، ثم يدفن، فيقولون: «ثم دفن في مثواه الأخير» ونحوها. ومعلوم أن «القبر» مرحلة بين الدنيا والآخرة، فبعده البعث ثم الحشر، ثم العرض في يوم القيامة ثم إلى جنة أو نار: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾[الشورى:٧]. ولذا، فلو أطلقها إنسان معتقدًا ما ترمي إليه من المعنى الإلحادي الكفر المذكور؛ لكان كافرًا مرتدًا فيجب إنكار إطلاقها، وعدم استعمالها.

٧٢ـ المرض الملعون [١]:

هذا من تسخط أقدار الله المؤلمة، ومن أركان الإيمان: الإيمان بالقدر خيْرِهِ، وشرِّهِ، وصفة المسلم: الرضا بعد القضاء، وأمر المسلم كله خير، إن أصابته سراء فشكر كان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاء فصبر كان خيرًا له.

٧٣ـ مِنْ زمزم [٢]:

درج بعض القاطنين في الحرمين الشريفين، على الدعاء لمن يتوضأ للصلاة بعد الفراغ من وضوئه بقوله: مِنْ زمزم. ولعلَّه يراد الدعاء بأن يتمتع بشرب ماء زمزم. وهذا لا أصل له، وترتيب دعاء لا يثبت عن المعصوم ﷺ من المحدثات، فتنبه. والله أعلم. ثم رأيت بعد هذا التقييد في كتاب: ردود على أباطيل للشيخ محمد الحامد رحمه الله فقال: إنه ممنوع قطعًا اهـ. والله أعلم.

---

(١) المرض الملعون: «المجموع الثمين» (٣/ ١٣٧).

(٢) مِنْ زمزم: «رودو على أباطيل» ص/ [٦٣].

٧٤- من علمني حرفًا صرت له عبدًا [١].

رُوي: مـنْ علَّمك آية من كتاب الله، فكأنما ملك رِقَّك، إن شـاء باعك، وإن شـاء أعتقك.

وهو موضوع . وقد سُئِل شـيخ الإسـلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذا فأنكره، وشدَّد النكير على من اعتقده ؛ لمخالفته إجماع المسلمين .

٧٥ - نشهد أن لا إله إلا الله [٢].

صوابه كما في خطبة الحاجة وعامة هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإفراد في الشـهادتين بلفظ: أشهد ؛ لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يشهد عن غيره، إنما يشهد ويخبر عن نفسه.

٧٦- النعلة على دين ربك.

يأخذ الغضب ببعض الحمقى مأخذًا، يجُرُّه إلى الوقوع في بذاءة اللسان، بل ربما أدَّاه إلى التفوه بألفاظ مخرجة عن دين الإسـلام، ومنها اللفظ المذكور، فيجب اجتنابه وتحذير قائله، وإرشاده إلى التوبة النصوح.

٧٧ - يا أهل النار [٣].

في مبحـث الأدب في الألفـاظ والتخلـص من الفـظ المكروه بأمر سـهل من كتاب «الطـرق الحكميـة» قال: قد روينا عـن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه خرج يعُـسُّ المدينة بالليل، فرأى نارًا موقدة في خباء فوقف وقال: يا أهل الضوء. وكره أن يقول: أهل النار.

---

(١) من علمني حرفًا صرت له عبدًا: «الفتاوى» (١٨/ ٣٤٥).

(٢) نشهد أن لا إله إلا الله: «شرح الأذكار» لابن علان (٦/ ٩٦).

(٣) يا أهل النار: «الطرق الحكمية» ص [٣٨].

٧٨ـ يا جاه محمد[(١)]:

هــذا دعاء، والدعاء لا يكون إلا لله، فصرفه إلى غيره شرك به. قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتاوى»: وأما قول القائل إذا عثر: يا جاه محمد، ياســت نفسية، أو ســيدي الشيخ فلان، أو نحو ذلك مما فيه استغاثته وسؤاله: فهو من المحرمات، وهو من جنس الشرك، فـإن الميت ســواء كان نبيًا أو غير نبي لا يدعى، ولا يســأل ولا يســتغاث بــه لا عند قبره، ولا مــع البعـد من قبره، بل هذا من جنس ديـن النصاري الذين: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[التوبة:٣١]، إلى آخر سياقه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٧٩ـ يا دائم المعروف:

ذكر صاحب كتاب القول المعروف في مســألة: يا دائم المعروف. للبرهان البقاعي. ولم أره مطبوعًـا. وفي« المعيـار» للونشريـسي، أنهـا من البـدع المحدثة بعـد الأذان، وكان المؤذنـون بمكة- حرسـها الله تعالى- يأتون بهذا اللفظة مـع ذكر طويل بعد الأذان فأُبطل هذا. والحمد لله.

٨٠ـ يعلم الله[(٢)]:

عــن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: لا يقولـون أحدكم لشيء لا يعلمه: الله يعلمه، والله يعلم غير ذلك، فيعلّم الله ما لا يعلم، فذاك عند الله عظيم [(٣)] وقال النووي في «الأذكار»: إن من أقبح الألفاظ المذمومة ما يعتاده كثير من الناس إذا أراد أحدهم أن يحلف على شيء يتـورع مـن قولـه: «والله» كراهة الحنث، أو إجـلالًا لله تعالى، ثم يقـول: الله يعلم ما كان هـو كـذا ونحوه، فإن كان صاحبها يتيقن الأمر كما قال، فلا بأس بها، وإن شـك في ذلك

---

(١) يا جاه محمد: «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ١٤٥)، (٣٧/ ١٦).

(٢) يعلـم الله: «الأذكار» ص [٣١٥]. «الأدب المفـرد» (٢/ ٢٣٤ - ٢٣٥) شرح ابـن عـلان «لـلأذكار» (٧/ ١١٠). «الصمت» لابن أبي الدنيا ص [٤٢٠]. «الفتاوى الحديثية» ص [١٤٠ - ١٤١].

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٨/ ٤٤٧) [١٥٩٦]، والبخاري في «الأدب المفرد» (١/ ٢٦٨) [٧٦٤]

فهو من أقبح القبائح ؛ لأنه تعرض للكذب على الله تعالى، فإنه أخبر أن الله تعالى يعلم شيئًا لا يتيقن كيف هو، وفيه دقيقة أقبح من هذه هي أنه تعرض لو صفه بأنه يعلم الأمر على خلاف ما هو، وذلك لو تحقق كان كفرًا، فهذه العبارة فيها خطر، فينبغي للإنسان اجتناب هذه العبارات والألفاظ.

٨١- أبرأ من الحول والقوة إلا إليه(١):

هذه للخطيب ابن نباته، أنكرها عليه بعض الناس، وقال: لا يصح إلا بحذف الاستثناء، بأن يقال: أبرأ من الحول والقوة إليه .فبيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن كل واحد من القولين صحيح باعتبار، فلينظر . فمعناه مع عدم الاستثناء: برئت من حولي وقوتي .ومعناه عند الخطيب: براءته من اللجأ إلا إلى الله .فهما يتواردان على هذا المعني. والله أعلم .

٨٢- اذكر الله(٢):

قال النووي في «الأذكار». روى النحاس عن أبي بكر محمد ابن أبي يحيى- وكان أحد الفقهاء العلماء الأدباء- أنه قال: يكره أن يقال لأحد عند الغضب: اذكر الله تعالى، خوفًا من أن يحمله الغضب على الكفر، قال: وكذا لا يقال له: صلِّ على النبي ؛ خوفًا من هذا. اهـ .

قال الشارح: «وفي تنبيه الأخيار» لابن حجر: وكره أن يقال للغضبان: اذكر الله؛ خوفًا من كفره، وما صح من أمره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقال له: تعوذ بالله من الشيطان (٣) الرجيم، لا ينافيه ؛ لأن سوْرة الغضب إن حملت على نحو سب إنما تقع هنا للشيطان

---

(١) أبرأ من الحول والقوة إلا إليه: «الفتاوى» (٨/ ٥٥١ - ٥٥٤).

(٢) اذكُر الله: «الأذكار» للنووي مع شرحها (٧/ ١٠٩). «الفتاوى الحديثية» ص [١٠٢، ١٣٩، - ١٤٠].

(٣) أخرجه البخاري (٤٨-٦) وفي [٦١١٥]، ومسلم [٢٦١٠] وأبو داود [٤٧٨١] وابن حبان [٥٦٩٢]، من حديث سليمان بن صدد.

على أن سماعه أعظم زاجر، وأبلغ راشد إلى أن غضبه من الشيطان، فيكف عنه، ومن ثم يبعد أخذ ندب هذا من هذا الحديث ا هـ. ولعل هذا يختلف باختلاف المقامات، والأشخاص، فالأرعن المتهافت الذي أخذ الغضب منه مأخذه، لا يعرض إلى ما يؤدي إلى المحذور المذكور، وهكذا.

٨٣ـ ارحمنا برحمتك[١]:

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن ذلك ما رواه النحاس، عن أبي بكر محمد بن يحيى، قال: وكان من الفقهاء الأدباء العلماء، قال: لا تقل: جمع الله بيننا في مستقر رحمته، فرحمة الله أوسع من أن يكون لها قرار . قال: ولا تقل: ارحمنا برحمتك.

قلت: لا نعلم لما قاله في اللفظين حجة، ولا دليل فيما ذكره، فإن مراد القائل بمستقر الرحمة: الجنة، ومعناه: جمع بيننا في الجنة التي هي دار القرار، ودار المقامة، ومحل الاستقرار، وإنما يدخلها الداخلون برحمة الله تعالى، ثم من دخلها استقر فيها أبدًا، وأمِن من الحوادث والأكدار، وإنما حصل له ذلك برحمة الله تعالى، فكأنه يقول: اجمع بيننا في مستقر نناله برحمتك ا هـ .

٨٤ـ أستغفر الله وأتوب إليه[٢]:

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وذكر في كتاب الأذكار، عن الربيع بن خثيم أنه قال: لا تقل: أستغفر الله وأتوب إليه، فيكون ذنبًا وكذبًا إن لم تفعل، بل قل: اللهم اغفر لي وتب علي. قال النووي: هذا حسن، وأما كراهية: (أستغفر الله) وتسميته كذبًا فلا يوافق عليه؛ لأن معنى أستغفر الله: أطلب مغفرته، وليس هذا كذبًا. وقال: يكفي في رده حديث ابن مسعود بلفظ: من قال: «**أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب**

---

(١) ارحمنا برحمتك: «الأذكار» ص/ [٣٣٠]. شرحها (٧/ ١٨١)

(٢) أستغفر الله وأتوب إليه: «فتح الباري» (١٣/ ٤٧٢). «شرح الأذكار» (٧/ ٢٩٠).

إليـه غفـرت ذنوبـه، وإن كان قد فرَّ مـن الزحف» أخرجه أبـو داود، والترمذي، والحاكم وصححه.

قلت: هذا في لفظ: «استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم»، وأما: أتوب إليه، فهـو الذي عنـى الربيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كذب، وهـو كذلك، إذا قاله ولم يفعـل التوبة كما قال. وفي الاسـتدلال للرد عليه بحديث ابن مسـعود نظر؛ لجواز أن يكون المراد منه ما إذا قالها وفعل شروط التوبة، ويحتمل أن يكون الربيع قصد مجموع اللفظين لا خصوص أستغفر الله، فيصح كلامه كله، والله أعلم.. اهـ.

٨٥ ـ اللهم ارزقنا شفاعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فصل: روى النحاس عن أبي بكر: المتقدم- يعني محمد بن يحيى- قال: لا يقل: اللهم أجرنا من النار، ولا يقل: اللهم ارزقنا شفاعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإنما يشـفع لمن اسـتوجب النار . قلت: هذا خطأ فاحش، وجهالة بينة، ولولا خوف الاغترار بهذا الغلط وكونه قد ذكر في كتب مصنفة، لما تجاسرت على حكايته .... الخ.

٨٦ ـ جزاك الله عن الإسلام خيرا[1]:

في ترجمة تلميذ الإمام محمد بن زهير، ما نصه: قال: أتيت أبا عبد الله في شيء أسأله عنه، فأتاه رجل فسأله عن شيء أو كلَّمه في شيء، فقال له: جزاك الله عن الإسلام خيرًا، فغضب أبو عبدالله، وقال له: من أنا ؛ حتى يجزيني الله عن الإسلام خيرًا ؟ بل جزى الله الإسلام عني خيرًا انتهى. وهذا من هضم النفس- رحم الله الإمام أحمد.

٨٧ ـ دمتم:

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٢٦، ٢٧] .فالدوام لا يكون إلا لله سبحانه.

---

(١) جزاك الله عن الإسلام خيرًا: «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٩٨).

ليس حي على المنون بباق غير ربي المُوحَّد الخلاق

وهذه اللفظة: (دمتم) الجارية في تذييل المكاتبات الودية، ينبغي التوقي من إطلاقها، وإن كان المراد بها الدوام النسبي للمخلوقين، والدوام المطلق لا يكون إلا لله- سبحانه-.

وهكذا يُقال في نحو: اللجنة الدائمة. والهيئة الدائمة. والله أعلم .

وقد أصدرت: (اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء)[1] بما نصه: (يكره ذلك؛ لأن الدوام لله- سبحانه – والمخلوق لا يدوم) انتهى. وفي الكراهة نظر. والله أعلم.

٨٨ـ قابيل وهابيل[2]:

بعض الناس إذا ذكر عندهم أن رجلًا قتل آخر قالوا: ما أنساك قابيل وهابيل قال الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ: أما أنهما ابنا آدم لصلبه فهو القول الثبت الصحيح الذي يدل عليه سياق الآيات، مؤيدًا بالسنة الصحيحة، وأما تسميتهما- قابيل وهابيل- فإنما هو من نقل العلماء عن أهل الكتاب، لم يرد به القرآن، ولا جاء في سنة ثابتة فيما نعلم، فلا علينا أن لا نجزم ولا نرجحه. وإنما هو قولٌ قيل انتهى.

٨٩ـ قلت لك مائة مرة[3]:

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال الغزالي: ومن الكذب المحرَّم الذي يوجب الفسق: ما جرت به العادة في المبالغة، كقوله: قلت لكَ مائة مرة، ولبتك مائة مرة، ونحوه، فإنه لا يُراد به تفهيم المرات، بل تفهيم المبالغة، فإن لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذبًا، وإن طلبه مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة ؛ لم يأثم وإن لم يبلغ مائة مرة. وبينهما درجات، يتعرض المبالغ للكذب فيها قلت: ودليل جواز المبالغة وأنه لايعد كاذبًا: ما جاء في الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «امَّا ابو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه، وأمَّا

(١) «الفتوى» رقم [٥٦٠٩].

(٢) قابيل وهابيل: «عمدة التفسير» (٣/ ١٢٣). وانظر تعليق الألباني على رسالة العز ابن عبد السلام في تفضيل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٣) قلت لك مائة مرة: «الأذكار» ص [٣٢٨].

معاويــة فـلا مال له»[١] ومعلوم أنه كان له ثوب يلبســه، وأنه كان يضع العصا في وقت النوم وغيره وبالله التوفيق.

٩٠ـ ما نقص من عمره زاد في عمرك:

يقولها بعضهم في التعزية بميت يعني: أن وفاته في سـن مبكر، قد ادخر بقية العمر للقريب على وجه التفاؤل. لكنهم نهوا عنه توقيًا لما فيه من معنى المدح والتزكية. ويظهر لي التسامح في هذا. والله أعلم.

٩١ـ الموت واحد والأسباب كثيرة:

هـذا لفظ لا محـذور فيه؛ إذ الموت حق، وهو واحد لا يتعدد بمعنى الموتة الكبرى، لكن أسبابه كثيرة.

مـن لم يمـت بالسيف مـات بغيره ... تـنـوعـت الأسـبـاب والـمـوت واحـد

٩٢ـ لا نزال بخير ما بقيت لنا[٢]:

في كتـاب: «الـشرح والإبانة عـلى أُصول أهل السـنة والديانة، ومجانبـة المخالفين، ومباينـة أهل الأهـواء المارقين» لابن بطة العبكري الحنبلي المتوفي سـنة (٣٨٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ ذكـر جملـة من التزام السـنة في الأقوال والأعـمال والمناهي فيهما، منهـا: و النهي أن يقول الرجـل: لا نـزال بخير ما بقيت لنا. اهـ. ولعل هذا لما فيه من اعتماد القائل على غير الله، ومدح وتزكية المقول له. ويظهر لي التسمح فيه وأنه لا محذور به. والله أعلم[٣].



(١) أخرجه مسلم [١٤٨٠]، وأبو داود [٢٢٨٤]، وابن حبان [٤٠٤٩].

(٢) لا نزال بخير ما بقيت لنا: «الزوائد على الزهد» لابن المبارك: ص/ [١٤]. «الآداب الشرعية» (١/ ٤٦٥) «المنهيات» للحكيم الترمذي ص [٩١]. «الإبانة الصغرى» لابن بطة. ص/ [٣٠٨].

(٣) «معجم المناهي اللفظية» للعلامة/ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله تعالى.

الباب الرابع

أمثلة وحكم يومية تجري مجرى الأحاديث النبوية

وهذه مجموعة من الحكم والأمثال المنتشرة على ألسنة بعض الناس والبعض يقولها على أنها من أحاديث النبي ﷺ ويتمسك بها وربما يعتقدها ويدعو إليها، ذكرتها لأنبه المسلمين إليها، وأعلق على بعضها إن كان مخالفًا لنص آية قرآنية أو حديث نبوي شريف والدال على الخير كفاعله.

١ ـ آخر الدواء الكي:

ليس بحديث وهو كلام معناه أنه بعد انقطاع طرق الشفاء يعالج به ولذا كان أحد ما حمل عليه النهي عن الكي وجود طريق مرجو للشفاء[١].

٢ ـ أبى الله أن يصح إلا كتابه:

ليس بحديث ولا أعرفه، ولكن قد قال الله تعالى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، ولذا قال إمامنا الشافعي رحمه الله فيما رويناه في مناقبه لأبي عبد الله ابن شاكر من طريق محمد بن عامر عن البويطي، قال: سمعت الشافعي يقول: لقد ألفت هذه الكتب ولم آل فيها ولا بد أن يوجد فيها الخطأ لأن الله تعالى يقول﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ﴾ الآية، فما وجدتم في كتبي هذه مما يخالف الكتاب والسنة، فقد رجعت عنه ولبعضهم شعر:

كم من كتاب قد تصفحته — وقلت في نفسي أصلحته
حتى إذا طالعته ثانيًا — وجدت تصحيفًا فصححته[٢]

---

(١) «المقاصد الحسنة» في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (١/ ١).

(٢) «المقاصد الحسنة» (١/ ٨).

٣ ـ اتق شر من أحسنت إليه:

لا أعرفه: ويشبه أن يكون من كلام بعض السلف وليس على إطلاقه، بل هو محمول على اللئام غير الكرام، فقد قال علي بن أبي طالب كما في ثاني عشر وحادي المجالسة للدينوري: الكريم يلين إذا استعطف واللئيم يقسو إذا ألطف، وعن عمر بن الخطاب قال ما وجدت لئيمًا إلا قليل المروءة، وفي التنزيل: ﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ ﴾ [التوبة:٧٤]، وقال له أبو عمرو بن العلاء أحد الأئمة يخاطب بعض أصحابه: كن من الكريم على حذر إذا أهنته، ومن اللئيم إذا أكرمته، ومن العاقل إذا أحرجته، ومن الأحمق إذا رحمته، ومن الفاجر إذا عاشرته، وليس من الأدب أن تجيب من لا يسألك أو تسأل من لا يجيبك أو تحدث من لا ينصت لك.

وفي الإسرائيليات يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: «من أساء إلى من أحسن إليه فقد بدل نعمتي كفرًا ومن أحسن إلى من أساء إليه فقد أخلص لي شكرًا»، وعند البيهقي في الشعب عن محمد بن حاتم المظفري قال: اتق شر من يصحبك لنائلة، فإنها إذا انقطعت عنه لم يعذر ولم يبال ما قال وما قيل فيه، وللدينوري في عشري المجالسة من طريق ابن عائشة عن أبيه قال: قال بعض الحكماء: لا تضع معروفك عند فاحش، ولا أحمق، ولا لئيم، ولا فاجر، فإن الفاجر يرى ذلك ضعفًا والأحمق لا يعرف قدر ما أتيت، فارزق معروفك أهله تحصل به شكرًا. انتهى، وفي المرفوع ما يشهد للأخير[١].

٤ ـ إذا صدقت المحبة سقطت شروط الأدب:

هو من كلام المبرد بلفظ: إذا صحت المودة سقط التكلف والتعمل وأورده الخطابي في العزلة في باب ترك الإكثار من الأصدقاء، وفي الرسالة للقشيري عن الجنيد: إذا سقطت المحبة سقط آدابها[٢].

---

(١) «المقاصر الحسنة» (١/ ١١).

(٢) «المقاصر الحسنة» (١/ ٢١).

٥ - إذا صليتم علي فعمموا:

لم أقف عليه بهذا اللفظ، ويمكن أن يكون بمعنى: صلوا علي وعلى أنبياء الله فإن الله بعثهم كما بعثني[(١)].

٦ - ارحموا عزيز قوم ذل، وغنيا افتقر، وعالما بين جهال:

يعرف من كلام الفضيل بن عياض وساقه من جهة الحاكم قال: سمعت إسماعيل بن محمد بن الفضل يقول: سمعت جدي يقول، سمعت سعيد ابن منصور يقول، قال الفضيل بن عياض.

٧ - استعينوا على كل صنعة بصالح أهلها، أو بمعنى آخر إدي العيش لخبازيه ولو أكلوا نصفه:

هذا كلام وليس بحديث ولكن يستأنس له بحديث جاء عن ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، وَعَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ أَصْوَاتًا، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ الأَصْوَاتُ؟ قَالُوا: النَّخْلُ يُؤَبِّرُونَهُ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: « لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا لَصَلُحَ: فَلَمْ يُؤَبِّرُوا عَامَئِذٍ، فَصَارَ شِيصًا، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «إِذَا كَانَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ، فَشَأْنُكُمْ بِهِ، وَإِذَا كَانَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ فَإِلَيَّ». وفي رواية: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ، فَقَالَ: «لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ، قَالَ: فَخَرَجَ شِيصًا، فَمَرَّ بِهِمْ، فَقَالَ: مَا لِنَخْلِكُمْ؟ قَالُوا: قُلْتَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ»[(٢)].

٨ - اسمعي يا جارة:

هو كلام قاله الحجاج بن يوسف لأنس رضي الله عنه حين شكا منه: إنما مثلي ومثلك كقول الذي قال: إياك أعني واسمعي يا جارة.

(١) «المقاصر الحسنة» (١/ ٢١).

(٢) أخرجه مسلم برقم [٢٣٦٣]، وأحمد [١٢٥٦٦]، وابن خزيمة [٢٤٥٥] والبغوي في «شرح السنة» (٦/ ١٩٠).

٩ ـ أصل كل داء الرضى عن النفس:

في كلام كثير من السلف معناه مما أورد القشيري في الرسالة كثيرًا منه، كقول أبي عمرو بن نجيد الذي سمعه سبطه أبو عبد الرحمن السلمي شيخ القشيري: آفة العبد رضاه عن نفسه بما هو فيه وقول ذي النون: علامة الإصابة مخالفة النفس والهوى، وقول ابن عطاء: أقرب شيء إلى مقت الله وبلائه النفس وأحوالها، وأشد من ذلك مطالعة الأعواض على أفعالها، وقول أبي حنيفة: من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ولم يجرها إلى مكروهها في سائر أيامه كان مغرورًا، ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها، وكيف يصح لعاقل الرضى عن نفسه والكريم ابن الكريم يقول: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾[يوسف:٥٣]، قال القشيري: وسئل المشايخ عن الإسلام، فقالوا: ذبح النفوس بسيوف المخالفة.

١٠ ـ افتضحوا فاصطلحوا:

هو من الأمثال السائرة، وقد رواه الخطابي في العزلة من طريق محمد بن حاتم المظفري به.

١١ ـ الأقربون أولى بالمعروف:

لا أصل له وما علمته بهذا اللفظ، ولكن قال النبي ﷺ لأبي طلحة: «**ارى ان تجعلها في الأقربين**»[1] هذا كله إذا أوقف أو أوصى لأقاربه وفي التنزيل: ﴿ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾[البقرة:٢١٥]، ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ [البقرة:١٨٠][2].

(١) «المقاصد الحسنة» (١/ ٤٢).

(٢) أخرجه البخاري [١٤٦٢]، وفي [٢٣١٨]، ومسلم [٩٩٨]، وابن خزيمة [٢٤٥٥]، والبغوي في «شرح السنة» (٦/ ١٩٠).

١٢ ـ إكرام الميت دفنه:

لم أقف عليه مرفوعًا، وإنما أخرجه ابن أبي الدنيا في الموت له من جهة أيوب السختياني. قال: كان يقال: من كرامة الميت على أهله تعجيله إلى حفرته(١).

١٣ـ التمسوا الرزق بالنكاح، خذوهم فقراء يغنكم الله:

ليس بحديث ولكن يستأنس له بقول عمر: عجبت لرجل لا يطلب الغني بالباءة، والله تعالى يقول في كتابه: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور :٣٢]، وقال القفال في محاسن الشريعة، وقد وعد الله تعالى على النكاح. فقال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾، وفي المعنى ما في صحيح ابن حبان والحاكم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ «ثَلاثَةٌ حَقٌّ عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ عَوْنُهُمُ الْمُكَاتَبُ الَّذِى يُرِيدُ الأَدَاءَ وَالنَّاكِحُ الَّذِى يُرِيدُ الْعَفَافَ وَالْمُجَاهِدُ فِى سَبِيلِ الله» (٢).

١٤ـ ألسنة الخلق أقلام الحق:

لا أصل له، نعم هو من كلام بعض الصوفية، ويمكن أن يكون معناه: الفال الموكل بالمنطق(٣).

١٥ـ أمرت أن أحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر:

اشتهر بين الأصوليين والفقهاء ولا وجود له في كتب الحديث المشهورة، ولا الأجزاء المنثورة، وجزم العراقي بأنه لا أصل له، وكذا أنكره المزي وغيره.

١٦ـ أنا أفصح من نطق بالضاد:

معناه صحيح، ولكن لا أصل له كما قاله ابن كثير.

---

(١) «المقاصد الحسنة» (١/ ٤٢).

(٢) أخرجه أحمد [٧٤١٠]، و[٩٦٢٦]، وابن ماجة [٢٥١٨]، والتِّرمذي [١٦٥٥].

(٣) «المقاصد الحسنة» (١/ ٤٦).

١٧ ـ أنا والأتقياء من أمتي بريئون من التكلف:

قال النووي: ليس بثابت انتهى.

١٨ـ أنفق ما في الجيب يأتيك ما في الغيب:

ليس بحديث ولكنه بمعنى حديث قدسي عن أبي هريرة: «أنفق أنفق عليك»(١) وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[سَبَإ :٣٩] .

١٩ـ إن الله نقل لذة طعام الأغنياء إلى طعام الفقراء:

حكم عليه الحافظ ابن حجر بالوضع.

٢٠ـ إن الله يكره الرجل البطال:

قال الزركشي: لم أجده. انتهى. وفي معناه ما أخرجه سعيد بن منصور في سننه عن ابن مسعود من قوله: إني لأكره الرجل فارغًا لا في عمل الدنيا.

٢١ـ إن الله يكره العبد المتميز على أخيه لا أعرفه(٢):

٢٢ـ إن الله يكره الرجل المطلاق الذواق لا أعرفه(٣):

٢٣ـ إن لله ملائكة تنقل الأموات لم أقف عليه(٤):

٢٤ـ إن الميت يرى النار في بيته سبعة أيام:

قال البيهقي في مناقب الإمام أحمد؛ قال ابن منيع سئل عنه أحمد. فقال باطل لا أصل له. وهو بدعة.

---

(١) أخرجه البُخاري [٤٦٨٤]، و[٧٤١١]، ومسلم [٢٢٧١]، وابن ماجه [١٩٧]، وفي [٢١٢٣]، والتِّرمذي [٣٠٤٥]، وابن حِبَّان [٧٢٥]، وأبو داود [٣٢٨٨]، .

(٢) «المقاصر الحسنة» (١/ ٧٠).

(٣) «المقاصر الحسنة» (١/ ٧٠).

(٤) «المقاصر الحسنة» (١/ ٧١).

٢٥- إن كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب:

أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت من طريق الأوزاعي قال: قال سليمان بن داود رضي الله عنه وذكره، ومن طريق ابن المبارك وسئل عن قول لقمان لابنه إن كان الكلام من فضة، فإن الصمت من ذهب، فقال عبد الله يقول: لو كان الكلام بطاعة الله من فضة، فإن الصمت عن معصية الله من ذهب، ومن طريق ابن المبارك أنه ذكر أبياتًا وساقها وآخرها:

إن كان من فضة كلامك يا نفس ... فإن السكوت من ذهب

٢٦- ادفع الشك باليقين:

ليس بحديث وانما جاء في كلام سفيان الثوري ويجري على ألسنة الفقهاء من قواعدهم ،لكن يشهد له حديث «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»(١):

٢٧- إذا حضرت الملائكة هربت الشياطين:

ليس بحديث لكن في الحديث ما يدل على أن الشيطان لا يجتمع مع الملك وهو ما صح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا سب أبا بكر رضي الله عنه والنبي جالس لا يقول شيئًا، فلما سكت ذهب أبو بكر يتكلم، فقام النبي واتبعه أبو بكر، فقال يا رسول الله كان يسبني أنت جالس فلما ذهبت أتكلم قمت قال: «**إن الملك كان يرد عنك فلما تكلمت ذهب الملك ووقع الشيطان فكرهت أن أجلس**» وفي رواية «**فلما انتصرت وقع الشيطان**»(٢).

٢٨ - إذا كبر ابنك واخيه:

هو من كلام العامة وقولهم واخيه لحن وصوابه آخه لكن في معناه: الولد سبع سنين سيد وأمير وتسع سنين أخ وزير، فإن رضيت فكافئه وإلا فاضرب على جنبه فقد أعذرت فيما بينك وبينه.

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد [١٢٥٧٧]، والدارمي [١٥٩١]، وابن خزيمة [٢٣٤٧]، والتِّرمِذِيّ [٢٥١٨]، وقال حديث حسن صحيح وأنظر صحيح الجامع [٣٣٧٧].

(٢) حسن: أخرجه أحمد [٩٦٢٢]، وأبو داود [٤٨٩٧]، البغوي في «شرح السنة» (١٣/ ١٦٥)، وانظر صحيح الجامع [٦٧٥٨].

٢٩ـ اسمع من مبكياتك ولا تسمع من مضحكاتك :

يجري على الألسنة وأصله من كلام الحسن أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» بمعناه.

٣٠ ـ صفي النية ونم في البرية ليس بحديث[1] :

٣١ ـ البشاشة خير من القرى:

مثل وليس بحديث مثل (لاقيني ولا تغديني).

٣٢ـ حب الوطن من ال إيمان:

ليس بحديث لكن روى ابن أبي حاتم عن الضحاك قال لما خرج من مكة، فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[القصص:٨٥]. قال: إلى مكة. وقال الأصمعي: سمعت أعرابيًا يقول: إذا أردت أن تعرف الرجل، فانظر كيف تحننه إلى أوطانه، وشوقه إلى إخوانه، وبكاؤه على ما مضى من زمانه.

٣٣ ـ الحسود لا يسود:

ليس بحديث نعم حكي عن ذي النون.

٣٤ ـ خيار البر عاجله:

ليس بحديث نعم قال العباس: لا يتم البر إلا بتعجيله فإنه إذا عجله هناه.

٣٥ ـ الدنيا مزرعة الآخرة:

قال السخاوي: لم أقف عليه مع إيراد الغزالي له في الإحياء.

٣٦ ـ الرابح في الشر خاسر:

ليس بحديث، ويدل عليه قول الله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء:١٢٣]، وقوله تعالى :﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٨].

---

(١) كشف الخفار مذيل الألباس للعجاوني (١/ ١٣٢).

٣٧ ـ الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، الرجوع للحق فضيلة:

ليس بحديث ولكنه من قول عمر في كتابه إلى عبد الله بن قيس في آداب القضاء لا يمنعك قضاء قضيته فراجعت فيه عقلك، فهديت لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.

٣٨ ـ زامر الحي لا يطرب:

ليس بحديث ولكن معناه صحيح، فقد جاء أزهد الناس في العالم أهله وجيرانه، وجاء قول عيسى عليه السلام: ما أُكرِم نبي في قومه قط.

٣٩ ـ سؤر المؤمن شفاء [١]:

والسُّؤْرُ لُغَةً: بَقِيَّةُ الشَّيْءِ، وَجَمْعُهُ أَسْآرٌ، وَأَسْأَرَ مِنْهُ شَيْئًا أَبْقَى، وَالسُّؤْرُ فِي الِاصْطِلَاحِ هُوَ: فَضْلَةُ الشُّرْبِ وَبَقِيَّةُ الْمَاءِ الَّتِي يُبْقِيهَا الشَّارِبُ فِي الْإِنَاءِ، أَوْ فِي الْحَوْضِ، ثُمَّ اسْتُعِيرَ لِبَقِيَّةِ الطَّعَامِ أَوْ غَيْرِهِ.

٤٠ ـ صدقة القليل تدفع البلاء الكثير:

صدقة قليلة تمنع بلاوي كثيرة ليس بحديث ولكن معناه صحيح من حديث «**صنائع المعروف تقي مصارع السوء و صدقة السر تطفئ غضب الرب، و صلة الرحم تزيد في العمر**» [٢].

٤١ ـ الضحك من غير عجب من قلة الأدب:

كلام شائع وليس بحديث.

---

(١) قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١/ ١٧٧): لا أصل له، وقال الشيخ أحمد الغزي العامري في «الجد الحثيث» رقم [١٦٨] من نسختي: ليس بحديث، وأقره الشيخ العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٤٥٨).

(٢) صحيح بمجموع طرقه: أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٦١) وفي الأوسط (٦/ ١٦٣)، وانظر صحيح الجامع [٣٧٩٦]، [٣٧٩٧].

٤٢ ـ الجبروت في القلب:

ليس بحديث ولعله منتزع من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

٤٣ ـ عدو عاقل خير من صديق جاهل:

ليس بحديث نعم جاء عن أبي حازم قال: أن يبغضك عدوك المسلم خير من أن يحبك خليلك الفاجر.

٤٤ ـ العلم في الصغر كالنقش في الحجر:

ليس بحديث وإنما هو من كلام الحسن.

٤٥ ـ في الحركات البركات:

من كلام السلف وليس بحديث، وكذلك (الحركة بركة).

٤٦ ـ كل إناء بالذي فيه ينضح:

مثل سائر وليس بحديث وفي معناه قول القائل: كل إنسان يعطي ما عنده، وأخرج ابن عساكر عن ابن المبارك قال: بلغني أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مر بقوم، فشتموه فقال: خيرًا ومر بآخرين، فشتموه وزادوا فزادهم خيرًا فقال رجل من الحواريين: كلما زادوا شرًا زدتهم خيرًا كأنك تغريهم بنفسك، فقال: كل إنسان يعطي ما عنده.

٤٧ ـ كل شاة معلقة بعرقوبها، اللي يشيل قربة مخرومة تخر على رأسه.

هو مثل وفي معناه قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣]، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رجلًا يقول كل شاة معلقة برجلها، فقال: لا والله إن الطير لتهلك هزالًا في جو السماء بظلم ابن آدم.

فيه إشارة إلى استضرار الحيوانات، بظلم العبد إذ تقحط الأرض بسبب بعض الذنوب فيعم الضرر الجميع في الدنيا، وأما في الآخرة، فكل إنسان مطالب بعمله مجاز به؛ وإنما يحمل أوزار بعض من يحمل أوزارهم لكونه كان إمامًا لهم في سوء أو داعيًا لهم إلى ضلال أو لظلمه إياهم، فلا يكون له حسنة يستوفونها فيؤخذ من سيئاتهم، فتلقى عليه فهو ما حمل إلا وزر نفسه.

٤٨ ـ كن ذنبا ولا تكن رأسا[١]:

ليس بحديث إنما هو من كلام إبراهيم بن أدهم أوصى به بعض أصحابه وزاد، فإن الرأس يهلك والذنب يسلم.

٤٩ ـ لكل مجتهد نصيب:

ليس بحديث وهو في معنى (من طلب وَجَدَّ وَجَدَ) وهو موافق لقول الله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٣٠].

٥٠ ـ لو أحسن أحدكم ظنه بحجر، أو لو اعتقد أحدكم حجرًا نفعه الله به أو لنفعه:

كذب، لا أصل له كما قال ابن تيمية وابن حجر، وقال ابن القيم: هو من كلام عُبَّادِ الأصنام الذين يحسنون ظنهم بالأحجار.

٥١ ـ لولا الخطأ ما كان الصواب:

ليس بحديث.

---

(١) قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١/ ٤٧٦): لا أصل له فيما أعلم؛ ثم رأيته في «الزهد» لأحمد (٢٠/ ٨٠/ ١) من قول شعيب، وهو ابن حرب المدائني «الزاهد» توفي سنة ١٩٧ هـ، وهو كلام يمجه ذوقي، ولا يشهد لصحته قلبي، بل هو مباين لما نفهمه من الشريعة وحضها على معالي الأمور والأخذ بالعزائم فتأمل.

٥١ - ما وسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن[(١)]:

٥٢ - ما لا يدرك كله لا يترك كله:

قاعدة وليس بحديث وهو في معنى الآية ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[التغابن: ١٦].

٥٣- المحبة مكبة:

أي تستر العيوب وهو ليس بحديث.

٥٤ - المساواة في الظلم عدل:

ليس بحديث أصلًا.

٥٥ - مصر أم الدنيا:

لا أصل له.

٥٦ - مصر كنانة الله في أرضه، ما طلبها عدو إلا أهلكه الله[(٢)]:

٥٧ - المكتوب ما منه مهروب:

ليس بحديث ولكنه من الأمثال وفي معناه ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾[التوبة: ٥١].

٥٨ - من أكل طعام أخيه ليسره لم يضره:

ليس بحديث إنما هو من كلام أبي سليمان الداراني.

٥٩ - من تكلم فيما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه:

وفي معناه (لا تتكلم بما لا يعنيك فتسمع ما لا يرضيك) وليس بحديث بل هو مثل أو حكمة.

---

(١) منكر: ذكره في «الإحياء» بلفظ قال الله تعالى: «لم تسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبد المؤمن اللين الوادع» قال العراقي: لم أر له أصلًا وكذا أنكره ابن تيمية والزركشي.

(٢) لا أصل له: قال الألباني في «السلسلة الضعيفة» «والموضوعة» (٢/ ٢٩١) لا أصل له.

٦٠ - من جهل شيئًا عاداه:

لا يعرف حديثًا وهو في معنى (الناس أعداء ما جهلوا) وفي التنزيل: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١].

٦١- من حفر لأخيه قليبًا أوقعه الله فيه قريبًا (من حفر قليبًا لأخيه أوقعه الله فيه):

ونحو ذلك لا أصل له في الحديث، لكن جاء عن كعب الأحبار أنه سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن قولهم من حفر مهواة أوقعه الله فيها فقال: إنا نجد في كتاب الله ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾[فاطر: ٤٣]، وجاء عن ابن عمر موقوفًا: مكتوب في التوراة من فجر فجر به ومن حفر حفرة سوء لصاحبه وقع فيها.

٦٢ - من صبر وتأنى نال ما يتمنى:

ليس بحديث، وفي التنزيل: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]

٦٣- من لانت كلمته وجبت محبته:

ليس بحديث ولكنه من كلام بعض السلف، ويشهد له قول ابن عمر:

بني إن البر شيء هين وجه طليق ولسان لين

٦٤ - من لم يخف الله خف منه:

ليس بحديث ومعناه صحيح، فقد جاء في الأثر أن الله أوحى إلى داود عليه الصلاة والسلام تخاف أحدًا غيري قال نعم يا رب أخاف من لا يخافك.

٦٥ - من لم يصلحه الخير يصلحه الشر:

ليس بحديث، وهو من كلام بعض السلف.

٦٦-من لم يكن معك فهو عليك:

ليس بحديث لكنه من كلام الثوري.

٦٧ ـ من ليس له -أو من لم يكن له- من قلبه واعظ لم تنفعه المواعظ:

هو من كلام بعض الصوفية.

٦٨ ـ من نصح جاهلًا عاداه:

ليس بحديث، وقال الخليل بن أحمد لابن المثنى: لا تردن على معجب خطئًا فيستفيد منك علمًا ويتخذك عدوًا.

٦٩ ـ من يخطب الحسناء يعط مهرها:

هو مثل وليس بحديث.

٧٠ ـ الناس بلاء الناس:

لم أقف عليه في الحديث وفي معناه قوله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾ [الفرقان: ٢٠]

٧١ـ الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا:

أخرجه ابن عساكر عن علي موقوفًا.

٧٢ـ الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك:

ليس بحديث، بل من كلام بعض الحكماء وقيل: من كلام الإمام الشافعي.

٧٣ ـ لا تتمارضوا فتمرضوا ولا تحفروا قبوركم فتموتوا:

وأما الزيادات الدائرة على الألسن، فتموتوا فتدخلوا النار، فلا أصل لها أصلا، وقال ابن أبي حاتم في العلل هو حديث منكر.

٧٤ ـ لا تسيدوني في الصلاة:

لا أصل له.

٧٥ ـ لا تلد الحية إلا حوية:

هو مثل لا حديث، وفي التنزيل ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

٧٦ ـ لا سلام على أكل:

ليس بحديث وهو كلام شائع على الألسنة وليس بصحيح.

٧٧ ـ يخرج عن ودك ولا يخرج عن طبعه:

مشهور على الألسنة، وفي معناه حديث أبي الدرداء رضي الله عنه إذا سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدقوا وإذا سمعتم برجل زال عن خلقه، فلا تصدقوا به فإنه يصير إلى ما جبل عليه.

٧٨ ـ لكل ساقطة لاقطة:

هو من كلام السلف، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، ولكن الجاري على الألسنة لا يقصد به هذا المعنى، وكثيرًا ما يعلل به انتقاض الوضوء بمس العجوز الشوهاء وتحريم رؤيتها ونحو ذلك.

٧٩ ـ ما أنصف القاري المصلي:

قال الحافظ ابن حجر: لا أعرفه.

٨٠ ـ ما عُبِد الله بشيء أفضل من جبر القلوب:

لا أعرفه[1].

---

(١) «المقاصد الحسنة» (١/ ١٩٦).

٨١ ـ محبة في الآباء صلة في الأبناء:

لم أقف عليه[١].

٨٢ ـ المصائب مفاتيح الأرزاق:

ومصر أطيب الأرضين ترابًا وعجمها أكرم العجم أنسابًا قال الحافظ ابن حجر: لا أعرفه مرفوعًا، وإنما يذكر معناه عن عمرو بن العاص.

٨٣ ـ المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء:

لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ، ولم أجد له أصلًا، بل هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب.

٨٤ ـ من استرضي فلم يرض فهو شيطان:

ليس في المرفوع وإنما هو فيما أورده البيهقي في الشعب من جهة جعفر بن محمد الصادق قال: من لم يغضب عند التقصير لم يكن له شكر عند المعروف، ومن طريق الربيع، وفي مناقب الشافعي من جهة أحمد بن سنان كلاهما عن الشافعي من قوله بزيادة: ومن استغضب ولم يغضب فهو حمار.

٨٥ ـ من جالس عالمًا فكأنما جالس نبيًا:

لا أعرفه في المرفوع ولكن جاء عن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: إذا رأيت رجلًا من أصحاب الحديث، فكأنما رأيت النبي ﷺ[٢].

٨٦ ـ من خاف الله أخاف منه كل شيء، ومن لم يخف الله خاف من كل شيء:

ليس بحديث، انما هو من قول عمر بن عبد العزيز، ومثله قول الفضيل بن عياض: (من خاف الله لم يضره أحد) ومن خاف غير الله لم ينفعه أحد، ومثله قول يحيى بن معاذ

(١) «المقاصر الحسنة» (١/ ١٩٩).
(٢) «المقاصر الحسنة» (١/ ٢١٥).

الـرازي: عـلى قدر حبك الله يحبك الخلق، وعلى قدر خوفك مـن الله يهابك الخلق، وعلى قدر شغلك بأمر الله يشغل في أمرك الخلق.

٨٧ ـ من دعا لظالم بطول البقاء، فقد أحب أن يعصى الله:

ذكره الزمخشري في تفسـير سـورة هود، والغَزَّالي في موضعين من الإحياء، ولم نره في المرفوع.

٨٨ ـ من زرع حصد:

ليـس بحديث ولكن معناه صحيح وإليه يشـير قوله تعـالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

٨٩ ـ من شكا ضرورته وجبت مساعدته:

ليس بحديث وإنما هو من كلام بعض السلف.

٩٠ ـ من عبد الله بجهل كان ما يفسد أكثر مما يصلح:

ليس بحديث إنما هو من كلام ضرار بن الأزور الصحابي.

٩١ ـ من عرف نفسه استراح:

ليـس بحديـث إنما ذكره ابن أبي الدنيا في الصمت عن سـفيان بن عيينة، قال: ليس يضر المدح من عرف نفسه.

٩٢ـ من قرأ البقرة وآل عمران ولم يدع بالشيخ فقد ظلم:

لا أصل له.

٩٣ ـ من قصدنا وجب حقه علينا:

لم أقف عليه بهذا اللفظ(١).

---

(١) «المقاصد الحسنة» (١/ ٢٢١).

٩٤ - من يخطب الحسناء يعطي مهرها:

ليس بحديث، وهو كلام صحيح يشير إليه قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

٩٥ - المؤمن ليس بحقود:

ذكره الغزالي في الإحياء، وقال مخرجه أنه لم يقف له على أصل.

٩٦ - الناس على دين مليكهم:

لا أعرفه حديثًا، وقد جاء عن الفضيل بن عياض أنه قال ما معناه: لو كانت لي دعوة صالحة لرأيت السلطان أحق بها فبصلاحه صلاح الرعية وبفساده فسادهم[١].

٩٧ - النسيان طبع الإنسان:

لا أعرفه بهذا اللفظ[٢].

٩٨ - الوضوء على الوضوء نور على نور:

ذكره الغزالي في الإحياء فقال مخرجه: لم أقف عليه، وسبقه لذلك المنذري، وأما الحافظ ابن حجر فقال: إنه حديث ضعيف رواه رزين في مسنده.

٩٩ - الولد سر أبيه:

لا أصل له. وقد قال عبد العزيز الديريني في الدرر الملتقطة في توجيهه: إن الولد إنما يتعلم من أوصاف أبيه ويسرق من طباعه، بل قد يصحب المرء رجلًا فيسرق من طباعه في الخير والشر.

---

(١) «المقاصد الحسنة» (١/ ٢٣٠).

(٢) «المقاصد الحسنة» (١/ ٢٣٢).

١٠٠- يا ويل من نال الغنى بعد فاقة:

ليس بحديث، بل هو كلام وليس على إطلاقه وإن قيل:

سل الخير أهل الخير قدمًا ولا تسل ... فتى ذاق طعم العيش منذ قريب

١٠١- يد عدوك إذا لم تقدر على قطعها قبلها:

ليس بحديث وإنما هو في ثامن عشر المجالسة عن المنصور: إذا مد إليك عدوك يده فإن قدرت على قطعها، وإلا فقبلها.

١٠٢- يرقص للقرد في دولته:

قال منصور بن الأزهر: أتيت باب المأمون، فإذا ابن أبي خميصة قد خرج واللواء بين يديه، فثنى رجله على معرفة دابته وأنشأ يقول:

كم من رفيع القدر قد وضع ... الدهر وكم ذي مهانة رفعه

قد يجمع المال غير آكله ... ويأكل المال غير من جمعه

فارض من الدهر ما أتاك به ... من قر عينًا بعيشه نفعه

قال منصور: فلما كان في خلافة المنتصر، ولي أيضًا فوافقته في ذلك الموضع، ففعل فعله الأول وأنشد:

وقائد يحف في أعوانه ... مثل حفيف الهيف في أجفانه

فإن تلقاك بعدوانه ... وخفت منه الجور في أوانه

فاسجد لقرد السوء في زمانه ... وداره ما دام في سلطانه

١٠٣- قلوب الشعراء خزائن الرحمن:

لا أصل له.

١٠٤- الدنيا ساعة فاجعلها طاعة:

لا أصل له

١٠٥- من تكلم عند الأذان خيف عليه زوال الإيمان:

باطل لا أصل له.

١٠٦- همة الرجال تزيل الجبال[(١)] :

١٠٧- حسبي من سؤالي علمه بحالي[(٢)]:

١٠٨- الدنيا ضرة الآخرة[(٣)]:

١٠٩- عليكم بدين العجائز[(٤)]:

١١٠- حسنات الأبرار سيئات المقربين[(٥)]:

١١١- اتقوا مواضع التهم[(٦)]:

١١٢- أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع، وطهروها بالجوع تصفر وترق[(٧)]:

١١٣- الفكر نصف العبادة، وقلة الطعام هي العبادة[(٨)]:

---

(١) قال الألباني: في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١/ ٥٩): ليس بحديث. قال الشيخ إسماعيل العجلونى في «كشف الخفاء»: لم أقف على أنه حديث قلت: لم نجد له أصلًا.

(٢) قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١/ ٧٤): لا أصل له ،أورده ابن عراق في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» وقال (١/ ٢٥٠): قال ابن تيمية: موضوع.

(٣) قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١/ ١٠٦): لا أصل له.

(٤) قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١/ ١٣٠): لا أصل له.كذا قال في « المقاصد» و ذكره الصغاني في «الأحاديث الموضوعة» [٧]، وأورده الغزالي (٣/ ٦٧) مرفوعًا إليه ﷺ ! و قال مخرجه العراقي: قال ابن طاهر في «كتاب التذكرة » رقم [٥١١]، تداوله العامة، و لم أقف له على أصل يرجع إليه من رواية صحيحة و لا سقيمة.

(٥) قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١/ ٢١٦): باطل لا أصل له.

(٦) قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١/ ٢٣٠): لا أصل له، أورده الغزالي في «الإحياء» (٣/ ٣١)، وقال مخرجه الحافظ العراقي: لم أجد له أصلًا، و كذا قال السبكي في «الطبقات» (٤/ ١٦٢)، و قد روي موقوفا نحوه فانظر «شرح الإحياء» للزبيدي (٧/ ٢٨٣).

(٧) قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١/ ٤١٥): لا أصل له.كما يفيده الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ٧٣)، و التاج السبكي في «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٦٣).

(٨) قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١/ ٤١٧)، باطل. وقد أفاد العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ٦٩) أنه لا أصل له.

١١٤- **من قلد عالمًا لقي الله سالمًا[١]،**

١١٥- **من صلى خلف عالم تقي، فكأنما صلى خلف نبي[٢]،**

١١٦- **إن الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عز وجل منه[٣]،**

١١٧- **لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام و الشراب، فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء[٤]،**

١١٨- **لهم ما لنا، و عليهم ما علينا،**

يعني أهل الذمة [٥]:

١١٩- **على الخبير سقطت[٦]،**

١٢٠- **من سأل في المساجد فاحرموه[٧]،**

١٢١- **أنا ابن الذبيحين[٨]،**

(١) قال الألباني في «السلسلة الضعيفة و الموضوعة» (٢/ ٢٩): لا أصل له، وقد سئل عنه السيد رشيد رضا رحمه الله فأجاب في مجلة «المنار» (٣٤/ ٧٥٩)، بقوله: ليس بحديث .

(٢) قال الألباني في «السلسلة الضعيفة و الموضوعة» (٢/ ٤٤): لا أصل له، و قد أشار لذلك الحافظ الزيلعي، بقوله في «نصب الراية» (٢/ ٢٦): «غريب» و هذه عادته في الأحاديث التي تقع في «الهداية»، ولا أصل لها، فيما كان من هذا النوع غريب، فاحفظ هذا فإنه اصطلاح خاص به .

(٣) قال الألباني في «السلسلة الضعيفة و الموضوعة» (٢/ ١٤٠): لا أصل له. ذكره الغزالي في «الإحياء» (٢/ ١٢٩) من حديث أبي ذر مرفوعًا، فقال الحافظ العراقي في « تخريجه»: لم أقف له على أصل.

(٤) قال الألباني في «السلسلة الضعيفة و الموضوعة» (٢/ ١٥٤): لا أصل له. و إن جزم الغزالي بعزوه إلى النبي ﷺ ! فقد قال مخرجه العراقي (٣/ ٧٠): لم أقف له على أصل.

(٥) قال الألباني في «السلسلة الضعيفة و الموضوعة» (٣/ ٢٢٢): باطل لا أصل له.

(٦) قال الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة» (٣/ ٣٧٢): لا أصل له مرفوعًا، و في «المقاصد» (١٣٦) هو كلام يقوله المسؤول عما يكون به عالمًا، جاء عن جماعة منهم ابن عباس مما صح عنه حيث سئل عن البدنة إذا عطبت، و في «دلائل النبوة» للبيهقي من طريق ابن إسحاق في نحو هذا أن أبا حاجز الحضرمي قاله حين سئل عنه.

(٧) قال الألباني في «السلسلة الضعيفة و الموضوعة» (٣/ ٦٥٣) لا أصل له كما قال السيوطي في «الحاوي للفتاوي» (١/ ١٢٠).

(٨) قال الألباني في «السلسلة الضعيفة و الموضوعة» (٤/ ١٧٢»: لا أصل له.

١٢٢- نعم العون على الدين المرأة الصالحة [١].

١٢٣- من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم يزدد من الله إلا بعدًا.

وفي لفظ: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، فلا صلاة له [٢].

١٢٤- الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهائم الحشيش.

وفي لفظ: الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب [٣].

١٢٥- اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا.

قال الألباني: لا يصح مرفوعًا أي: ليس صحيح عن النبي ﷺ [٤]

١٢٦- توسلوا بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم [٥].

١٢٧- الخير فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة [٦].

١٢٨- اختلاف أمتي رحمة.

موضوع [٧].

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الضعيفة و الموضوعة» (٥/ ٦٠): لا أصل له أورده الغزالي (٤/ ٩٠): مرفوعًا إلى النبي ﷺ . و قال الحافظ العراقي : لم أجد له إسنادا، وتبعه الشيخ تاج الدين السبكي في فصل جمع فيه جميع ما في «الإحياء»، من الأحاديث التي لم يجد لها إسنادًا من كتابه «طبقات الشافعية الكبرى» (٤/ ١٧٢)

(٢) قال الذهبي: قال ابن الجنيد: كذب وزور. قال الحافظ العراقي: حديث إسناده لين، قال الألباني: باطل لا يصح من قبل إسناده ولا من جهة متنه «ميزان الاعتدال» (٣/ ٢٩٣) «تخريج الإحياء» (١/ ١٤٣). «السلسلة الضعيفة» (٢/ ٩٨٥).

(٣) قال الحافظ العراقي: لم أقف له على أصل، قال عبد الوهاب ابن تقي الدين السبكي: لم أجد له إسنادًا، قال الألباني: لا أصل له. «تخريج الإحياء» (١/ ١٣٦) «طبقات الشافعية» للسبكي (٤/ ١٤٥) «الضعيفة» [٤].

(٤) «الضعيفة» (٨) .

(٥) قال ابن تيمية والألباني: لا أصل له «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية (٢/ ٤١٥) «الضعيفة» [٢٢].

(٦) قال ابن حجر: لا أعرفه «المقاصد الحسنة» للسخاوي ص [٢٠٨]. وهو في «تذكرة الموضوعات» للفتني [٦٨] . وفي «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» للقاري ص [١٩٥].

(٧) «الأسرار المرفوعة» [٥٠٦]، «تنزيه الشريعة» (٢/ ٤٠٢). وقال الألباني: لا أصل له. «الضعيفة» [١١]

١٢٩- أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم:

وفي لفظ: إنما أصحابي مثل النجوم فأيهم أخذتم بقوله اهتديتم [١].

١٣٠- أدّبني ربي، فأحسن تأديبي. قال ابن تيمية: لا يعرف له إسناد ثابت[٢].

١٣١- سؤر المؤمن شفاء:

لا أصل له [٣].

١٣٢- التائب حبيبُ الله:

لا أصل له [٤].

١٣٣- الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا:

لا أصل له [٥].

١٣٤- لولاك ما خلقت الدنيا:

موضوع[٦].

١٣٥- أنا ابن الذبيحين:

لا أصل له[٧] [٨].

---

(١) قال ابن حزم: خبر مكذوب موضوع باطل لم يصح قط «الإحكام في أصول الأحكام» (٥/ ٦٤) و (٦/ ٨٢) وقال الألباني: موضوع. «الضعيفة» [٦٦]. وانظر «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٢/ ٩١)

(٢) «أحاديث القصاص» [٧٨]. وأورده الشوكاني في «الفوائد المجموعة» [١٠٢٠]. والفتني في «تذكرة الموضوعات» [٨٧].

(٣) «الأسرار المرفوعة» [٢١٧]. «كشف الخفاء» (١/ ١٥٠٠). «الضعيفة» [٧٨].

(٤) «الأحاديث التي لا أصل لها في الإحياء» للسبكي [٣٥٦] «الضعيفة» [٩٥] .

(٥) «الأسرار المرفوعة» [٥٥٥]، «الفوائد المجموعة» (٧٦٦) . «تذكرة الموضوعات» (٢٠٠).

(٦) «اللؤلؤ المرصوع» للمشيشي [٤٥٤]. «ترتيب الموضوعات» [١٩٦]. «الضعيفة» [٢٨٢].

(٧) قال الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة» (٤/ ١٧٢)، لا أصل له .

(٨) «رسالة لطيفة» لابن قدامة [٢٣]. «اللؤلؤ المرصوع» [٨١]، «النخبة البهية» للسنباوي [٤٣].

١٣٦- الأقربون أولى بالمعروف:

لا أصل له[١].

١٣٧- شاوروهن - يعني: النساء - وخالفوهن:

لا أصل له[٢].

١٣٨- ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في صدره:

لا أصل له[٣].

١٣٩- تحية البيت الطواف:

لا أصل له [٤].

١٤٠- ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدقه الفعل... الخ:

موضوع [٥].

١٤١- الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال، له ولها يجمع من لا عقل له:

ضعيف جدًّا[٦].

١٤٢- لا تجعلوا آخر طعامكم ماء:

لا أصل له[٧].

---

(١) «الأسرار المرفوعة» [٥١]. «اللؤلؤ المرصوع» [٥٥]. «المقاصد الحسنة» للسخاوي [١٤١].

(٢) «اللؤلؤ المرصوع» [٢٦٤]. «تذكرة الموضوعات» [١٢٨]. «الأسرار المرفوعة» [٢٤٠].

(٣) «الأسرار المرفوعة» لعلي القاري [٤٥٢]، «الأحاديث التي لا أصل لها في الإحياء» للسبكي [٢٨٨]، «المنار المنيف» [٢٤٦].

(٤) «الأسرار المرفوعة» [١٣٠] «اللؤلؤ المرصوع» [١٤٣]، «الموضوعات الصغرى» للقاري [٨٨].

(٥) «ذخيرة الحفاظ» لابن طاهر (٤/ ٤٦٥٦) «الضعيفة» [١٠٩٨]، «تبيض الصحيفة» لمحمد عمرو [٣٣].

(٦) «الأحاديث التي لا أصل لها في «الإحياء» للسبكي [٣٤٤]، «تذكرة الموضوعات» للفتني (١٧٤).

(٧) «الضعيفة» [٢٠٩٦].

١٤٣- رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الأكبر:

لا أصل له(١).

١٤٤- إن الجبان حتفه من فوقه:

الحتف الهلاك ولا يبنى منه فعل، وخص هذه الجهة لأن التحرز مما ينزل من السماء غير ممكن. يشير إلى أن الحتف إلى الجبان أسرع منه إلى الشجاع لأنه يأتيه من حيث لا مدفع له. قال ابن الكلبي: أول من قاله عمرو بن أمامة في شعر له وكانت مراد قتلته فقال هذا الشعر عند ذلك وهو قوله:

لقد حسوت الموت قبل ذوقه   إن الجبان حتفه من فوقه

كل امرئ مقاتل عن طوقه   والثور يحمي انفه بروقه

يضرب في قلة نفع الحذر من القدر. وقوله حسوت الموت قبل ذوقه الذوق مقدمة الحسو فهو يقول قد وطنت نفسي على الموت فكأني بتوطين القلب عليه كمن لقيه صراحًا.

١٤٥- إن في الشر خيارًا:

الخير يجمع على الخيار والأخيار وكذلك الشر يجمع على الشرار والأشرار، أي أن في الشر أشياء خيارًا. ومعنى المثل كما قيل بعض الشر أهون من بعض. ويجوز أن يكون الخيار الاسم من الاختيار أي في الشر ما يختار على غيره.

١٤٦- إن الحديد بالحديد يفلح:

الفلح الشق، ومنه الفلاح للحراث؛ لأنه يشق الأرض، أي يستعان في الأمر الشديد بما يشاكله ويقاويه.

إن الحماة أولعت بالكنة   وأولعت كنتها بالظنة

---

(١) «الأسرار المرفوعة» [٢١١]، «تذكرة الموضوعات» للفتني [١٩١].

الحماة أم زوج المرأة والكنة امرأة الابن وامرأة الأخ أيضًا والظنة التهمة وبين الحماة والكنة عداوة مستحكمة يضرب في الشر يقع بين قوم هم أهل لذلك.

١٤٧- إن لله جنودًا منها العسل:

قاله معاوية لما سمع أن الأشتر سقي عسلًا فيه سم فمات وهو مثل يضرب عند الشماتة بما يصيب العدو.

١٤٨- إن الجواد قد يعثر:

يضرب لمن يكون الغالب عليه فعل الجميل ثم تكون منه الزلة.

١٤٩- إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب:

هذا من كلام عمران بن حصين؛ والمعاريض جمع المعراض، يقال عرفت ذلك في معراض كلامه، أي في فحواه قلت: أجود من هذا أن يقال التعريض ضد التصريح وهو أن يلغز كلامه عن الظاهر، فكلامه معرض، والمعاريض جمعه ثم لك أن تثبت الياء وتحذفها والمندوحة السعة وكذلك الندحة، يقال إن في كذا ندحة أي سعة وفسحة يضرب لمن يحسب أنه مضطر إلى الكذب.

١٥٠- إن السلامة منها ترك ما فيها:

قيل أن المثل في أمر اللقطة توجد وقيل: إنه في ذم الدنيا والحث على تركها وهذا في بيت أوله:

والنفس تكلف بالدنيا وقد علمت ... أن السلامة منها ترك ما فيها

١٥١- إن الكذوب قد يصدق:

قال أبو عبيد هذا المثل وهو يضرب للرجل تكون الإساءة الغالبة عليه ثم تكون منه الهنة من الإحسان.

١٥٢- إن النساء لحم على وضم:

الوضم ما وقي به اللحم من الأرض من بارية أو غيرها وهذا المثل يروى عن عمر رضي الله عنه حين قال: لا يخلون رجل بمغيبة أن النساء لحم على وضم.

١٥٣- إني لآكل الرأس وأنا أعلم ما فيه:

يضرب للأمر تأتيه وأنت تعلم ما فيه مما تكره.

١٥٤- إن كنت بي تشد أزرك فأرخه:

أي أن تتكل علي في حاجتك فقد حرمتها.

١٥٥- إذا عز أخوك فهن:

قال أبو عبيد: معناه مياسرتك صديقك ليست بضيم يركبك منه فتدخلك الحمية به إنما هو حسن خلق، وتفضل فإذا عاسرك فياسره، وكان المفضل يقول! أن المثل لهذيل بن هبيرة التغلبي وكان أغار على بني ضبة فغنم، فاقبل بالغنائم فقال له أصحابه: اقسمها بيننا. فقال: إني أخاف أن تشاغلتم بالاقتسام أن يدرككم الطلب. فأبوا، فعندها قال: إذا عز أخوك فهن. ثم نزل فقسم بينهم الغنائم وينشد لابن أحمر:

دببت له الضراء وقلت أبقى ... إذا عز ابن عمك أن تهونا

أخاك أخاك إن من لا أخا له ... كساع إلى الهيجا بغير سلاح

نصب قوله، أخاك، بإضمار فعل أي: الزم أخاك أو أكرم أخاك، وقوله: أن من لا أخا له، أراد، لا أخ له، فزاد ألفًا لأن في قوله، له معنى الإضافة، ويجوز أن يحمل على الأصل أي إنه في الأصل، أخو، فلما صار أخًا، كعصى ورحى، ترك ههنا على أصله.

١٥٦- أنا عذلة وأخي خذلة وكلانا ليس بابن أمه:

يضرب لمن يخذلك وتعذله.

١٥٧- أخوك من صدقك النصيحة:

يعني، النصيحة في أمر الدين والدنيا، أي صدقك في النصيحة، فحذف في وأوصل الفعل. وفي بعض الحديث، الرجل مرآة أخيه، يعني، إذا رأى من ما يكره أخبره به ونهاه عنه، ولا يوطئه العشرة.

١٥٨- إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض:

يروى، أن أمير المؤمنين عليًا، رضي الله عنه، قال: إنما مثلي ومثل عثمان كمثل أثوار ثلاثة كن في أجمة، أبيض وأسود وأحمر، ومعهن فيها أسد، فكان لا يقدر منهن على شيء لاجتماعهن عليه. فقال: للثور الأسود والثور الأحمر: لا يدل علينا في أجمتنا إلا الثور الأبيض، فإن لونه مشهور ولوني على لونكما، فلو تركتماني آكله، صفت لنا الأجمة. فقالا: دونك فكله. فأكله؛ فلما مضت أيام قال للأحمر: لوني على لونك، فدعني آكل الأسود لتصفو لنا الأجمة. فقال: دونك فكله؛ فأكله. ثم قال للأحمر: إني أكلك لا محالة. فقال: دعني أنادي ثلاثًا. فقال: افعل. فنادى، ألا إني أكلت يوم أكل أثور الأبيض. ثم قال علي رضي الله عنه: إلا إني هنت، ويروى: وهنت يومك قتل عثمان يرفع بها صوته يضربه الرجل، يرزأ بأخيه.

١٥٩- الإثم حزاز القلوب:

يعني، ما حز فيها وحكها أي أثّر كما قيل الإثم ما حك في قلبك وإن أفتاك الناس عنه وأفتوك؛ والحزاز، ما يتحرك في القلب من الغم، ومنه قول ابن سيرين حين قيل له: ما أشد الورع؟ فقال: ما أيسره إذا شككت في شيء، فدعه.

١٦٠- أيها الممتن على نفسك فليكن المن عليك:

الامتنان، الإنعام والإحسان، يقال، لمن يحسن إلى نفسه، قد جذبت بها فعلت المنفعة إلى نفسك فلا تمن به على غيرك.

١٦١- إذا سمعت الرجل يقول فيك من الخير ما ليس فيك، فلا تأمن أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك [قاله وهب بن منبه رَحِمَهُ اللَّهُ :وهو مثل يضرب، في ذم الإسراف في الشيء].

١٦٢- أخذه برمته:

أي بجملته. الرمة، قطعة من الحبل بالية والجمع رمم ورمام، وأصل المثل: أن رجلًا دفع إلى رجل بعيرًا بحبل في عنقه، فقيل لكل من دفع شيئًا بجملته: دفعته إليه برمته وأخذه منه برمته. والأصل ما ذكرنا.

١٦٣- إنه لألمعي:

ومثله لوذعي. يضرب للرجل المصيب بظنونه، قال أوس بن حجر: الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا، وأصله من لمع، إذا أضاء كأنه لمع له ما ظلم على غيره. وفي حديث مرفوع أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**لم تكن أمة إلا كان فيها محدث، فإن يكن في هذه الأمة محدث، فهو عمر**»[1]. قيل: وما أحدث؟ قال: الذي يرى الرأي ويظن الظن فيكون كما رأى وكما ظن . وكان عمر رضي الله عنه كذلك.

١٦٤- أكل عليه الدهر وشرب:

يضرب لمن طال عمره، يريدون أكل وشرب دهرًا طويلًا. وقال:

كم رأينا من أناس قبلنا ... شرب الدهر عليهم وأكل

(١) أخرجه البخاري برقم [٣٤٦٩]، وفي [٣٦٨٩]من حديث أبي هريرة، ومسلم [٢٣٩٨]، وأحمد [٢٤٣٣٠]، والترمذي [٣٦٩٣]، وابن حبان [٦٨٩٤] من حديث عائشة.

١٦٥- أتاك ريان بلبنه:

يضرب لمن يعطيك ما فضل منه، استغناء لا كرمًا، لكثرة ما عنده.

١٦٦- إنه ليعلم من أين تؤكل الكتف:

يضرب للرجل الداهي. قال بعضهم: تؤكل الكتف من أسفلها ومن أعلى يشق عليك. ويقولون: تجري المرقة بين لحم الكتف والعظم، فإذا آخذتها من أعلى جرت عليك المرقة وانصبت، وإذا أخذتها من أسفلها انقشرت عن عظمها وبقيت المرقة مكانها ثابتة.

١٦٧- إذا نزا بك الشر فاقعد به:

يضرب لمن يؤمر بالحلم وترك التسرع إلى الشر؛ ويروى إذا قام بك الشر، فاقعد.

١٦٨- إياك وما يعتذر منه:

أي لا ترتكب أمرًا تحتاج فيه إلى الاعتذار منه.

١٦٩- إذا زل العالم زل بزلته عالم:

لأن للعالم تبعًا فهم به يقتدون. قال الشاعر:

إن الفقيه إذا غوى وأطاعه ... قوم غووا معه فضاع وضيعا

مثل السفينة إن هوت في لجة ... تغرق ويغرق كل ما فيها معا

١٧٠- إن تعش ترما لم تره، أو بمعنى آخر، اللي يلف يشوف كتير:

هذا مثل قولهم: عش رجبًا تر عجبًا. قال أبو عيينة المهلبي:

قل لمن أبصر حالًا منكره ... ورأى من دهره ما حيره

ليس بالمنكر ما أبصرته ... كل من عاش يرى ما لم يره

ويروى: رأى بما لم يره.

١٧١- إذا كنت في قوم فاحلب في إنائهم:

يضرب في الأمر بالموافقة، كما قال الشاعر:

إذا كنت في قوم عدي لست منهم فكل ما علفت من خبيث وطيب

١٧٢- إذا قلت له زن طأطأ رأسه وحزن:

يضرب هذا المثل للرجل البخيل.

١٧٣- إذا جاءت السّنة جاء معها أعوانها:

يعني، الجراد والذباب والأمراض. يعني إذا قحط الناس اجتمع البلايا والمحن.

١٧٤- إن كثير النصيحة يهجم على كثير الظنة:

أي: إذا بالغت في النصيحة اتهمك من تنصحه.

١٧٥- إنما هو الفجر أو البحر:

أي: إن انتظرت حتى يضيء لك الفجر الطريق أبصرت قدرك، وإن خبطت الظلماء وركبت العشواء هجما بك على المكروه. يضرب في الحوادث التي لا امتناع منها.

١٧٦- إن كنت كذوبا فكن ذكورا:

يضرب للرجل يكذب ثم ينسى فيحدث بخلاف ذلك.

١٧٧- إذا اشتريت فاذكر السوق :

يعني، إذا اشتريت فاذكر البيع لتجنب العيوب.

١٧٨- إياك والسآمة في طلب الأمور، فتقذفك الرجال خلف أعقابها:

قال أبو عبيد: يروي عن أبجر بن جابر العجلي أنه قال فيما أوصى به ابنه حجازًا: يا بني إياك والسآمة. يضرب في الحث على الجد في الأمور، وترك التفريط فيها.

١٧٩- إذا لم تسمع فألمع:

أي: إن عجزت عن الإسماع لم تعجز عن الإشارة.

١٨٠- إنما الشيء كشكله:

قاله أكثم بن صيفي: يضرب للأمرين، أو الرجلين، يتفقان في أمر، فيأتلفان.

١٨١- إذا رزقك الله مغرفة فلا تحرق يدك :

يضرب هذا المثل لمن كفي بغيره.

١٨٢-. برق لمن لا يعرفك:

أي، هدد من لا علم له بك، فإن من عرفك لا يعبأ بك. والتبريق، تحديد النظر. ويروى: برقي، بالتأنيث، يقال: برق عينيه تبريقًا إذا أوسعها كأنه قال برق عينيك، فحذف المفعول. ويجوز أن يكون من قولهم: رعد الرجل وبرق، إذا أوعد وتهدد وشدد أرادة التكثير. أي كثر وعيدك لمن لا يعرفك.

١٨٣- بال حمار فاستبال أحمرة:

أي، حملهن على البول. يضرب في تعاون القوم على ما تكرهه.

١٨٤- أبدأهم بالصراخ يفروا:

قال أبو عبيد: هذا مثل لقد ابتذلته العامة وله أصل، وذلك أن يكون الرجل قد أساء إلى الرجل، فيتخوف لأئمة صاحبه، فيبدؤه بالشكاية والتجني ليرضى منه الآخر بالسكوت. يضرب للظالم يتظلم ليسكت عنه.

١٨٥- أباد الله خضراءهم:

قال الأصمعي: معناه أذهب الله نعمتهم وخصبهم. ومنهم من يقول: أباد الله خضراءهم. أي همتهم، خيرهم وخصبهم. وقال بعضهم: أي بهجتهم وحسنهم. وهو مأخوذ من الغضاره، وهي البهجة والحسن.

قال الشاعر:

أحثو التراب على محاسنه وعلى غضارة وجهه النضر

١٨٦- بقبقة في زقزقة:

البقبقة، الصخب، والزقزقة، الضحك، يضرب للنفاج الذي يأتي بالباطل.

١٨٧- البغي آخر مدة القوم:

يعني، أن الظلم إذا امتد مداه آذن بانقراض مدتهم.

١٨٨- أبهى من القمرين:

يعني الشمس والقمر.

١٨٩- بيت الإسكاف فيه من كل جلد رقعة:

يضرب هذا المثل لأخلاط الناس.

١٩٠- بطن جائع ووجه مدهون:

يضرب هذا المثل للمتشبع زورًا.

١٩١- ترك الذنب أيسر من طلب التوبة:

يضرب هذا المثل لما تركه خير من ارتكابه.

١٩٢- تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها:

أي، لا تكون ظئرًا وإن آذاها الجوع. ويروى، ولا تأكل ثدييها. وأول من قال ذلك، الحرث بن سليل الأسدي، وكان حليفًا لعلقمة بن خصفة الطائي فزاره فنظر إلى ابنته الزباء، وكانت من أجمل أهل دهرها، فأعجب بها، فقال له: أتيتك خاطبًا، وقد ينكح الخاطب، ويدرك الطالب، ويمنح الراغب. فقال له علقمة: أنت كفؤ كريم يقبل منك الصفو ويؤخذ منك العفو، فأقم ننظر في أمرك. ثم انكفأ إلى أمها فقال: إن الحرث ابن سليل سيد قومه حسبًا ومنصبًا وبيتًا، وقد خطب إلينا الزباء، فلا ينصرفنّ إلا بحاجته. فقالت امرأته لابنتها: أي الرجال أحب إليك الكهل الجحجاح الواصل المناح، أم الفتى الوضاح؟

قالت: لا، بل الفتى الوضاح. قالت: إن الفتى يغيرك وإن الشيخ يميرك، وليس الكهل الفاضل الكثير النائل كالحديث السن الكثير المن. قالت: يا أمتاه إن الفتاة تحب الفتى كحب الرعاء أينق الكلا. قالت: أي بنية، إن الفتى شديد الحجاب كثير العتاب. قالت: إن الشيخ يبلي شبابي ويدنس ثيابي ويشمت بي أترابي. فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها؛ فتزوجها الحرث على مائة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم، فابتني بها، ثم رحل بها إلى قومه. فبينا هو ذات يوم جالس بفناء قومه، وهي إلى جانبه، إذا أقبل إليه شباب من بني أسد يعتلجون، فتنفست صعداء، ثم أرخت عينيها بالبكاء. فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: ما لي وللشيوخ الناهضين كالفروخ. فقال لها: ثكلتك أمك، تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها. قال أبو عبيد: فإن كان الأصل على هذا الحديث فهو على المثل السائر، لا تأكل ثدييها. وكان بعض العلماء يقول هذا لا يجوز وإنما هو لا تأكل بثدييها. قلت: كلاهما في المعنى سواء، لأن معنى، لا تأكل ثدييها، لا تأكل أجرة ثدييها. ومعنى بثدييها، أي لا تعيش بسبب ثدييها وبما يغلان عليها. ثم قال الحرث لها: أما وأبيك لرب غارة شهدتها، وسبية أردفتها، وخمرة شربتها، فالحقي بأهلك فلا حاجة لي فيك. وقال:

تهزأت ان رأتني لابسًا كبرا وغاية الناس بين الموت والكبر

١٩٣- تشددي تنفرجي،

الخطاب للداهية. أي تناهي في العظم والشدة تذهبي. يضرب عند اشتداد الأمر. وهو موافق لقول الله تعالى: ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق :٧]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح :٥، ٦]، وجاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له: يا أمير المؤمنين أجدبت الأرض، وقحط المطر، وقنط الناس. قال: إذًا مطرتم. فجعل عمر بن الخطاب اشتداد الحال علامة على قرب المطر، قال رحمه الله بعد قوله له:

مطر تم، تلا قول الله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[الشورى: ٢٨].

وقال الشافعي:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعًا وعند الله منها المخرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت وكنت أظنها لا تفرج

وكما قيل:

اصبر قليلًا فبعد العسر تيسير ... وكل وقت له أمر وتدبير

وللمهيمن في حالتنا قدر ... وفوق تدبيرنا لله تدبير

١٩٤- تضرب في حديد بارد:

يضرب هذا المثل لمن طمع في غير مطمع.

١٩٥- اتخذوه حمار الحاجات:

يضرب هذا المثل للذي يمتهن في الأمور.

١٩٦- اترك الشر يتركك:

أي: إنما يصيب الشر من تعرض له. زعموا أن لقمان الحكيم قال لابنه: اترك الركما يتركك. أراد كيما يترك، فحذف الياء وأعملها.

١٩٧- تغد بالجدي قبل أن يتعشى بك:

يضرب في أخذ الأمر بالحزم.

١٩٨- تشتهي وتشتكي:

أي: تحب أن تأخذ، وتكره أن يؤخذ منك.

١٩٩- تركته على مثل خد الفرس:

أي: تركته على طريق واضح مستوٍ.

٢٠٠- تركته على مثل شراك النعل:

أي: في ضيق حال.

٢٠١- تركته على مثل مشفر الأسد:

يضرب لمن تركته عرضة للهلاك.

٢٠٢ - جاء يجر بقره:

أي: عياله كني عن العيال بالبقر، لأن النساء محل الحرث والزرع، كما أن البقر آلة لهما.

٢٠٣ - الجار ثم الدار:

هذا كقولهم: الرفيق قبل الطريق. قال أبو عبيد: كان بعض فقهاء أهل الشام يحدث بهذا الكلام، ويقول: معناه إذا أردت شراء دار، فسل عن جوارها قبل شرائها.

وكما قال الشاعر:

يلومنني أن بعت بالرخص منزلي	ولم يعلموا جارًا هناك ينغص
فقلت لهم كفوا الملام فإنما	بجيرانها تغلو الديار وترخص

٢٠٤- جد لامرئ يجد لك:

أي: أحب له خيرًا يحب لك مثله.

٢٠٥- جاؤوا على بكرة أبيهم:

قال أبو عبيد: أي جاؤوا جميعًا لم يتخلف منهم أحد وليس هناك بكرة في الحقيقة.

وقال غيره: البكرة، تأنيث البكر، وهو الفتى من الإبل. يصفهم بالقلة، أي جاؤوا بحيث تحملهم بكرة أبيهم قلة. وقال بعضهم: البكرة ههنا التي يستقى عليها أي جاؤوا بعضهم على أثر بعض، كدوران البكرة على نسق واحد. وقال قوم: أرادوا بالبكرة

الطريقة كأنهم قالوا جاؤوا على طريقة أبيهم، أي يتقيلون أثره. وقال ابن الأعرابي: البكرة جماعة الناس. يقال: جاؤوا على بكرتهم، وبكرة أبيهم، أي بأجمعهم. قلت: فعلى قول ابن الأعرابي يكون على في المثل بمعنى مع، أي جاؤوا مع جماعة أبيهم، أي مع قبيلته.

ويجوز أن يكون على من صلة معنى الكلام، أي جاؤوا مشتملين على قبيلة أبيهم. هذا هو الأصل. ثم يستعمل في اجتماع القوم وإن لم يكونوا من نسب واحد. ويجوز أن يراد بالبكرة التي يستقى عليها، وهي إذا كانت لأبيهم اجتمعوا عليها مستقين لا يمنعهم عنها أحد. فشبه اجتماع القوم في المجيء باجتماع أولئك على بكرة أبيهم.

٢٠٦ ـ حسبك من شر سماعه:

أي: اكتف من الشر بسماعه ولا تعاينه. ويجوز أن يريد، يكفيك سماع الشر وإن لم تقدم عليه ولم تنسب إليه.

وقال بعض النساء الشواعر:

سائل بنا في قومنا ... وليكف من شر سماعه

٢٠٧ ـ حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق:

أي: اكتف بالقليل من الكثير.

٢٠٨ ـ حبك الشيء يعمي ويصم:

أي: يخفي عليك مساويه، ويصمك عن سماع العذل فيه.

٢٠٩ ـ احمل العبد على فرس فإن هلك هلك وإن عاش فلك:

يضرب هذا لكل ما هان عليك أن تخاطر به.

٢١٠ ـ حبيب جاء على فاقة:

يضرب للشيء يأتيك على حاجة منك إليه وموافقة.

٢١١ ـ الحكمة ضالة المؤمن:

يعني: أن المؤمن يحرص على جمع الحكم، من أين يجدها يأخذها.

٢١٢- أحمق من جحا:

هو رجل من فزارة، وكان يكنى أبا الغصن. فمن حمقه أن عيسى بن موسى الهاشمي مر به وهو يحفر بظهر الكوفة موضعًا فقال له: مالك يا أبا الغصن؟ قال: إني قد دفنت في هذه الصحراء دراهم ولستُ أهتدي إلى مكانها. فقال عيسى: كان يجب أن تجعل عليها علامة. قال: قد فعلت. قال ماذا؟ قال: سحابة في السماء كانت تظلها ولست أرى العلامة. ومن حمقه أيضًا أنه خرج من منزله يومًا بغلس فعثر في دهليز منزله بقتيل فضجر به، وجره إلى بئر منزله، فألقاه فيها، فنذر به أبوه فأخرجه وغيبه وخنق كبشًا حتى قتله وألقاه في البئر. ثم أن أهل القتيل طافوا في سكك الكوفة يبحثون عنه، فتلقاهم جحا فقال: في دارنا رجل مقتول، فانظروا أهو صاحبكم. فعدلوا إلى منزله، وأنزلوه في البئر. فلما رأى الكبش ناداهم وقال: يا هؤلاء، هل كان لصاحبكم قرن؟ فضحكوا ومروا.

ومن حمقه أن أبا مسلم صاحب الدولة لما ورد الكوفة قال لمن حوله: أيكم يعرف جحا فيدعوه إلي؟ فقال يقطين: أنا، ودعاه، فلما دخل لم يكن في المجلس غير أبي مسلم ويقطين فقال: يا يقطين، أيكما أبو مسلم؟ قلت: وجحا اسم لا ينصرف لأنه معدول من جاح، مثل عمرو من عامر يقال: جحا يجحو جحوًا إذا رمى. ويقال: حيا الله جحوتك. أي وجهك.

٢١٣- خير مالك ما نفعك:

قال أبو عبيد: العامة تذهب بهذا المثل إلى أن خير المال ما أنفقه صاحبه في حياته ولم يخلفه بعده. وكان أبو عبيدة يتأوله في المال يضيع للرجل فيكسب به عقلًا يتأدب به في حفظ ماله فيما يستقبل. كما قالوا: لم يضع من مالك ما وعظك.

٢١٤- خير الأمور أوساطها:

يضرب في التمسك بالاقتصاد. قال أعرابي للحسن البصري: علمني دينًا وسوطًا، لا ذاهبًا فروطًا، ولا ساقطًا. فقال: أحسنت يا أعرابي، خير الأمور أوساطها.

٢١٥- الخطأ زاد العجول:

يعني: قل من عجل في أمر إلا أخطأ قصد السبيل.

٢١٦ - خذ بيدي اليوم آخذ برجلك غدًا:

أي: انفعني بقليل أنفعك بكثير.

٢١٧- دع امرءًا وما اختار:

يضرب لمن لا يقبل وعظك. يقال: دعه واختياره. كما قيل:

إذا المرء لم يدر ما أمكنه	ولم يأت من أمره أزينه
وأعجبه العجب فاقتاده	وتاه به التيه فاستحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره	سيضحك يومًا ويبكي سنه

٢١٨ - ذهب منه الأطيبان:

يضرب لمن قد أسن؛ أي لذة النكاح والطعام، قال نهشل:

إذا فات منك الأطيبان فلا تبل	متى جاءك اليوم الذي كنت تحذر

٢١٩ - رماه الله بداء الذئب:

معناه أهلكه الله، وذلك أن الذئب لا داء له إلا الموت. ويقال: معناه، رماه الله بالجوع، لأن الذئب أبدًا جائع.

٢٢٠- رب أخ لك لم تلده أمك:

يعني به الصديق فإنه ربما أربى في الشفقة على الأخ من الأب والأم.

٢٢١ ـ أرسل حكيمًا وأوصه:

أي: إنه وإن كان حكيمًا فإنه يحتاج إلى معرفة غرضك. وبضده يقال:

٢٢٢ ـ أرسل حكيمًا ولا توصه:

أي: هو مستغن بحكمته عن الوصية، قالوا أن هذين المثلين للقمان الحكيم، قالهما لابنه.

٢٢٣ ـ رب فرحة تعود ترحة:

يعني: إن الرجل يولد له الولد فيفرح وعسى أن يعود فرحه إلى ترح لجناية يجنيها، أو ركوب أمر فيه هلاكه.

٢٢٤ الروم إذا لم تغز غزت:

يعني: أن العدو إذا لم يقهر رام القهر، وفي هذا حض على قهر العدو.

٢٢٥ ـ رماه الله بليلة لا أخت لها:

أي: بليلة يموت فيها.

٢٢٦- ربما أصاب الغبي رشده:

الغباوة: الحمق. يضرب في التسليم والرضا بالقدر.

٢٢٧ ـ رأسه في القبلة واسته في الخربة:

يضرب لمن يدعي الخير وهو عنه بمعزل.

٢٢٨ ـ استوت به الأرض:

يعنون إنه مات ودرس قبره حتى لا فرق بينه وبين الأرض التي دفن فيها.

٢٢٩ ـ سحابة صيف عن قليل تقشع:

يضرب في انقضاء الشيء بسرعة.

٢٣٠ ـ شر الرعاء الحطمة:

وهو الذي يحطم الراعية بعنفه. يضرب لمن يلي شيئًا ثم لا يحسن ولايته، وإنما ينبغي أن يكون الراعي كما قال الراعي:

ضعيف العصا بادي العروق ترى له … عليها إذا ما أمحل الناس إصبعا

أي أثرًا حسنًا.

٢٣١ ـ شق فلان عصا المسلمين:

إذا فرق جمعهم. قال أبو عبيد: معناه فرق جماعتهم. قال: والأصل في العصا الاجتماع والائتلاف، وذلك أنها لا تدعي عصا حتى تكون جميعًا، فإن انشقت لم تدع عصا. ومن ذلك قولهم للرجل إذا أقام بالمكان، واطمأن به، واجتمع له فيه أمره: قد ألقى عصاه.

قال معقر البارقي:

فألقت عصاها واستقرت بها النوى … كما قر عينًا بالإياب المسافر

قالوا: وأصل هذا أن الحاديين يكونان في رفقة فإذا فرقهم الطريق شقت العصا التي معهما فأخذ هذا نصفها وهذا نصفها. يضرب مثلًا لكل فرقة. قال صلة بن أشيم لأبي السليل: إياك أن تكون قاتلًا أو مقتولًا في شق عصا المسلمين.

٢٣٢ ـ الشجاع موقى:

وذلك أنه قل من يرغب في مبارزته خوفًا على نفسه. وهذا كما يقال: أحرص على الموت توهب لك الحياة.

٢٣٣ ـ شر السمك يكدر الماء:

أي لا تحقر خصمًا صغيرًا.

٢٣٤ ـ صاحب ثريد وعافية:

يضرب لمن عرف بسلامة الصدر.

٢٣٥ ـ صار إلى ما منه خلق:

يضرب هذا المثل للميت.

٢٣٦ ـ الظلم مرتعه وخيم:

قاله حنين بن خشرم السعدي، أي: عاقبته مذمومة. وجعل للظلم مرتعًا لتصرف الظالم فيه، ثم جعل المرتع وخيمًا لسوء عاقبته إمَّا في الدنيا وإمَّا في العقبى.

٢٣٧ ـ عليه من الله لسان صالحة:

يعني الثناء. يضرب لمن يثنى عليه بالخير.

٢٣٨ ـ أعط أخاك تمرة فإن أبى فجمرة:

يضرب للذي يختار الهوان على الكرامة، وهو موافق لقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾[الزخرف: ٣٦].

٢٣٩ ـ على الخبير سقطت:

الخبير العالم، والخبر العلم. وسقطت، أي: عثرت، عبَّر عن العثور بالسقوط لأن عادة العاثر أن يسقط على ما يعثر عليه. يقال: إن المثل لمالك ابن جبير العامري، وكان



من حكماء العرب، وتمثل به الفرزدق للحسين ابن علي رضي الله عنهما حين أقبل يريد العراق فلقيه وهو يريد الحجاز، فقال له الحسين رضي الله عنه: ما وراءك؟ قال: على الخبير سقطت، قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية، والأمر ينزل من السماء. فقال الحسين رضي الله عنه: صدقتني.

٢٤٠ ـ أعذر من أنذر:

أي من حذرك ما يحل بك فقد أعذر إليك، أي صار معذورًا عندك.

٢٤١ ـ عمك أول شارب:

أي عمك أحق بخيرك ومنفعتك من غيره، فابدأ به! يضرب في اختصاص بعض القوم.

٢٤٢ ـ العاقل من يرى مقر سهمه من رميته:

يضرب في النظر في العواقب.

٢٤٣ ـ في الخير له قدم:

يريدون له سابقة في الخير. قال حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه:

لنا القدم الأولى إليك وخلفنا   لأولنا في ملة الله تابع

ويروى عن الحسن ومجاهد في قوله تعالى: ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾، يعني الأعمال الصالحة. وقال مقاتل بن حيان في قوله تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢]، القدم: محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم عند ربهم. قال أبو زيد: يقال رجل قدم إذا كان شجاعًا.

٢٤٤ ـ في الجريرة تشترك العشيرة:

يضرب في الحث على المواساة.

٢٤٥ ـ في الله تعالى عوض عن كل فائت.

قاله عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

٢٤٦ ـ في العافية خلف من الراقية.

أي من عوفي لم يحتج إلى راقٍ وطبيب، والهاء في الراقية دخلت للمبالغة. ويجوز أن تكون الراقية مصدرًا كالباقية والواقية.

٢٤٧ ـ قطعت جهيزة قول كل خطيب.

أصله أن قومًا اجتمعوا يخطبون في صلح بين حيين قتل أحدهما من الآخر قتيلًا، ويسألون أن يرضوا بالدية، فبينا هم في ذلك إذ جاءت أمة يقال لها جهيزة فقالت: إن القاتل قد ظفر به بعض أولياء المقتول فقتله، فقالوا عند ذلك: قطعت جهيزة قول كل خطيب؛ أي قد استغني عن الخطب يضرب لمن يقطع على الناس ما هم فيه بحماقة يأتي بها.

٢٤٨ ـ قشرت له العصا.

يضرب في خلوص الود، أي أظهرت له ما كان في نفسي. ويقال: اقشر له العصا، أي كاشفه وأظهر له العداوة.

٢٤٩ ـ القول ما قالت حذام.

أي، القول السديد المعتد به ما قالته وإلا، فالصدق والكذب يستويان في أن كلًا منهما قول يضرب في التصديق. قال ابن الكلبي: إن المثل للجيم بن صعب والد حنيفة وعجل، وكانت حذام امرأته، فقال فيها زوجها لجيم:

إذا قالت حذام فصدقوها ... فإن القول ما قالت حذام

ويروى فانصتوها، أي أنصتوا لها. كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ [المطففين:٣]، أي كالوا لهم أو وزنوا لهم.



٢٥٠ ـ قد أسمعت لو ناديت حيًا:

يضرب لمن يوعظ فلا يقبل ولا يفهم.

٢٥١ ـ أقلل طعامك تحمد منامك:

أي أن كثرته تورث الآلام المسهرة.

٢٥٢ ـ أقصر لما أبصر:

أي أمسك عن الطلب لما رأى سوء العاقبة.

٢٥٣ ـ الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، وإفراط الأنس مكسبة لقرناء السوء:

قاله أكثم بن صيفي: قال أبو عبيد: يريد أن الاقتصار في الأمور أدنى إلى السلامة. يضرب في توسط الأمور بين الغلو والتقصير كما قال الشاعر:

إن كنت منبسطًا سميت مسخرة ... أو كنت منقبضًا قالوا به ثقل

وإن أعاشرهم قالوا لهيبتنا ... وإن أجانبهم قالوا به ملل

٢٥٤ ـ قول الحق لم يدع لي صديقًا:

يُروى عن أبي ذر، رضي الله تعالى عنه.

٢٥٥ ـ قد تؤذيني النار فكيف أصلى بها:

يضرب، لكل ما يكره الإنسان أن يراه أو يفعل إليه مثله.

٢٥٦ ـ كل ذات بعل ستئيم:

هذا من أمثال أكثم بن صيفي، قال الشاعر:

افاطم إني هالك فتبيني ... ولا تجزعي كل النساء تئيم

يقال: آمت المرأة. تئيم أيومًا أي صارت أيمًا. وقوله: ستئيم أي ستفارق بعلها فتبقى بلا زوج.

٢٥٧ ـ كلام كالعسل وفعل كالأسل:

يضرب في اختلاف القول والفعل.

٢٥٨ ـ كل امرئ في بيته صبي:

أي: يطرح الحشمة ويستعمل الفكاهة. يضرب في حسن المعاشرة، قيل: كان يزيد بن ثابت من أفكه الناس في أهله وأدمثهم إذا جلس مع الناس، وقال عمر رضي الله عنه: ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي، فإذا التمس ما عنده وجد رجلًا.

٢٥٩ ـ كل فتاة بأبيها معجبة:

يضرب في عجب الرجل برهطه وعشيرته. وأول من قال ذلك العجفاء بنت علقمة السعدي.

٢٦٠ ـ «كن وسطًا وامش جانبًا:

أي: توسط القوم وزايل أعمالهم. كما قيل: خالطوا الناس وزايلوهم.

٢٦١ ـ لولا الوئام لهلك الأنام:

الوئام الموافقة يقال: واءمته مواءمة ووئامًا. وهي أن تفعل مثل ما يفعل، أي لولا موافقة الناس بعضهم بعضًا في الصحبة والمعاشرة لكانت الهلكة. هذا قول أبي عبيد وغيره من العلماء. وأما أبو عبيدة، فإنه يروي: لولا الوئام لهلك اللئام. وقال: الوئام، المباهاة. قال: إن اللئام ليسوا يأتون الجميل من الأمور على أنها أخلاقهم، وإنما يفعلونها مباهاة وتشبهًا بأهل الكرم؛ ولولا ذلك لهلكوا. ويروى لولا اللئام لهلك الأنام. من قولهم لاءمت بينهما، أي أصلحت، من اللأم وهو الإصلاح. ويروى: اللوام بمعنى الملاومة، من اللوم.

٢٦٢- لن يهلك امرؤ عرف قدره

قال المفضل: إن أول من قال ذلك أكثم بن صيفي في وصية كتب بها إلى طيء. كتب إليهم: أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم، وإياكم ونكاح الحمقاء، فإن نكاحها غرر، وولدها ضياع؛ وعليكم بالخيل فأكرموها فإنها حصون العرب، ولا تضعوا رقاب الإبل في غير حقها، فإن فيها ثمن الكريمة ورقوء الدم وبألبانها يتحف الكبير، ويغذى الصغير، ولو أن الإبل كلفت الطحن لطحنت؛ ولن يهلك امرؤ عرف قدره؛ والعدم عدم العقل لا عدم المال؛ ولرجل خير من ألف رجل؛ ومن عتب على الدهر طالت معتبته، ومن رضي بالقسم طابت معيشته، وآفة الرأي الهوى، والعادة أملك، والحاجة مع المحبة خير من البغض مع الغنى.

والدنيا دول فما كان لك أتاك على ضعفك وما كان عليك لم تدفعه بقوتك، والحسد داء ليس له دواء، والشماتة تعقب، ومن ير يومًا يره. قبل الرماء تملأ الكنائن. الندامة مع السفاهة. دعامة العقل الحلم. خير الأمور مغبة الصبر. بقاء المودة عدل التعاهد. من يزر غبًا يزدد حبًا. التغرير مفتاح البؤس. من التواني والعجز نتجت الهلكة. لكل شيء ضراوة، فضر لسانك بالخير. عي الصمت أحسن من عي المنطق. الحزم حفظ ما كلفت وترك ما كفيت. كثير التنصح يهجم على كثير الظنة. من ألحف في المسألة أثقل. من سأل فوق قدره استحق الحرمان. الرفق يمن، والخرق شؤم. خير السخاء ما وافق الحاجة. خير العفو ما كان بعد القدرة. فهذه خمسة وثلاثون مثلًا في نظام واحد.

٢٦٣- لله دره

أي خيره وعطاؤه وما يؤخذ منه. هذا هو الأصل، ثم يقال لكل متعجب به.

٢٦٤- للباطل جولة ثم يضمحل (للباطل جولة وللحق دولة)

أي لا بقاء للباطل وإن جال جولة. ويضمحل ويذهب.



٢٦٥ ـ لما اشتد ساعده رماني:

يضرب لمن يسيء إليك وقد أحسنت إليه، قال الشاعر:

فيا عجبًا لمن ربيت طفلًا	ألقمه بأطراف البنان
أعلمه الرماية كل يوم	فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي	فلما قال قافية هجاني
أعلمه الفتوة كل وقت	فلما طر شاربه جفاني

٢٦٧ ـ اللقم تورث النقم:

يضرب في ذم الارتشاء. يعني نقم الله تعالى. ويجوز أن يريد: نعم الراشي، إذا لم يأت الأمر على مراده.

٢٦٨ ـ لن يزال الناس بخير ما تباينوا فإذا تساووا هلكوا:

أي، ما داموا يتفاوتون في الرتب، فيكون أحدهم آمرًا والآخر مأمورًا، فإذا صاروا في الرتب سواء لا ينقاد بعضهم لبعض فحينئذ هلكوا. والجالب للباء في «بخير» معنى الفعل وهو لن يزالوا متصلين ومتسمين بخير. وقال أبو عبيد: أحسب قولهم، فإذا تساووا هلكوا، لأن الغالب على الناس الشر، وإنما يكون الخير في النادر من الرجال لعزته، فإذا كان التساوي فإنما هو في السوء.

٢٦٩- لا يضر السحاب نباح الكلاب:

يضرب لمن ينال من إنسان بما لا يضره.

٢٧٠ ـ لا يكن حبك كلفًا ولا بغضك تلفًا:

ويروى عن بعض الحكماء أنه قال: لا تكن في الإخاء مكثرًا، ثم تكون فيه مدبرًا فيعرف سرفك في الإكثار بجفائك في الإدبار. ومنه الحديث: أحبب حبيبك هونًا ما

عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما. ومنه قول النمو بن تولب:

أحبب حبيبك حبًا رويدًا ... فليس يعولك أن تصرما
وابغض بغيضك بغضًا رويدًا ... إذا أنت حاولت أن تحكما

وقريب منه بيت عدي بن زيد:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه ... فإن القرين بالمقارن يقتدي

٢٧١ ـ لا ترفع عصاك عن أهلك:

قال أبو عبيد: قد علم أنه ﷺ لم يرد ضربهم بالعصا، إنما هو الأدب. أراد: لا ترفع أدبك عنهم، وقيل: أراد، لا تغب ولا تبعد عنهم، من قولهم: انشقت عصاهم، إذا تباعدوا وتفرقوا. وهذا تأويل حسن.

٢٧٢ ـ لا يصلح رفيقًا من لم يبتلع ريقًا:

يضرب لمن يكظم الغيظ. ونصب «رفيقًا» على الحال. وأراد بالريق ريق الغضب.

٢٧٣ ـ مقتل الرجل بين فكيه:

المقتل، القتل وموضع القتل أيضًا. ويجوز أن يجعل للسان قتلًا مبالغة في وصفه بالإفضاء إليه. قال: إنما هي إقبال وإدبار. ويجوز أن يجعل موضع القتل. أي بسببه يحصل القتل. ويجوز أن يكون بمعنى القاتل، فالمصدر ينوب عن الفاعل، كأنه قال: قاتل الرجل بين فكيه. قال المفضل: أول من قال ذلك أكثم بن صيفي في وصية لبنيه، وكان جمعهم فقال: تباروا، فإن البر يبقي عليه العدد، وكفوا ألسنتكم، فإن مقتل الرجل بين فكيه. إن قول الحق لم يدع لي صديقًا. الصدق منجاة. لا ينفع التوقي مماهو واقع. في طلب المعالي يكون العناء.

الاقتصاد في السعي أبقى للجمام. من لم يأس على ما فاته ودَّع بدنه، ومن قنع بما هو فيه قَرت عينه. التقدم قبل التندم. أصبح عند رأس الأمر أحب إلي من أن أصبح عند

ذنبه. لم يهلك من مالك ما وعظك. ويل لعالم أمره من جاهله. يتشابه الأمر إذا أقبل وإذا أدبر عرفه الكيس والأحمق. البطر عند الرخاء حمق، والعجز عند البلاء أمن. لا تغضبوا من اليسير فإنه يجني الكثير. لا تجيبوا فيما لا تسألوا عنه، ولا تضحكوا ما لا يضحك منه. تناءوا في الديار ولا تباغضوا فإنه من يجتمع يقعقع عنده. وقد أحسن من قال: رحم الله امرءًا أطلق ما بين كفيه، وأمسك ما بين فكيه.

ولله در أبي الفتح البستي حيث يقول في هذا المثل:

تكلم وسدد ما استطعت فإنما ... كلامك حي والسكوت جماد

فإن لم تجد قولًا سديدًا تقوله ... فصمتك عن غير السداد سداد

واحتذاه القاضي أبو أحمد منصور بن محمد الهروي فقال:

إذا كنت ذا علم وماراك جاهل ... فأعرض ففي ترك الجواب جواب

وإن لم تصب في القول فاسكت فإنما ... سكوتك عن غير الصواب صواب

٢٧٤ ـ ما أشبه الليلة بالبارحة:

أي: ما أشبه بعض القوم ببعض. يضرب في تساوي الناس في الشر والخديعة. وتمثل به الحسن ﷺ في بعض كلامه للناس؛ وهو من بيت أوله:

كلهم أروغ من ثعلبة ... ما أشبه الليلة بالبارحة

وإنما خص البارحة لقربها منها، فكأنه قال: ما أشبه الليلة بالليلة وهو يضرب عند تشابه الشيئين.

٢٧٥ ـ المزاحة تذهب المهابة المزاح والمزاحة المزح، والمزاح الممازحة، والمهابة الهيبة.

أي إذا عرف بها الرجل قلت هيبته. وهذا من كلام أكثم بن صيفي. ويروى عن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: إياك والمزاح إنه يجر إلى القبيحة ويورث الضغينة.

قال أبو عبيد: وجاءنا عن بعض الخلفاء أنه عرض على رجل حلتين يختار إحداهما فقال الرجل: كلتيهما وتمرًا، فغضب عليه وقال: أعندي يمزح، فلم يوله شيئًا.

٢٧٦ ـ ما ظنك بجارك؟ فقال: ظني بنفسي:

أي أن الرجل يظن بالناس ما يعلم من نفسه، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

٢٧٧ ـ ما لك لا تنبح يا كلب الدوم. قد كنت نباحا فما لك اليوم:

يضرب لمن كبر وضعف. أصل المثل أن رجلًا كان له كلب، وكان له عير، فكان كلبه كلما جاءت نبح، فأبطأت العير فقال: ما لك لا تنبح يا كلب الدوم. أي ما للعير لا تأتي؟

٢٧٨ ـ أملك الناس لنفسه أكتمهم لسره:

يضرب في مدح كتمان السر.

٢٧٩ ـ ما سد فقرك مثل ذات يدك:

أي لا تتكل على غيرك فيما ينوبك.

٢٨٠ ـ من سره بنوه ساءته نفسه:

قائل هذا المثل ضرار بن عمرو الضبي، وكان ولده قد بلغوا ثلاثة عشر رجلًا، كلهم قد غزا ورأس، فرآهم يومًا معًا وأولادهم، فعلم أنهم لم يبلغوا هذه الأسنان إلا مع كبر سنه؛ فقال: من سره بنوه ساءته نفسه. فأرسلها مثلًا.

٢٨١ ـ من أشبه أباه فما ظلم:

أي لم يضع الشبه في غير موضعه، لأنه ليس لأحد أولى به منه بأن يشبهه. ويجوز أن يراد: فما ظلم الأب، أي لم يظلم حين وضع زرعه حيث أدى إليه الشبه. وقد وفد إليه ابنه الربيع بن البارع فقال: مرحبًا بولده بل بولدي الظريف الربيع الوارد في الخريف.

كأنك قد قابلت منه سجنجلًا فجاءك منه بالخيال المماثل

وما ظلم إذا أشبه أباه وإنما ظلمه أن لو كان أباه

٢٨٢ ـ من استرعى الذئب ظلم:

أي ظلم الغنم. ويجوز أن يراد، ظلم الذئب حيث كلفه ما ليس في طبعه. يضرب لمن يولي غير الأمين. قالوا: إن أول من قال ذلك أكثم بن صيفي.

٢٨٣ ـ المنية ولا الدنية:

أي أختار المنية على العار. ويجوز الرفع، أي المنية أحب إلي ولا الدنية. أي وليست الدنية مما أحب وأختار. قيل: المثل لأوس بن حارثة.

٢٨٤ ـ من لاحاك فقد عاداك:

اللحي واللحو القشر، أي من تعرض لقشر عرضك فقد نصب لك العداوة. والمثل من قول أكثم بن صيفي.

٢٨٥ ـ من لا يذد عن حوضه يهدم:

أي من لم يدفع عن نفسه يظلم ويهضم.

٢٨٦ ـ من طلب شيئًا وجده:

أول من قال ذلك عامر بن الظرب؛ وكان سيد قومه، فلما كبر وخشي عليه قومه أن يموت اجتمعوا إليه وقالوا: إنك سيدنا وقائلنا وشريفنا فاجعل لنا شريفًا وسيدًا وقائلًا بعدك، فقال: يا معشر عدوان، كلفتموني بغيًا، إن كنتم شرفتموني فإني أريتكم ذلك من نفسين إني لكم مثلي؟ افهموا ما أقول لكم، إنه من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له، وكان الباطل أولى به؛ وأن الحق لم يزل ينفر من الباطل.

ولم يزل الباطل ينفر من الحق. يا معشر عدوان، لا تشمتوا بالذلة، ولا تفرحوا بالعزة، فبكل عيش يعيش الفقير مع الغني، ومن ير يومًا يربه؛ وأعدوا لكل امرئ جوابه.

إن مع السفاهة الندامة، والعقوبة نكال وفيها ذمامة؛ ولليد العليا العاقبة؛ والقود راحة لا لك ولا عليك؛ وإذا شئت وجدت مثلك، إن عليك كما أن لك، وللكثرة الرعب، وللصبر الغلبة، ومن طلب شيئًا وجده، وإن لم يجده يوشك أن يقع قريبًا منه.

٢٨٧ ـ من غربل الناس نخلوه:

أي من فتش عن أمور الناس وأصولهم جعلوه نخالة.

٢٨٨ ـ النبح من بعيد أهون من الهرير من قريب:

أي لا تدن من الذي تخشى، ولكن احتل له من بعيد.

٢٨٩ ـ من أخر حاجة رجل فقد ضمنها، إن المعرفة لتنفع عند الكلب العقور والجمل الصؤول، فكيف بالرجل الكريم:

قاله المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

٢٩٠ ـ السؤدد اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة، والشرف كف الأذى وبذل الندى، والغنى قلة التمني، والفقر شره النفس:

قاله أبي الدرداء رضي الله عنه.

٢٩١ ـ إن لك في مالك شريكين: الحدثان والوارث، فإن قدرت أن لا تكون أخس الشركاء حظًا فافعل:

قاله أبي ذر رضي الله عنه.

٢٩٢ ـ من يزرع خيرًا يوشك أن يحصد غبطة، ومن يزرع شرًا يوشك أن يحصد ندامة:

قاله عمر بن عبد العزيز.

٢٩٣ ـ ما رأيت يقينًا أشبه بالشك من يقين الناس بالموت وغفلتهم عنه:

قاله الحسن البصري رضي الله عنه [١].

---

(١) «مجمع الأمثال» أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الفضل الميداني النيسابوري/ كان أديبًا عارفًا «بالنحو واللغة» توفي بنيسابور سنة ٥١٨.

٢٩٤ ـ الرياح من السماح:

يريد أن المسامح أحرى أن يربح.

٢٩٥ـ مكتوب فى الحكمة: يا بنى، لتكن كلمتك طيبة، ووجهك بسطًا، تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء:

قاله هشام ابن عروة عن أبيه.

٢٩٦ ـ الكذوب لا حيلة له؛ والحسود لا راحة له؛ والبخيل لا مروءة له؛ والملول لا وفاء له؛ ولا يسود سيء الأخلاق؛ ومن المروءة إذا كان الرجل بخيلًا أن يكتم ويتجمل:

قاله الأحنف بن قيس.

٢٩٧ ـ السعيد من اتعظ بغيره :

يراد من رأى غيره فاتعظ سعد.

٢٩٨ ـ إن الله جعل أسعد عباده عنده وأرشدهم لديه وأحظاهم يوم القيامة، أبذلهم لمعروف يدًا، وأكثرهم على الإخوان فضلًا، وأحسنهم له على ذلك شكرًا:

قاله الأحنف بن قيس.

٢٩٩ ـ العبد من لا عبد له:

أي: من لم يكن له عبد ولا كافٍ امتهن نفسه.

٣٠٠ ـ لو كويت على داء لم أكره :

أي: لو عوتبت على ذنب ما امتعضت.

٣٠١ ـ كمبتغي الصيد في عرّيسة الأسد:

يضرب مثلًا للرجل يطلب الغنيمة في موضع الهلكة.

٣٠٢ - جنبوا مجالسكم النساء والطعام، فإني أكره للرجل السري أن يكون وصافا لبطنه وقد عرف ما يحور إليه، ولفرجه وقد علم أين مجلسه:

قاله الأحنف بن قيس.

٣٠٣ - كأنما أفرغ عليه ذنوبًا:

يقصد إذا كلمه بكلمة عظيمة يسكته بها.

٣٠٤ - لا تتخذن وزيرًا إلا عالمًا، ولا أمينًا إلا بالجميل معروفًا، وبالمعروف موصوفًا؛ فإنهم شركاؤك في أمانتك، وأعوانك على أمورك؛ فإن صلحوا أصلحوا، وإن فسدوا أفسدوا:

قول قيل لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

٣٠٥ - إخوان الصدق خير مكاسب الدنيا، هم زينة في الرخاء، وعدة في البلاء، ومعونة على حسن المعاش والمعاد:

قاله شيب بن شبة.

٣٠٦ - الدنيا دار أولها عناء، وآخرها فناء؛ من صحّ فيها أمن، ومن سقم فيها ندم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فُتن، حلالها حساب؛ وحرامها عذاب:

قاله عليّ بن أبي طالب.

٣٠٧ - العقل خير قرين، والأدب خير ميراث، والتوفيق خير قائد:

قاله الأحنف بن قيس.

٣٠٨- خير السّخاء ما وافق الحاجة، ومن عرف قدره لم يهلك، ومن صبر ظفر، وأكرم أخلاق الرجال العفو:

قاله أكثم بن صيفي [(١)].

---

(١) الأمالي/ أبو علي القالي: إسماعيل بن القاسم بن عبدون بن هرون ابن عيسى بن محمد بن سليمان أبو علي القالي اللغوي ولد بقليقلا من ديار بكر سنة ٢٨٨ وتوفي بقرطبة سنة ٣٥٦ ست وخمسين وثلاثمائة.

٣٠٩ ـ من أكثر أهجر:

قال أبو عبيد: يعني أنَّ المكثر ربما خرج إلى الهجر، وهو الكلام القبيح. وقال أكثم بن صيفي: المكثار كحاطب الليل. قال أبو عبيد: وإنّما شبهه بحاطب الليل لأنه ربما نهشته الحية أو لسبته العقرب في احتطابه ليلًا، قال: فكذلك هذا المهذار ربما أصابه في إكثاره بعض ما يكره وقال أكثم أيضًا: الصمت يكسب أهله المحبة.

وقال غيره من الحكماء: النّدم على السكوت خير من الندم على القول.

وقال الثالث: عيي صامت خير من عيي ناطق.

وقال بعض أشياخنا: كان ربيعة الرأي مكثارًا، فسمع أعرابي يومًا يتكلم، فلما كان عند انقضاء مجلسه سأله رجل: ما تعدون العي عندكم بالبادية؟ فقال الأعرابي: ما هذا فيه منذ اليوم، يعني إكثار ربيعة. ويروى في الحديث عن لقمان الحكيم إنّه قال: الصمت حكم وقيل فاعله. وقال علقمة بن علاثة الجعفري، وكان من حكماء العرب: أول العي الاختلاط وأسوء القول الإفراط.

٣١٠ ـ قال أبو عبيدة: من أمثالهم في هذا: من حفنا أورافنا فليقصد:

ويقول: من مدحنا فلا، يغلون في ذلك، ولكن ليتكلم بالحق منه، وروي أن علي بن أبي طالب ﵁ أثنى عليه رجلًا في وجهه فقال له علي: أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك. قال أبو عبيد: ترى معناه إنّه اتهمه بأنه يصفه بخلاف ما في قلبه.

٣١١ ـ من عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه:

قال: أبو عبيد ومما يحقق هذا المثل حكم الله تبارك وتعالى في الشهادة إنّها مردودة من أهل الفسوق، ولعلهم قد شهدوا بحق. وقال بعض الحكماء: الصدق عز، والكذب خضوع. وقال آخر: لو لم يترك العاقل الكذب إلاّ مروءة لقد كان حقيقًا بذلك، فكيف وفيه المأثم والعار. وحكى الكسائي عن لسان العرب: إنَّ المرء ليكذب حتى يصدق فما يقبل منه.

٣١٢ ـ إنّ الكذوب قد يصدق:

قال أبو عبيدة: وهذا المثل قد يضرب أيضًا للرجل تكون الإساءة هي الغالبة عليه، ثم تكون منه الهنة من الإحسان. قال أبو عبيدة: ومثله قولهم: مع الخواطئ سهم صائب

٣١٣ ـ الرجل يطيل الصمت ثم ينطق بالفهاهة والزلل:

قال أبو عبيدة: من أمثالهم في هذا: سكت ألفًا ونطق خلفًا.

قال أبو عبيد: والخلف من القول هو السقط الرديء، كالخلف من الناس، وهذا المثل كقول الشاعر:

وكائن ترى من صامتٍ لك معجب　　　زيادته أو نقصه في التكلمِ

وهذا البيت يروى عن الأحنف بن قيس، وذلك أنه كان يجالس رجل يطيل الصمت حتى أعجب به الأحنف ثم إنّه تكلم، فقال للأحنف: يا أبا بحر أتقدر أن تمشي على شرف المسجد؟ فعندها تمثل الأحنف بهذا البيت.

٣١٤ ـ صدرك أوسع لسرك:

قال أبو عبيدة: من أمثالهم في الإصغاء بكتمان السر، أي فلا تفشه إلى أحد. ومنه قول أكثم بن صيفي: لا تفش سرك إلى أمةٍ ولا تبل على أكمة.

قال أبو عبيد: وهذا مثل قد ابتذله الناس، ومن تحصينهم للسر مقالة الرجل لأخيه في الأمر يسره إليه: اجعل هذا في وعاءٍ غير سربٍ.

قال: وأصله في السقاء السائل، وهو السرب يقول: فلا تبد سري كإبداء السقاء ماءه سائل. وقد قال بعض الحكماء: السر أمانة.

٣١٥ ـ قال الأصمعي: من أمثالهم في مثل رُبّ سامع بخبري لم يسمع عذري:

يقول: إني لا أستطيع أن أعلنه لأنَّ في الإعلان أمرًا أكرهه، ولست أقدر أن أوسع الناس عذرًا.

٣١٦ ـ رُبّ ملومٍ لا ذنب له:

قاله أكثم بن صيفي ومعناه إذا ظهر للناس من الشخص أمر أنكروه عليه، وهم لا يعرفون حجته وعذره، فهو يلام.

٣١٧ ـ كلُّ أحدٍ أعلم بشأنه:

معناه: إن الشخص لا يقدر على إظهاره أمره كله وإبدائه ومنه قولهم: لعل له عذرًا وأنت تلوم.

٣١٨ ـ اذكر الغائب يقترب:

قال أبو عبيدة: من أمثالهم في الغائب يذكر فيرى، ومثله. اذكر الغائب تره. وهذا المثل يروى عن عبد الله بن الزبير إنّه ذكر المختار بن أبي عبيد يومًا، وسأل عنه والمختار يومئذ بمكة قبل أنَّ يقدم العراق، فبينا هو في ذكره إذ طلع المختار، فقال أبن الزبير: اذكر غائبًا تراه قال أبو عبيد: وهذا الذي جاء فيه الحديث إنّه من أشراط الساعة، فهذا ما في الإنسان، يذكر فيرى وأما مثلهم في الإنسان يرى الشيء فيذكر به ما قد نسيه فقولهم: ذكرني فوك حمار أهلي.

وكان المفضل فيما يحكى عنه، يقول: كان أصله أنَّ رجلًا خرج يطلب حمارين كانا ضلا عنه، فرأى امرأة متنقبة فأعجبته حتى نسي الحمارين فتبعها، فلم يزل يطلب إليها حتى سفر له: فإذا هي فوهاء، فحين رأى أسنانها ذكر الحمارين، فقال: ذكرني فوك حمارا أهلي قال أبو الحسن، وأنشدني الزبير قول الشاعر في البرقع:

إذا بارك الله في خرقةٍ ... فلا بارك الله في البرقع
يواري الملاح ويخفي القباح ... فهذا يضر ولا ينفع

٣١٩ ـ رمتني بدائها وانسلت:

قال أبو عبيد: ويحكى عن المفضل أنه كان يقول: هذا المثل قيل لرهم بنت الخزرج من كلب. وكانت امرأة سعد بن زيد مناة بن تميم. وكان لها ضرائر، فسابتها إحداهن



يومًا فرمتها رهم بعيب هو فيها، فقالت: ضرتها رمتني بدائها وانسلت، فذهبت مثلًا. قال أبو عبيد: وللعامة في هذا مثل مبتذل، وهو قولهم: عير بجير بجره، نسي بجير خبره. ومنه البيت السائر في الناس للمتوكل الكناني ثم الليثي:

لا تنهى عن خلقٍ وتركب مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال الأصمعي: ومثله قولهم: محترس من مثله وهو حارس، وهو يضرب للرجل يعيب الفاسق لفعله، وهو أخبث منه.

٣٢٠ - إنْ كنت ريحًا فقد لاقيت إعصارًا:

قال الأصمعي هو مثل يضرب بالرجل النجيد يلقى قرنه في البسالة والنجدة.

٣٢١ - إذا تولى عقدًا أحكمه:

هو مثل في نعت الرجل الحازم.

٣٢٢ - ألق حبله على غاربه:

أصله الناقة إذا أرادوا إرسالها للرعي جعلوا جدليها على الغارب، ولا يترك ساقطًا فيمنعها من المرعى يقول: فدع هذا يذهب حيث شاء إذ كره معاشرتك. قال أبو عبيد: والعامة تقول في مثل هذا المثل: لو كرهتني يدي ما صحبتني.

٣٢٣ - يركب الصعب من لا ذلول له:

يضرب في الرجل يحمل نفسه على الشدائد إذا لم يجد ما يريد في العافية.

٣٢٤ - إذا لم تغلب فاخلب:

قال الأصمعي: إذا لم يدرك حاجتك بالغلبة والاستعلاء فاطلبها بالترفق وحسن المداراة.

٣٢٥ - من يبغ في الدين يصلف:

قال الأصمعي: يعني إنّه لا يحظى عند الناس، ولا يرزق منهم المحبة، ولذلك قيل: قد صلفت المرأة عند زوجها، إذا لم تكن لها حظوة عنده.

٣٢٦ ـ إنّ خيرًا من الخير فاعله. وإنّ شرًا من الشر فاعله:

قال أبو عبيد: يضرب هذا في الحض على الخير والانتهاء عن الشر. ويقال: إنَّ أصل هذا المثل للنعمان بن المنذر يقال له علقمة، قاله لأخيه عمرو مع مواعظ كثيرة وعظه بها، قال: وبعضهم يجعل الكلام لصخر بن عمرو بن الحارث بن شريد السلمي.

٣٢٧ ـ معاتبة الأخ خير من فقده:

قال أبو عبيد: وهذا المثل يروى عن أبي الدرداء، فإن استعتب الأخ ولم يعتب فإنَّ مثلهم في هذا قولهم: لك العتبي بأن لا رضيت.

وهذا مثل مبتذل في الناس، وهو مثل محول عن موضعه، لأن أصل «العتبى» رجوع المستعتب إلى محبة صاحبه، وهذا على ضده، يقول: أعاتبك بخلاف رضاك، ومنه قول بشر بن أبي حازم الأسدي:

غضبت تميم أنَّ تقتل عامر يوم النسار فأعتبوا بالصليم

أي أعتبناهم بالقتل. ومن أمثالهم في ترك العتاب قول الشاعر:

وليس عتاب الناس للمرء نافعًا إذا لم يكن للمرء لب يعاتبه

وقال آخر:

فدع العتاب فرب شر هاج أوله العتاب

ويروى عن أوس بن حارثة: إنّه كان فيما يقال لابنه مالك: يا مالك: العتاب قبل العقاب، والمنية ولا الدنية.

٣٢٨ ـ بق نعليك، وابذل قدميك:

قال أبو عبيد: أي احمل على نفسك في استبقاء مالك، لئلا يرى الناس به خلة فتهون عليهم.

٣٢٩ ـ التمرة إلى التمرة تمر، والذود إلى الذود إبل:

قاله أحيحة بن الجلاح

قال أبو عبيد: وكان أصل هذا إنّه دخل حائطًا له، فرأى تمرة ساقطة، فتناولها، فعوتب في ذلك، فعندها قال هذه المقالة، وهو القائل:

استغن أو مت ولا يغرك ذو شنب	**من ابن عم ولا عم ولا خال**
إني أقيم على الزوراء أعمرها	**إنَّ الحبيب إلى الإخوان ذو المال**

و منه البيت السائر في العالم:

قليل المال تصلحه فيبقى	**ولا يبقى الكثير على الفساد**

٣٣٠ ـ من ذهب ماله هان على أهله:

يروى عن رجل من أهل العلم إنّه مر به رجل من أهل الأموال، فتحرك له وأكرمه وأدناه، فقيل له بعد ذلك: أكنت لك إلى هذا حاجة؟ فقال: لا والله، ولكني رأيت المال مهيبًا فهبته. أو قال: رأيت ذا المال مهيبًا.

٣٣١ ـ خرقاء وجدت صوفًا:

قال الأصمعي: يضرب للأحمق يصيب مالًا فيضعه في غير موضعه.

٣٣٢ ـ كفى قومًا بصاحبهم خبيرًا:

قال الأصمعي: أي كل قوم أعلم بصاحبهم من غيرهم.

٣٣٣ ـ أعط القوس باريها:

قال أبو عبيد: أي استعن على عملك بأهل المعرفة والحذق له. ومن هذا كتاب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص « أن شاور عمرو بن معد يكرب وطليحة بن خويلد في حربك، ولا تستعن بهما في غير ذلك، فإنَّ كل قوم أعلم بصناعتهم».

٣٣٤ ـ الخيل أعلم بفرسانها:

قال أبو عبيدة: يعني أنها قد اختبرت ركابها، فهي تعرف الأكفل من أهل الفروسية قال: والذي يراد منه أن يقول: استعن بمن يعرف الأمر، ودع من لا يعرفه.

٣٣٥ ـ يا طبيب طب لنفسك:

قال الأصمعي: يقال: طب نفسك. قال الأحمر: وقد يقال في بعض هذا: خرقاء ذات نيقةٍ.

يضرب للرجل الجاهل بالأمر، وهو مع جهله يدعي المعرفة، ويتأنق في الإدارة.

٣٣٦ ـ كفى بالشك جهلًا:

قال أبو عبيدة: معناه إذا كنت شاكًا في الحق أنه حق، فذلك جهل.

٣٣٧ ـ أرض من المركب بالتعليق:

قال الأصمعي: أي من الأمر بدون تمامه. وأصله في الركوب، يقال للرجل قد تعلق بعقبه يركبها، ويقول: فإنَّ لم تقدر على الركوب التام، فتعلق بعقبة أو نحوها.

٣٣٨ ـ إنّ كان بي تشد أزرك فارخه:

قال الأصمعي: إنَّ كنت تتكل على في حاجتك حرمتها.

٣٣٩ ـ رضيت من الغنيمة بالسلامة:

قال أبو عبيد: يضرب للرجل يسعى في طلب حاجته فيشرف منها على الهلكة حتى يرضى بأن يفلت سالمًا. ومنه قول الشاعر، وبعضهم يرويه لامرئ القيس بن حجر الكندي:

وقد طوفت في الآفاق حتى ... رضيت من الغنيمة بالإياب

٢٤٠ ـ ما قرعت عصا على عصا، إلاّ حزن لها قوم وسر بها آخرون:

قال أبو عبيد: ومعناه أنه لا يحدث في الدنيا حدث فيجمع الناس على أمر واحد من سرور ولا حزن ولكنهم فيه مختلفون.

٢٤١ ـ إن يقتل ينقم، وإن يترك يلقم:

قال أبو عبيد: يقال: إن قتلته كان له من ينتقم له منك، وإن تركته قتلك.

٢٤٢ ـ ليس من العدل سرعة العذل:

قاله أكثم بن صيفي، قال أبو عبيد: إنّه لا ينبغي للرجل يبلغه عن أخيه شيء أنَّ يسرع إلى عذله حتى يعرف حجته وعذره.

٢٤٣ ـ هذه بتلك والبادئ أظلم:

قال أبو عبيد: هو الرجل يركب صاحبه بظلامة، فيكافئه الآخر بمثلها، ومنه قول الشاعر:

وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم ... فهل أنا في ذا يآل همدان ظالم

متى تجمع القلب الذكي وصارمًا ... وأنفًا حميًا تجنبك المظالم

قال أبو عبيد: وهذا الشعر تمثل به الحجاج بن يوسف على المنبر.

٢٤٤: مكره أخوك لا بطل:

قال أبو عبيد: أي ليس هذا بشجاعة مني، ولكن حُمْلتُ عليه.

٢٤٥ ـ غثك خير لك من سمين غيرك :

قاله أكثم بن صيفي، قال أبو عبيد فاقنع به. ولا تمدن عينيك إلى ما في أيدي الناس. ويقال: إنَّ هذا المثل لمعن بن عرفطة المذجي[1] .

---

(١) «الأمثال» أبو عبيد القاسم بن سلام.

٣٤٦ إذا كثرت همومك نام:

ليس بحديث، وينبغي لمن كثرت هموم أن يشتغل بالعبادة لعله يزول همه وأعظم هذه العبادة فريضة الصلاة كما قال تعالى لحبيبه المصطفى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾[الحجر: ٩٧، ٩٩].

٣٤٧- أمر الله على الرأس والعين:

ليس بحديث لكنه واجب الرضا به.

٣٤٨- خذ ما تيسر واترك ما تعسر:

ليس بحديث، لكن معناه صحيح كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[البقرة: ١٨٥].

٣٤٩ ـ خير التجارة لا ربح ولا خسارة:

ليس بحديث بل هو من كلام العوام(١).

٣٥٠- دار الظالم خراب ولو بعد حين:

ليس بحديث ولم أقف عليه، ولكن يشهد له قوله تعالى: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾[النمل: ٥٢]، و قال كعب لأبي هريرة: في التوراة من يظلم يخرب بيته، فقال أبو هريرة وكذلك في كتاب الله تعالى: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾(٢).

٣٥١ ـ الطرق ولو دارت والبكر ولو بارت:

ليس بحديث، قال في المقاصد معناه صحيح، ويشهد للأول قوله تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾[البقرة: ١٨٩]، وللثاني أحاديث كثيرة: منها في قصة جابر «هلا

---

(١) «كشف الخفار مذيل الالباس» للعجلوني (١/ ٣٩٠).

(٢) أخرجه البخاري [٢٠٩٧]، ومسلم [٧١٥]، والترمذي [١١٠٠]، وابن ماجه [١٨٦٠]، وأبو داود [٣٠٤٨]، والبغوي في شرح «السنة»(٩/ ١٥).

بكرًا»[(١)] وأورد السلفي في معجم السفر عن أبي القاسم الدمشقي قال: الطرق ولو دارت والمدن ولو جارت وقال: لا أعرفه أهو من كلامه أو كلام غيره، قال ابن الغرس: ويدور الشق الثاني على ألسنة الناس، بلفظ وبنت الأجواد أي الأخيار ولو بارت ويدور على ألسنة الناس بلفظ: اتبع الطرق ولو دارت وخذ - أو تزوج - البكر ولو بارت وليس بحديث.

٣٥٢- ***قلب المؤمن دليله:***

ليس بحديث.

٣٥٣- ***كل ممنوع حلو، (الممنوع مرغوب)***

ليس بحديث، ويدل على صحة معناه ما ابتلي به آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ [البَقَرَة:٣٥]، وفي «الإحياء» للغزالي لو منع الناس من فت البعر لفتوه وقال العراقي: لم أجده.

٣٥٤- ***لقمة في بطن الجائع أفضل من عمارة ألف جامع:***

ليس بحديث[(٢)].

٣٥٥- ***ما كل مرة تسلم الجرة:***

ليس بحديث، ولكن وقع في شعر المبرد:

أقول للنفس وعاتبتها ... على التصابي مائتي مرة

يا نفس صبرًا عن ظلال الهوى ... ما كل يوم تسلم الجرة

٣٥٦- ***المساواة في الظلم عدل:***

ليس بحديث أصلًا، والمراد بالعدل اللغوي وهو مجرد المماثلة.

---

(١) أخرجه البخاري [٢٠٩٧]، ومسلم [٧١٥]، والتِّرْمِذِيّ [١١٠٠]، والدارمي [٢١٧١]، وابن ماجه [١٨٦٠]، أبو داود [٣٠٤٨]، والبغوي في «شرح السنة» (٩/ ١٥).

(٢) كشف الخفاء مزيل الإلباس (٢/ ١٤٥).

٢٥٧- يؤجر المرء على رغم أنفه:

ليس بحديث، وهو بمعنى حديث أبي هُرَيْرَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «عجب ربنا عز وجل من قوم يقادون للجنة في السلاسل «وفي لفظ» بالسلاسل»(١) ونحوه حديث أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»(٢).

٢٥٨- الهدية لا تهدى، أو لا تعطى ولا تباع أبدًا:

هذا ليس بحديث، وليس معناه -أيضًا- بصحيح. والهدية من حق الإنسان إذا أهدى له هدية أن يهديها لا لمن شاء، أو يبيعها، أو يتصرف فيها.

٢٥٩ مد رجليك على قدر فراشك:

هذا ليس بحديث، ولا يحمل على أنه حديث، لكن يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، فمن الناس من يحتاج إلى بيت واسع، ويحتاج إلى نفقة كثيرة فهذا يسامح فيه، ومن الناس من صرفته على قدره.

٢٦٠-لا تكن حلوًا فتبلع ولا مرًا فتلفظ:

ليس بحديث وإنما هو من حكم لقمان.

٢٦١- يوم صومكم يوم نحركم يوم رأس سنتكم:

قال الإمام أحمد: والزركشي، والسيوطي: لا أصل له، وقال شيخ الاسلام ابن تيمية: لَا يُعْرَفُ فِي شَيْءٍ مِنْ «كُتُبِ الْإِسْلَامِ» وَلَا رَوَاهُ عَالِمٌ قَطّ.

٢٦٢ ـ «إذا جاء القضاء ذهب البصر:

هو من كلام ابن عباس رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه البُخاري [٣٠١٠]، وأبو داود [٢٦٧٧]، والبغوي في «شرح السنة» (١١/ ٧٦).

(٢) أخرجه البخاري [٦٤٨٧]، مسلم [٧٢٣٢]، والتِّرمِذِيّ [٢٥٥٩]،والبغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٣٠٦).

٣٦٣ ـ قيدوا النعم بالشكر:

لا يعرف مرفوعًا لكن جاء عن عمر بن عبد العزيز: قيدوا نعم الله بالشكر لله -عز وجل- وشكر الله ترك معصيته.

٣٦٤- اتقوا مواضع التهم :

ليس بحديث وقال العراقي: لم أجد له أصلًا ، ولكن يشهد لمعناه حديث النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله في أرضه محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**»[١].



(١) أخرجه البخاري [٥٢]، ومسلم [١٥٩٩]، وأبو داود[٣٣٢٩] وابن ماجه [٣٩٨٤]، والترمذي [١٢٠٥]، والبغوي في «شرح السنة» (٨/ ١٢).

خاتمة

هذا آخرُ ما قصدتُه من هذا الكتاب وقد مَنّ الله الكريمُ فيه، بما هو أهلٌ له من الفوائد النفيسة والدقائق اللطيفة من أنواع العلوم ومهماتها ومُستجادَاتِ الحقائق ومَطلُوبَاتِها.
ومن تفسير آياتٍ من القرآن العزيز وبيانِ المراد بها والأحاديث النبوية وإيضاح مقاصدها والله المحمودُ على ذلك، وغيره من نعمه التي لا تُحصى وله المِنّة أن هداني لذلك ووفّقني لجمعه ويَسَّرَه عليّ وأعانني عليه وَمَنَّ عليَّ بإتمامه؛ فله الحمدُ والامتنانُ والفضلُ والطَّوْلُ والشكرانُ.

وأنا راجٍ من فضل الله تعالى دعوة أخٍ صالح أنتفعُ بها تقرّبني إلى الله الكريم وانتفاع مسلمٍ راغب في الخير ببعض ما فيه أكون مساعدًا له على العمل، بمرضاة ربّناس وأستودعُ الله الكريمَ اللطيفَ الرحيمَ منّي ومن والديّ وجميعِ أحبابنا وإخواننا، ومَنْ أحسنَ إلينا وسائرِ المسلمين: أديانَنا وأماناتِنا وخواتِيمَ أعمالنا وجميعَ ما أنعمَ الله تَعالى به علينا وأسألُه سبحانه لنا أجمعين سلوكَ سبيل الرشاد والعِصْمة من أحوال أهل الزَّيْغ والعِناد، والدَّوامَ على ذلك وغيره من الخير في ازدياد وأتضرّعُ إليه سبحانه أن يرزقنا التوفيقَ في الأقوال والأفعال للصواب السير على آثار ذوي البصائر والألباب، إنه الكريم الواسعُ الوهَّاب وما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ وإليه متاب حسبنا الله ونِعمَ الوكيل ولا حولَ ولا قوّة إلا بالله العزيز الحكيم.

والحمدُ لله ربّ العالمين أوّلًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا وصلواتُه وسلامُه الأطيبان الأتمان الأكملان على سيدنا محمد خير خلقه أجمعين كلما ذكره الذاكرون وغَفَل عن ذكره الغافلون وعلى سائر النبيّينَ وآل كل وسائر الصالحين.

وما ذاك مني بل من الله وحده	بفتح وإمداد وفضل وأنعم
فإن اك فيها مخطئًا أو مغالطًا	فمن ذات نفسي كل خطئي وغلطتي
أتوب الى الرحمن من كل خطئة	واستغفر الرحمن لي ولإخوتي
وأسأله جل اسمه بصفاته	وأسمائه الحسنى قبول كتابي

قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

جمع وترتيب

أبو عبد الرحمن/

نبيل بن أبي الحسن القيسي



قائمة المراجع

كتب التفسير:

١- جامع البيان في تأويل القرآن.

٢- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري.

٣- تفسير القرآن العظيم:أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي.

٤- التحرير والتنوير: محمد الطاهر عاشور.

٥- أضواء البيان: الشنقيطي.

٦- أيسر التفاسير: أبو بكر الجزائري.

٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي.

٨- محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي.

٩- تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي.

١٠- التفسير الوسيط: محمد سيد طنطاوي.

كتب متون الحديث:

١١- موطأ الإمام مالك: مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي.

١٢- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي.

١٣- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري.

١٤- المسند: الإمام أحمد بن حنبل.

١٥- سنن النسائي: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي.

١٦- سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي.

١٧- سنن أبو داود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي.

١٨- سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني.

١٩- سنن الدارمي: عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي.

٢٠- مسند إسحاق ابن راهويه: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه.

٢١- مسند الحميدي: عبد الله بن الزبير الحميدي.

٢٢- الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي.

٢٣- المنتخب من مسند عبد بن حميد: عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكسي.

٢٤- المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة.

٢٥- مصنف عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني.

٢٦- المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم.

٢٧- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني.

٢٨- المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني.

٢٩- المعجم الصغير: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني.

٣٠- مسند أبي يعلي: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي.

٣١- شعب الإيمان: الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي.

٣٢- مسند الشاميين: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني.

٣٣- السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي.

٣٤- صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي.

٣٥- مسند الشافعي: محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي.

٣٦- سنن الدارقطني: علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي.

٣٧- مسند أبي داود الطيالسي: سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي.

٣٨- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني.

٣٩- شرح السنة: الحسين بن مسعود البغوي.

كتب الأجزاء الحديثية والأدب:

٤٠- الأمثال: الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الفارسي الحافظ أبو محمد الرامهرمزي.

٤١- مجمع الأمثال: أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الفضل الميداني النيسابوري.

٤٢- جمهرة الأمثال: أبي هلال العسكري.

٤٣- الأمثال: أبو عبيد القاسم بن سلام.

٤٤- أمثال العرب: المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي.

كتب شروح الحديث:

٤٥- فتح الباري لشرح صحيح البخاري: للحافظ ابن حجر العسقلاني.

٤٦- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج العلامة/ أبو زكريا يحيى بن شرف النووي.

٤٧- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي: المباركفوري.

كتب التخريج:

٤٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي.

٤٩- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علي بن حسام الدين المتقي الهند.

٥٠- المقاصد الحسنة: السخاوي.

٥١- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: العجلوني تخريج أحاديث الإحياء: الحافظ العراقي.

٥٢- الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث: أحمد بن عبد الكريم الغزي العامري.

كتب العلامة الألباني:

٥٣- السلسلة الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني.

٥٤- السلسلة الضعيفة: محمد ناصر الدين الألباني.

٥٥- الجامع الصغير: الحافظ السيوطي تحقيق محمد ناصر الدين الألباني .

٥٦- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: محمد ناصر الدين الألباني .

كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم:

٥٧- مجموع الفتاوى: شيخ الإسلام ابن تيمية.

٥٨- اقتضاء الصراط المستقيم: شيخ الإسلام ابن تيمية.

٥٩- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: شيخ الإسلام ابن تيمية.

٦٠- منهاج السنة النبوية: شيخ الإسلام ابن تيمية.

٦١- أمثال القرآن: ابن قيم الجوزية.

كتب الفتاوى:

٦٢- الفتاوى الحديثية: ابن حجر الهيتمي.

٦٣- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء، وفتاوى الشيخ ابن باز المجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين رحمهم الله تعالى.

كتب عامة:

٦٤- الاعتصام: الشاطبي.

٦٥- الأذكار: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي.

٦٦- ألفاظ ومفاهيم في ميزان الشريعة: محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى.

٦٧- أحكام الجنائز: الألباني رحمه الله تعالى.

٦٨- فتح المعبود في الرد على ابن محمود: للشيخ حمود التويجري رحمه الله تعالى.

٦٩- معجم المناهي اللفظية: بكر أبو زيد رحمه الله تعالى.

٧٠- (٨٠) خطأ في العقيدة، (٤٠) خطأ للسان: وحيد عبد السلام بالي حفظه الله.

❀ ❀ ❀

محتويات الكتاب

المقدمة.. ٥

الباب الأول ١١

الفصل الأول - حفظ اللسان وخطورة الكلمة في الإسلام................ ١١

الفصل الثاني - المعنى اللغوي والاصطلاحي للأمثال والحكم................ ١٨

الحكمة من ضرب الأمثال.. ٢٢

الفصل الثالث - أمثال قرآنية من كلام رب البرية........................ ٢٤

الفصل الرابع - بعض أمثال العرب ومقارنتها مع أمثال القرآن الكريم
وسنة النبي العظيم.. ٨٨

الباب الثاني - أمثلة نبوية من هدي خير البرية ١٠٩

الباب الثالث - أمثلة وحكم يومية تخالف العقيدة والأخلاق والمعاملات
الإسلامية.. ١٣٥

الباب الرابع - أمثلة وحكم يومية تجري مجرى الأحاديث النبوية ١٦٩

خاتمة.. ٢٣٧

قائمة المراجع.. ٢٣٩

الفهرس ٢٤٣

تم بحمد الله

بيوت
يحبها اللّه ورسوله

جمع وترتيب
أبو عبد الرحمن/
نبيل بن أبي الحسن القيسي


الدار العالمية للنشر والتوزيع

الفيروسات الجديدة

H1-N1 / H5-N1

أنفلونزا الطيور - الخنازير

جمع وترتيب

نبيل بن أبي الحسن القيسي



للبيوت أسرار

جمع وترتيب

نبيل بن محمد محمود



المفاتيح الذهبية

في

احتواء المشكلات الزوجية

جمع وترتيب

نبيل بن محمد محمود



الدار العالمية للنشر والتوزيع